"كانت أمي جاسوسة في الحرب الباردة" - المؤلف

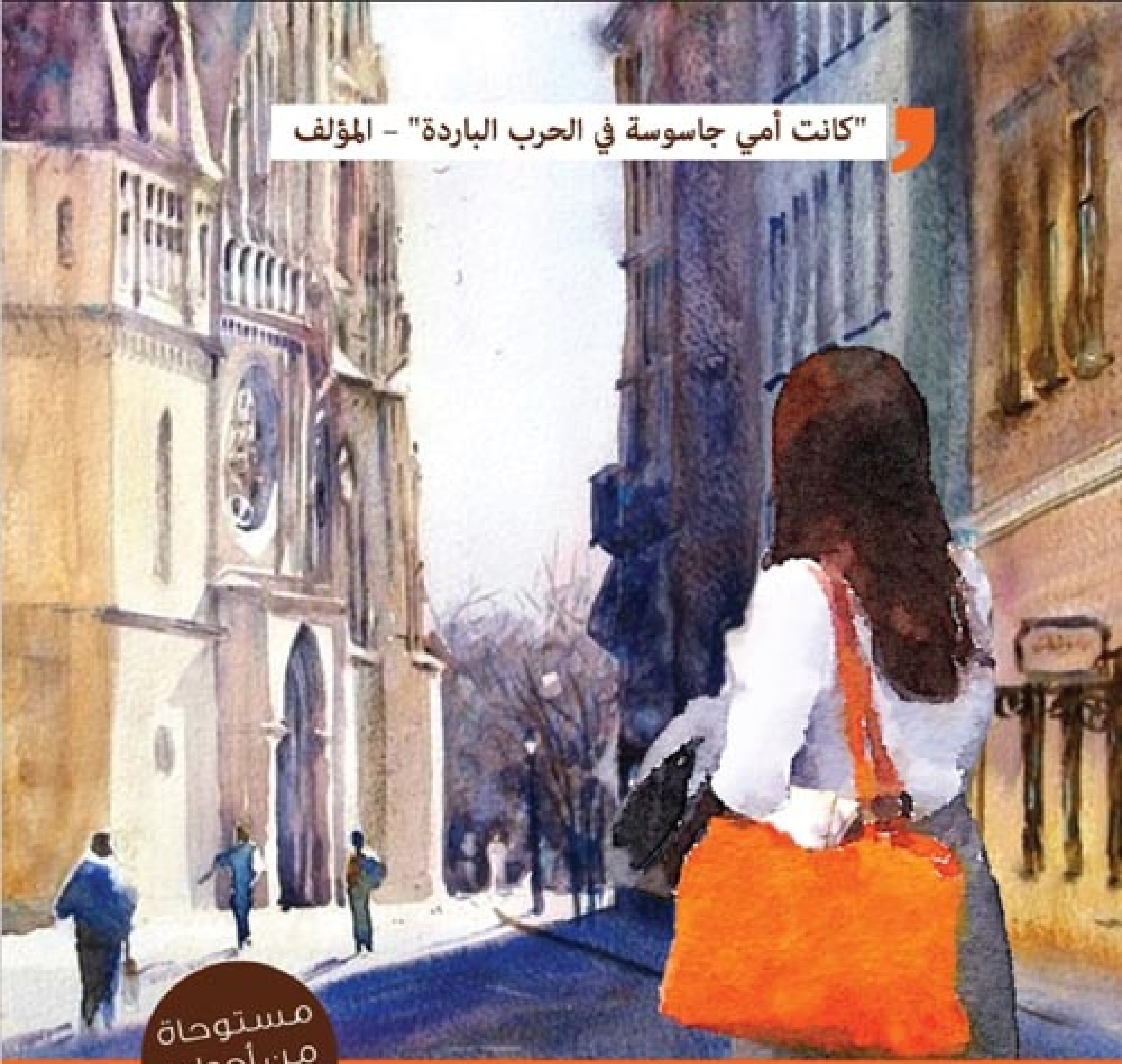

مستوحاة من أحداث حقيقية

أمي عميلة سرية

أوندراش فورجاتش

ساحر الكتب

ترجمة : ريم داوود

روايات مترجمة

The Lord Chamberlain is
commanded by Her Majesty to invite
Monsieur Marcel & Madame Forgács
Afternoon Party in the Garden of Buckingham Palace
Thursday the 11th May 1961 from 4 to 6 o'clock p.m.
(Weather Permitting)
Uniform or Lounge Suit
tunk fel a lakásba való bejutáshoz. Ebben az eset
Dóra József
Készítette: DJ/BE
Nytsz.:
ÜGY DOSSZIÉ M

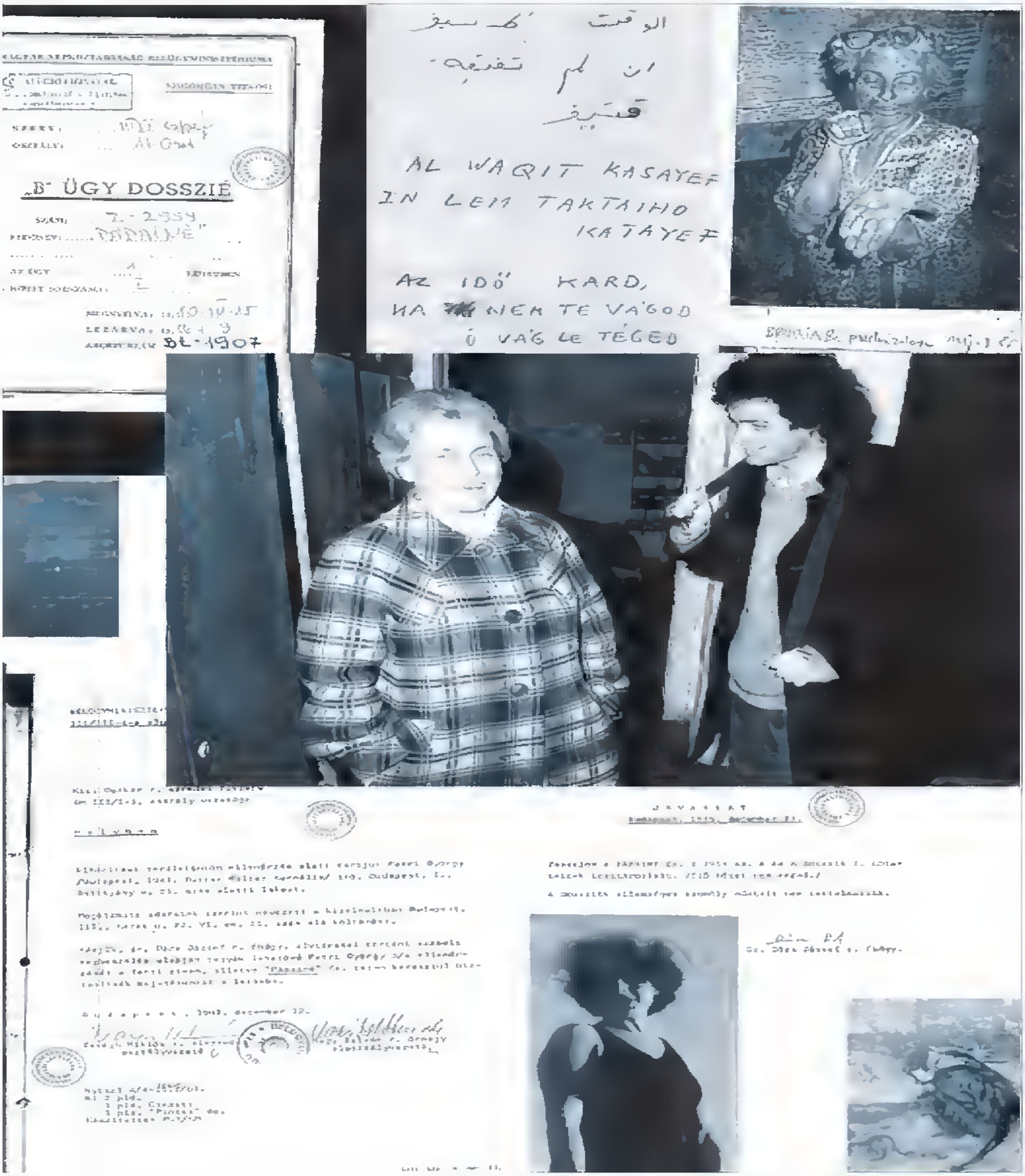
„B" ÜGY DOSSZIÉ
AL WAQIT KASAYEF
IN LEM TAKTAIHO
KATAYEF
AZ IDŐ KARD,
HA NEM TE VÁGOD
Ő VÁG LE TÉGED

"لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ"

سفر الجامعة 3:7

*إن هذه الرواية مبنية على أحداث حقيقية

1

السيدة باباي

عيد الميلاد

وصلت السيدة "باباي" في موعدها بالضبط. تأخر السادة ربع ساعة، وهو ما جعلهم يكررون اعتذاراتهم بمنتهى الذوق، قبل أن يقوموا بتهنئة السيدة "باباي" بعيد ميلادها الستّين بتقديم باقةٍ من الأزهار لها. حدث كل ذلك في ميدان "باثياني". أبدى السادة أسفهم للتأخير مرة أخرى، ولكن، أوقفت السيدة "باباي" - بحركةٍ سريعةٍ من يدها - سَيل الاعتذارات. ابتسمت بين ندف الثلج المتساقطة (والتي أهمل التقرير ذِكرها) بطريقةٍ

ساحرة، وقالت بصوتٍ عَذب لا يخلو من لكنةٍ ثقيلة أضافت لجاذبيتها:

- ليت كل مشكلاتنا من هذا النوع، أيها السادة!

حسنًا، في الواقع هي لم تقل ذلك بالضبط، بل استخدمت كلمة "رفاق" عند مخاطبتهم، ولكن أحداث هذه الحكاية تتطلب أن نقول "سادة"، فذلك يتماشى مع المجاملات المهذبة التي أرفقها الرجال بباقة الأزهار.

عقب الانتهاء من تبادل الرسميات المطلوبة، سارت المجموعة الصغيرة بمحاذاة أطراف الميدان، باتجاه مخبز الحلويات الذي يقع بجوار أو خلف (على حسب موقعك) الكنيسة ذات البرجين. يحتلُّ المخبز قبو المبنى منذ زمن ما قبل الفيضانات العظيمة، حين كانت تلك الطوابق تطل على الشارع مباشرةً. بسبب سِحر ضحكات السيدة "باباي" الرنَّانة، توقف الزَّبَد الرمادي للنهر عن الحركة، وبدا سعيدًا، ولو للحظات قصيرة. تزايدت كثافة الثلج المتساقط، حتى بدا كستارةٍ متموجةٍ، تتطاير على سطح "الدانوب". كان هذا المشهد سيُسعِد الرسَّام الياباني القديم "هوكوساي" الذي تخصَّص في رسم جبل "فوجي" بقمته الثلجية.

من موقفه الواقع خلف محطة المترو، الشبيهة بمكعب أسمنتي، بدأ ترام رقم 19 رحلته فوق النهر باتجاه جسر السلسلة المُعَلَّق. غطى صوته المرتفع على ضحكات السيدة "باباي"((1)).

لم تكن السيدة "باباي" تتمتع بأناقةٍ متميزة. غطّت

رأسها بقبعةٍ صوفيةٍ ثقيلة فغطت رأسها وجبينها، كما ارتدت معطفًا تقليدي الشكل من اللون البيج - أحد منتجات مصنع "أكتوبر الأحمر" - والذي لم يكن ضمن أحدث إصداراتهم أصلًا. انتعلت في قدميها حذاءً دون كعب. لم تتزين بأية مجوهرات، إلا إذا وضعنا في اعتبارنا عينيها الخضراوين اللتين تلمعان بمزيجٍ من الرمادي والأزرق مثل قطعتين من الزمرُّد. بدا أنها تتعمد عدم الاهتمام بمظهرها. لو افترضنا أن أحدًا منهم سألها عن سبب ذلك، لأجابت بعدم اكتراث:

- آه! لا علاقة لمظهرك بأي شيء أيها السادة، فما ترتديه لا يحدد من تكون.

في الواقع، إن شكلها البسيط والمتواضع، لاءمَ المناسبة تمامًا. تعمدت السيدة "باباي" عدم الإفصاح عن تاريخ ميلادها، لأنها - حسب قولها - لا تحب الجلبة أو الاهتمام الزائد، ولا أجواء الاحتفاء والاحتفالات. كانت تردد:

- هناك أمور أهم من ذلك بكثير، في هذا العالَم؛ الناس الجوعى، الناس الحُفاة، الناس الذين يموتون في كل لحظة بسبب الأمراض والحروب.

على كل حال، كان تاريخ ميلاد السيدة "باباي" مُحيِّرًا في حقيقة الأمر، لكن لم ينتبه السادة الثلاثة لهذه المسألة. يشبه تاريخ عيد ميلادها الأعياد الدينية التي تأتي كل عام في تاريخ مختلف في التقويم الميلادي. في طفولتها، حين كانت عائلتها لا تزال تتمسك بالتعاليم اليهودية، كان الاحتفال بعيد ميلادها يستمر في بعض

الأحيان طوال الأيام الثمانية لعيد الأنوار الـ"حانوكا".
اعتاد والداها، اللذان كانا يملكان ميولًا فنية بوهيمية إلى جانب تدينهما، على تجاهل التاريخ الفعلي لعيد ميلادها، والذي يقع في الثالث من ديسمبر. أبهجهم الاحتفال بعيد ميلادها تمامًا كما أبهجهم العيد. لم تكن الذاكرة القوية من نقاط قوة أمها، والتي عُرِفَت بالدلال والطبيعة العاطفية. في بعض الأحيان، كانت الأم تدوِّن تاريخًا غير صحيح عند تعبئة الاستمارات التي تخصُّ ابنتها في المكتب الاستعماري، وغيرها من المكاتب الحكومية، فبسبب الإدارة الثنائية التي خضعت لها العائلة، لكونهم من المهاجرين، كانت الأوراق والإجراءات المختلفة كثيرة وصعبة ومرهِقة. في تلك اللحظات، كان كل ما تتذكره هو أنها ولدت ابنتها خلال عيد الأنوار، وهو ما يفسِّر اختلاف التواريخ في أوراق السيدة "باباي" على مدار حياتها. في بعضها، هي من مواليد الأول من ديسمبر، وفي بعضها الآخر هي من مواليد الثاني أو الثالث منه؛ بل إنها سُجِّلَت في أحد المستندات في السادس من ذلك الشهر.

بالنسبة لعقلية السيدة "باباي" غير المتدينة، كانت هذه أسباب معقولة تبرّر عدم اهتمامها بعيد ميلادها، ونفورها الواضح من المسألة بأكملها. لكن، أيٌّ من السادة المرافقين لها، لم يدرك ذلك.

وهكذا، هبطت السيدة "باباي" الدرجات القليلة المؤدية إلى "مخبز أنجيليكا"، بصحبة السادة الثلاثة: مقدِّم شرطة "ميكلوس بيدِر" (مُصَدِّر) وملازم الشرطة

د. "يوزيف دورا" (مُتَلَقٍّ) بالإضافة إلى مقدِّم الشرطة "يانوس ساكاداتي" (مُساعد رئيس قِسم)((2)).

لم يكن لدخولها المكان معهم أجواء مسرحية أو استعراضية، ربما لحرص "دورا" و"ساكاداتي" على تأخير خطواتهما عنها، كما تنص قوانين الخطة الواجب اتباعها دومًا. حين وصلوا جميعًا إلى الطاولة التي سيجلسون حولها، تنافس السادة الثلاثة على معاونة السيدة "باباي" في خلع معطفها. أثبت "ميكلوس" أنه الأكثر مهارة في أداء هذه المهمة. ما إن انزاح المعطف عن كتفيها، حتى لاحظ الرجال - في ثوانٍ معدودة - الجمال الآفل للسيدة متوسطة الطول الواقفة أمامهم. أكّد تلك الحقيقة فخذاها المتناسقان، وصدرها الممتلئ. تجلى جمال جسدها في صُوَر شاطئ البحر - التي لا يعرف هؤلاء السادة شيئًا عنها - وبخاصَّة تلك التي التُقِطَت عقب الغروب، والتي أبرزت الـ"سيلويت" المُبْهِر لجسدها ووجهها. لم يكن جمال السيدة "باباي" نابعًا من تقسيماتها الحلوة فقط، بل من حبِّها للحياة كذلك، ومن شخصيتها المَرِحة.

لو علم السادة بأمر تلك الصُوَر، ولو أدركوا أنها التُقِطَت ضمن مهامٍ من نوعٍ مختلف نفذتها السيدة "باباي"، لأشعل ذلك خيالاتهم. لكن الحوار الدائر لم يتطرَّق لما حدث على تلك الشواطئ التي تظللها أشجار الأرز في "لبنان". هناك، حيث سَبح رجال ونساء من جنسياتٍ شتى وأديانٍ مختلفة، معًا، وغازلوا بعضهم، والتقطوا صورًا مع الحمير، وأمام الشلالات، وفي البحر الأبيض

المتوسط، وناقشوا مهام المنظمات الحِزبية، فيما كانت طبول الحرب تدق من الشمال.

جلس الأربعة على المقاعد المحيطة بطاولة مخبز "أنجيليكا"، وقرأوا محتويات قائمة الطعام والمشروبات. قال الرجال الثلاثة، بصوتٍ واحد:

- قهوة إسبرسو.

فيما اختارت السيدة "باباي" شاي "إيرل جراي". في تلك الأيام، كان هذا النوع من الشاي يُعَدُّ دليلًا دامغًا على الرقيِّ. فكَّرت قليلًا، وتذكَّرت خصرها الممتلئ، فقررت عدم تناول شيء من المخبوزات، رغم الإلحاح المتواصل لـ"ميكلوس" - أكبر السادة - الذي قال أخيرًا، بنبراتٍ وَدُودة ومُشَجِّعة:

- إن الكعك الفرنسي بالكريمة في هذا المكان غير عادي؛ إنه ببساطة رائع!

أضاف:

- بإمكان حفيدي تناول قطعتين مرَّةً واحدة، أمَّا عن فطيرة التفاح والمحشوة ببذور الخشخاش فإنها..

قاطعه الرفيق "ساكاداتي":

- هل تقصد تلك الفطائر اليهودية؟ اسمها "فلودني"و..

صمت على الفور، بعد أن لاحظ نظرات "ميكلوس" و"يوزيف" المؤنِّبة. واصل "ميكلوس" - أقدمهم معرفة بالسيدة "باباي" - شرح مميزات مخبوزات "أنجيليكا"، وأكَّد بأن شهرتها عالمية. استمرَّ في محاولات إقناع السيدة "باباي"، إلى أن أعلنت استسلامها في نهاية الأمر، ووافقت على طلب "بروفيترول". دارت معركةٌ صغيرةٌ بين الشوكة الدقيقة وقطعة الـ"بروفيترول"، نتج عنها التصاق بعض الكريمة بشفتيْ السيدة "باباي".

راحت تلعقها بطرف لسانها، وهي تضحك من كل قلبها على التعليقات المَرِحة التي أطلقها السادة.

أمّا هؤلاء السادة، فإنهم حتى لو اشتهوا شيئًا منالحلوى حينها، إلا إنهم أدركوا أن ميزانية اللقاءمحدودة((3))، رغم عدم ذِكر الإدارة لتلك المسألةصراحةً؛ بعض ضبط النفس، لا يضرُّ على كل حال.

قبل وصول قطعة الـ"بروفيترول"، ساد الصمتللحظات؛ ذلك النوع من الصمت الذي يلي عباراتالترحيب الأولى في الجلسات المُريحة كهذه، والذي يدركفيه الحضور بأن الوقت قد حان لتنحية المجاملات

جانبًا، والاهتمام بأمورٍ أكثر جدِّية. في اللحظة التالية، سيكون "يوزيف" مصدر سعادةٍ خالصةٍ للسيدة "باباي"، إذ أخرج من حقيبة أوراقه مفرشًا رائعًا،بتطريزٍ فلكلوري((4)) مغلَّف بورقٍ رقيق، يحيط بهشريط وردي، وبصوتٍ واحد، تمنى السادة الثلاثة- "ميكلوس" و"يانوس" و"يوزيف" - عيد ميلاد سعيدللسيدة "باباي"، للمرة الثانية؛ إنه يومٌ للأخذ والعطاءالمتبادَلين.

لكن الحوار لم يَسِر كما خُطِّطَ له، وهو ما أصاب السادة الثلاثة بصدمة. ساد الطاولة شعورٌ مشتَركٌ بالانزعاج، ليس فقط بسبب انقلاب النصف العلوي من الـ"بروفيترول" على السطح الرخامي للمنضدة، ولا للكريمة التي لطخت شفاه السيدة "باباي" (سَرعان ما قام "يوزيف" - بفضل سُلطته كمُتَلقٍ - بتنبيه الرفيقة إليها، عقب لحظة تردُّد) ولكن مَرَدُّ ذلك في الأساس هو ما قالته السيدة "باباي"، فبعد انتهاء السادة الثلاثة من شَرح مهامها المُعَقَّدة القادمة، وبعد تسميعها للتفاصيل التي حفظتها على الفور عن ظهر قلب((5)) كتلميذةٍ نجيبة، مثبتةً بذلك ذاكرتها الخارقة التي تشهد عليها تقاريرها الأولى، وبعد أن قام "ميكلوس" بتكليف "يوزيف" بمتابعة المسألة مع السيدة "باباي"، وبعد أن لوّح "ميكلوس" - الأعلى رتبةً بين الحاضرين - للنادلة كي تجلب لهم الفاتورة.. بعد ذلك كلِّه، أعلنت السيدة "باباي" بصوتٍ حادٍ، لا يقلُّ في ارتفاعه عن أصوات المؤذنين في المساجد، اخترق أسماع الرجال الثلاثة فجأة:

- لا أظن أنه يجدر بي الاستمرار فيما أفعله بعد الآن.

تجمّد كل شيء حول الطاولة حتى الهواء، وأضافت السيدة "باباي" بالصوت المرتفع نفسه:

- وهذا لا يعني بأنني لا أتفق مع أهدافنا المشتركة.

جلس الرجال الثلاثة بوجوهٍ واجمة، فيما اقتربت النادلة منهم بابتسامةٍ لطيفة، تحمل لهم فاتورة غالية بعض الشيء. تصرّف "ميكلوس" كما اعتاد كمُقَدِّم شُرطة، إذ رفع سبابته لها في الهواء مُحَذِّرًا، فتوقفت من فورها. فكّر للحظة أن يطلب منها العودة مرة أخرى بعد بعض الوقت، لكنه أدرك أن ذلك سيلفت الأنظار، وهو ما تحرص جميع القوانين المتعلقة بعملهم على اجتنابه. حتى هذه اللحظة، لم تكن الصُحبة المرحة، في هذه الساعة المُبكرة من الظهيرة داخل مخبز "أنجيليكا"، قد جذبت انتباه أيًّا من الزبائن، والذين كانوا خليطًا من موظفي المكاتب القريبة، ممن اعتادوا المرور بالمخبز في منتصف النهار لتناول بعض القهوة أو البيرة، وبعض العشاق الذين احتلوا المقاعد الجانبية، وانهمك كل زوجٍ منهم في تأمل عينيْ الآخَر.

في تلك اللحظة، همس الرفيق "بيدر" بصوتٍ يقترب من الفحيح:

- لاحقًا!

أدركت السيدة "باباي" أن عليها التراجع؛ أرعبها التغيّر الرهيب الذي طرأ على ملامح "ميكلوس" التي تحجرت بغتةً، بينما تلاشى الود والدفء من نظراته. خُيِّل إليها

أنها تسمع صوت صرير أسنانه، بعد أن لاحظت الطريقة التي يضغط بها فكّيه على بعضهما. وكشيوعية صالحة، فهمت فورًا بأن عليها التزام الصمت، وتناسي القلق الذي يُشعرها بالاختناق منذ عام 1975((6)).

بعد عودة النادلة أدراجها، نظر الرجال الثلاثة إلى السيدة "باباي" بقدرٍ كبيرٍ من القلق والترقب. قالت لهم:

- لقد التزمتُ حتى اللحظة بتنفيذ جميع المهام الصعبة التي قمتم بإسنادها إليَّ؛ كانت كثيرة جدًا، حتى إنني لم أعد أتذكر عددها أساسًا. رحّبتُ بها جميعًا خدمةً للديمقراطية الشعبية، وخلال ذلك تعيَّن عليَّ إهمال مشكلات شخصية هامة. في بعض الأحيان، توليت تقديم عدد من الاقتراحات المعيَّنة لكم، وفي كل مرة اكتفيتم بالتعليق بكلمة واحدة.. "رائع"، "شكرًا"، "ممتاز"، "مُتقَن"، "بديع"، "جيد".. دون أن تفعلوا شيئًا ملموسًا. هذه الأيام، لم أعد أشعر باهتمامكم بتاتًا، وكأنني لم أعد على قيد الحياة أصلًا؛ ما الذي يجعلني أشعر بقيمة ما أفعله، ما دمتُ أرى عدم تقديركم لي؟ أُقابَل منكم باهتمامٍ زائفٍ ومصطنعٍ طوال الوقت، ولكنكم متى ما احتجتم خدماتي، توقعتم أن أهرع لتنفيذها من فوري! ليست هذه طريقة التعامُل بين الرفاق. في ظل هذه الظروف، لا أرى أيَّ معنى لعملي، والسبب الوحيد الذي يجعلني أواظب على الاستمرار فيه هو إحساسي بأن التعاون معكم سيؤدي لتحقيق أهدافنا المشتركة.

حين انتهت السيدة "باباي" من إلقاء كلماتها الغاضبة، صمت السادة الثلاثة لبعض الوقت، وكأنهم تلاميذ صغار

تعرضوا للتوبيخ؛ لم يكونوا مستعدّين لهذا الموقف، وليس من المعتاد أن يؤنب العملاء المجنَّدون رؤساءهم. تولَّى "ميكلوس" - الذي يمتلك رصيدًا هائلًا من الخِبرة - معالجة الأمر، فخاطبها بدبلوماسية:

- عزيزتي الرفيقة السيدة "باباي"..

أردف قائلًا:

- في الفترة الأخيرة تحديدًا، كان لدينا واجبات وأعمال كثيرة جدًّا؛ لو كنتِ تقرأين الأخبار بتمعن، لأمكنكِ فهم المشكلات العديدة والمصاعب الجَمَّة التي تعيَّن علينا مجابهتها. في مثل هذه الظروف، يجب تفهم الأولويات التي ينبغي علينا...

لكن السيدة "باباي" لم تقتنع بهذه المبررات، ولذلك قاطعته بجرأة:

- تطلبون مني ترجمة مقالات لا تتفق على الإطلاق ووجهات نظري، وأعني بها تلك الأفكار الرجعية القذرة، والتي تسبِّب لي معاناةً فظيعةً حين أقرأها. أترجم بعضها حرفيًا، كلمةً كلمة، فأشعر بغثيان حقيقي. لعل أسوأ ما في الأمر هو أن لغتي الهنجارية ضعيفة بعض الشيء، ما يجعلني بحاجة للمساعدة، لكنني أحجم عن طلبها إلا من ابني فقط، لكن ليس بإمكاني استغلال وقته لصالحي على الدوام، والأهمُّ هو عدم رغبتي في إدخاله في هذه المسألة من الأساس.

كلما تكلمت وزاد انفعالها وغضبها، تناثرت الأخطاء النحوية هنا وهناك؛ تطايرت حروف بأكملها وتغيَّرت

أفعال، وفي الحقيقة، استمتع السادة بالمشهد بأكمله.
حين اعتذرت السيدة "باباي" في ختام حديثها، وشرحت بأن كتابة التقارير بيدها ليلًا هي العذاب بعينه، قاطعها "ميكلوس":

- حسنًا، دعيني أصارحكِ إذًا عزيزتي السيدة "باباي"، بأن تلك الأخطاء النحوية والصياغة الفقيرة بعض الشيء هي التي تمنح تقاريرك مصداقيتها. إنها تغييرٌ لطيفٌ ومُنعِش من الكلمات الرسمية الرصينة التي ينبغي عليَّ قراءتها يوميًا. ما زلتُ أذكر تقريركِ الأول الذي قدمتِه لنا قبل ست سنوات، كان متميزًا للغاية. تحدّثتِ فيه عن زيارتكِ لعائلتكِ، بصحبة ابنك؛ قطعة أدبية جميلة تنم عن عبقرية، كان أشبه بجوهرة. أتذكر وصفكِ لعودتكِ إلى الميناء في "يافا" لاستلام حقائبك((7)).
لم يكن التقرير موجهًا لي، بل للرفيق "ميرز" الذي حرص على جلبه لمكتبي، وقراءته عليَّ بصوتٍ مرتفع، فأدركتُ منذ تلك اللحظة قدرتكِ الهائلة على الملاحظة. أخطاؤكِ اللُغوية ظريفة للغاية. أذكر أنكِ كتبتِ بأن عمال الميناء - عِوَضًا عن إخراج حقائب الركاب - قاموا بالجلوس عليها في "كِرش" المركب، بدلًا من "بطن" المركب! وأن الشباب السائحين الأمريكيين تعرّضوا للتفتيش "من الداخِل ومن الخارج" بدلًا من "تفتيش دقيق"! وأن تفتيشهم لكِ كان "شديد السطحية".
أضاف "ميكلوس"، معترفًا:

- انفجرتُ حينها في الضحك؛ أسعدني ذلك التقرير يومها، و..

السيدة "باباي"، التي أصغت إليه عاقدة الحاجبين، قاطعته من جديد:

- حسنًا.. نعم.. أنا أفعل كل ما بوسعي، وأبذل قصارى جهدي؛ أكتب التقارير وأترجم المقالات، وأمنحكم الأولوية قبل أي شيء آخر في حياتي، وعلى الدوام. طالما واصلتُ فعل ذلك، فأنا رفيقة جيدة، ولكن إن طلبتُ شيئًا أُصبح فجأة جرذًا حقيرًا، أو مجرّد "جُوك" وضيع!

في خضم انفعالها، استخدمت كلمة عِبرية. نظر إليها الرفيق "بيدر" بحيرةٍ بالغة، وسألها:

- "جُوك"؟

أجابته بصبرٍ نافد:

- صرصور.

استطردت السيدة "باباي":

- والآن، تريدون مني اختصار مدة رحلتي القادمة. ما المقابل؟ أنتم لا تستمعون إلى تحذيراتي، ولا تلتفتون إلى أفكاري.

وجه مُقدِّم شرطة "ميكلوس بيدر" نظرات متواطئة للملازم "يوزيف دورا"؛ من مُصَدِّرٍ لمُتَلقٍّ. هذه فرصته لإثبات جدارته بتنفيذ المهمة، وتأكيد امتلاكه القدرة على مخاطبة الجانب النفسي في شخصية السيدة "باباي"، وتوجيهها لفعل ما يريد. تزايد إعجاب السادة الثلاثة بالمرأة التي تجلس بينهم؛ أعادها الانفعال شابَّةً من جديد.

قال "يوزيف" بصوتٍ دافئ:

- عزيزتي الرفيقة السيدة "باباي"، إن هدفي هو إعادة الثقة بيننا ثانيةً؛ سعيتُ لإثبات ذلك بشتى الوسائل، خلال لقائنا هذا. أريد ثقة دائمة، تتجاوز العقبات الطارئة التي قد تتعرض لها علاقتنا بكِ. هدفنا واحد ومشترَك، وهو الصراع من أجل العدالة.

أشار بلباقةٍ، وبحرفيةٍ عاليةٍ، إلى المفرش المطرَّز بالرسوم الفلكلورية. صحيحٌ أنه لم يقم بشرائه من ماله الخاص، إلا إنهم ليسوا مُلزَمين بتقديم هديةٍ لـ"عملائهم السريين" من الأصل. كان الرفيق "دورا" متيقنًا من أن السيدة "باباي" ستقوم بتقديم المفرش ذاته كهديةٍ لأقاربها في "تل أبيب"، خلال الرحلة التي سيتولون هم دفع تكاليفها. إن أهداف الرحلة - وهي نفسها تعرف ذلك - تتجاوز قدراتها الفعلية. سوف تبذل قصارى جهدها، لكن فرصتها في الانضمام للمؤتمر العالمي الصهيوني تبقى ضئيلة جدًا.

في الحقيقة، أسعدها هذا التوقع، إذ أحست بالنفور من فكرة الاضطرار للاستماع إلى الأحاديث والخُطَب الوطنية الرنانة، كما أن الرحلة - في الوقت ذاته - ستمنحها فرصةً للقاء أقربائها الذين ستهديهم المفرش المطرَّز بالورود. تدركُ أن الهدية التي تمثل نموذجًا لتراث شرق المجر، ستدخل البهجة على قلوبهم. لا تشعر السيدة "باباي" بألفةٍ خاصة تجاه الأشياء والمقتنيات، ولا تتردد مطلقًا في التخلص منها عند أول فرصة، أو إخفائها في أيِّ ركنٍ بعيد. منذ طفولتها المُبَكِّرة، تعلمت من أمها عدم

التعلق بأيٍّ من ممتلكاتها. رغم أن الأسرة لم تكن تتمتع بالثراء، إلا إن الأم كانت تحرص على دعوة أطفال الشارع لبيتها، لتقدّم لهم فناجين الكاكاو الساخن باللبن، وفي بعض الأحيان تمنحهم شيئًا من حاجيات ابنتيها؛ زوج من الأحذية مثلًا أو فستان. إذا لاحظت امتقاع وجهيهما أو شعورهما بالامتعاض، عاجلتهما بمحاضرةٍ مرتَجلة حول الشيوعية، شارحة لهما بأن شمسها ستشرق على العالَم بأسره، وعليهما أن تكونا نموذجًا لها. تربَّت السيدة "باباي" على عدم تقديس الأشياء والممتلكات. أظهرت حماسًا وامتنانًا عند تلقيها المفرش، ولكن ذلك ما تفرضه أصول الذوق والكياسة، كما أنها سعدت به فعلًا، لإدراكها بأنه سيشكل هدية رائعة لأقاربها.

تململ الرفيق "ساكاداتي" في جلسته، متحرقًا للمشاركة في الحوار الدائر. ضغط الرفيق "بيدر" على ركبة زميله خلسةً تحت الطاولة، ففهم "ساكاداتي" الحركة على أنها إذنٌ له بالكلام، بينما كان الرفيق "بيدر" يحاول لفت نظره إلى ضرورة إنهاء هذا الاجتماع بأسرع ما يمكن. تابع "ساكاداتي" الحوار الذي بدأ مرحًا، وانتهى بمفاجأةٍ مزعجة تشبه انفجار بالون. لم يعد بإمكانه التزام الصمت. دفعه الولاء الأعمى للقضية التي يؤمن بها إلى تذكير السيدة "باباي" بأجواء الوِدّ التي أحاطت بلقاءاتهما الأولى.

هنا، يتعيَّن علينا أن نذكر بأنه خلال تلك اللقاءات الأولى، كان الرجل مطلَّقًا وفي الثانية والأربعين، ويعيش في وحدةٍ تامة (لا أمل فيها لأي علاقة عابرة)، وأنه أحس

بالسعادة حين أخبرته السيدة "باباي" بصيغة اعتذار بأنها تفضل مخاطبة الجميع ببساطة، ولذلك تستخدم "أنت" عوضًا عن "حضرتك"؛ لكنه كان مضطرًا لرفض ذلك بحزم، وفرض استخدام صيَغ مخاطبة رسمية بينهما، إلا إن الفكرة بالنسبة له كانت مثيرة وإيروسية. في تلك السنوات ولسنواتٍ أخرى تالية، كان الرفيق "ساكاداتي" هاويًا للنساء اللاتي يكبرنه عُمرًا. فرضت عليه طبيعة عمله شروطًا ينبغي اتباعها، منها الابتعاد عن العلاقات المتبادلة مع عميلاته، لكن فكرة علاقة أكثر حميمية معها، ظلت تراوده طويلًا.

أحس "ساكاداتي" بالحزن، فقد أدرك بأن الرفيق "دورا" سيتولى مسؤولية السيدة "باباي"، ما يعني أن لقاءاته بها ستصبح نادرة، إن لم تنقطع تمامًا. واقع الأمر أنه مثقَل بالواجبات، لأنه المسؤول عن منطقة الشرق الأوسط بأكملها، رغم جهله باللغتين العربية والعبرية. كانت إنجليزيته محدودة أيضًا، رغم اجتيازه للامتحان الذي عقدته لجنة متساهلة، كما يبدو. باختصار، كانت أعباؤه الوظيفية كثيرة، وبخاصة في ظل الاضطرابات الدائمة في المنطقة. لم ينجح في إخفاء الحزن والحنين من صوته، وهو يذكر السيدة "باباي" بقدرتها الهائلة على فرض سِحرها وجاذبيتها، وبمهارتها في تقديم خدماتها ومساعداتها للآخرين. أكد لها مُطَمْئنًا، بأنها ستنجح عما قريب في المشاركة بالصراع ضد الصهيونية العالمية، وهو هدفهم جميعًا. أردف بشيءٍ من المبالغة، بأن خدمات السيدة "باباي" للديمقراطية الشعبية لا تقدّر

بثمن، وأن ما يضفي التميز على أدائها هو إجادتها التامة للغات الأجنبية، إلى جانب روحها المُغامِرة. أسَرَّ للسيدة "باباي" مستكملًا مبالغاته، بأن الرفاق الرُوس ممن يشغلون مناصب عُليا، يكيلون المديح للمواد التي يعدها هو وزملاؤه، اعتمادًا على تقاريرها. هذه المرة، لم يكتفِ "بيدِر" بالضغط على ركبة زميله لإسكاته، وإنما ركله بقوة في كاحله، بينما واصل الابتسام للسيدة "باباي".

أعلن "ميكلوس" فجأة:

- إلى العمل!

استخدم كلمة "رابوتا" الروسية للإشارة إلى العمل. نظر إلى ساعته، قبل أن يهب واقفًا بتعجِّل. لم يكن الـ"رابوتا" هو السبب الوحيد في إصراره على إنهاء اللقاء، وإنما الرعب الذي هاجمه فور رؤيته للكاتب المعارض الذي بلغت شُهرته العالم الغربي، وهو يدخل مخبز "أنجيليكا" بصحبة شابة جميلة.

تتضمن مهام "ميكلوس" مراقبة السيدة "باباي" نفسها، ليس ارتيابًا في ولائها أو مصداقية تقاريرها، ولكن هكذا تجري مثل هذه الأمور. بلغه أن علاقة صداقة تربط أبناءها بالعديد من مثقفي "بودابست". خشي "ميكلوس" أن تكون السيدة "باباي" نفسها على معرفة بالكاتب، وأن يتبادلا التحيّة... عليه أن يمنع ذلك بأي طريقة. لعن نفسه لاختياره "أنجيليكا" مكانًا للقاء، خاصة وأن التقارير تذكر أنه المكان المفضل للكاتب لمواعيده الغرامية، لقُربه من منزله. وهكذا، وقف "ميكلوس" كجندي في حالة انتباه، مصوبًا نظراته

إلى ساعة يده. كان المشهد مضحكًا؛ ثلاثة أشخاص يقفون بغتةً وفي اللحظة نفسها كرجالٍ آليين، وكل منهم يركز نظراته على ساعته. أشارت العقارب للرابعة وعشر دقائق((8)).

عقدت السيدة "باباي" إيشاربها الحريري حول رقبتها، وزرّرت معطفها بالكامل، وأنزلت قبعتها الصوفية فوق جبينها. سارت تحت الثلج المتساقط بخفة في شارع "بوتياني" باتجاه ميدان "موسكو"، ومنه إلى بيتها في "فيرينس روچا". هناك، في غرفة المعيشة الصغيرة، لاح عبر الباب المفتوح خيال مهتز؛ كان ذلك زوجها الذي فقد عقله، والذي كان في يومٍ من الأيام السيد "باباي". وقف مرتعشًا، تعصف به الهواجس ومشاعر القلق.

---

(1) في هذا التقرير، أذكر بأننا في الثالث من ديسمبر عام 1982، تقابلنا في مخبز "أنجيليكا" مع السيدة "باباي"، بحضور مقدم شرطة "يانوس سكاداتي" والرفيق مقدم شرطة "ميكلوس بيدير".

تأخرنا عشر دقائق عن موعد اللقاء، ووجدنا السيدة "باباي" بانتظارنا في ميدان "باثياني". عرفتها بنفسي، ثم هنأتها بحرارة على عيد ميلادها

الستين وقدمتُ لها هديتنا؛ وهي عبارة عن مفرش مطرز برسومات فلكلورية - حاز على إعجابها - بالإضافة إلى باقة أزهار.

(2)

قرار:

بهذا، أسلم الملف رقم «٢٩٥٩ ب١ م١»، والذي يحمل الاسم الحركي «السيدة باباي»، وصاحبته العميلة (مكان وتاريخ الميلاد، اسم الأم) للتحقق من صاحبته كفرد من أعضاء الشبكة، للرفيق «يوزيف دورا» (العميل المُفَوّض ٣/ ١ - ٣) الذي أبلغنا بحاجته لمساعدة الرفيق «رودولف روناي».

بودابست، في الـ. . . من أكتوبر ١٩٨٢.

«رودولف روناي»، مُصَدِّرًا.

«يوزيف دورا»، مُتَلقيًا.

(3) بلغت تكاليف اللقاء 386 فورِينت.

(4)

توصية:

<u>بودابست، الأول من ديسمبر 1982</u>

تحتفل الزميلة السرية السيدة "باباي" بعيد ميلادها الستين في الثالث من ديسمبر 1982. عملت منذ عام 1976 في خدمة الإدارة رقم 3/ 1، وزوّدتنا خلال هذه الفترة ولعدة مرات بمعلومات قيمة عن العملاء الإسرائيليين والوضع الحساس، بالإضافة إلى مساعي الحركة الصهيونية. أعطتنا موادًا أصلية تتعلق بالمؤتمر العالمي للصهيونية التاسع والعشرين، وننوي إرسالها لنفس الغرض والأهداف للمؤتمر العالمي للصهيونية رقم ثلاثين.

في ضوء عملها حتى تاريخه، وبمناسبة عيد ميلادها الستين، أوصي بمنح السيدة "باباي" هدية بقيمة ألف فورِينت.

ملازم شرطة د. "يوزيف دورا".

(5) واصلنا حديثنا بشأن رحلة القدس.

قالت السيدة "باباي" بأن أقاربها يلحون عليها لزيارتهم، وأنهم وعدوها بتحمل تكاليف إقامتها عند وصولها. المشكلة الوحيدة في هذه المسألة هي رغبتهم في بقائها بينهم شهرين متتاليين.

طلب الرفيق "ساكاداتي" من السيدة "باباي" محاولة اختصار مدة إقامتها، لحاجتنا إلى معلومات حديثة وطازجة. اقترحَ عليها الاتصال بهم تليفونيًا والتأكّد من استعدادهم لاستضافتها. دفعتُ للسيدة "باباي" قيمة المكالمة، وهي 500 فورِينت، على أن تحضر لي فاتورة بها.

(6)

تقرير مختصَر:

بودابست، الأول من نوفمبر 1982

تمّ تجنيد السيدة "باباي" عام 1976، من قِبَل الإدارة السابقة رقم 3/ 1- 4. في الحقيقة، شغلتْ المنصب الذي تركه زوجها، والذي عمل في خدمة جهازنا منذ الخمسينيات، وهو يعاني الآن من اكتئاب مرضي حاد، ولم يعد قادرًا على تنفيذ مهامه.

تم تجنيد السيدة "باباي"، اعتمادًا على قناعاتها ووطنيتها. مبادؤها الوطنية قوية وراسخة، وتؤمن بنظامنا الشيوعي.

(7) الغريب أنه مع كل الإجراءات الصارمة من قِبَل رجال الشُرطة، إلا إن أحدًا منهم لم يعترض على قيامي بإنزال حقائبي بنفسي، فيما اضطر بقية الناس لانتظار حقائبهم في طابور طويل من أجل الانتهاء من إجراءات الجمارك دون وصولها. أخرج عمال الميناء عددًا ضئيلًا من حقائب الرُكّاب. في تمام التاسعة، ألقوا بأجسادهم فوق متعلقات الناس في "كِرش" المركب، ليتناولوا إفطارهم. لم ينجح أحد في إجبارهم على الانتهاء من عملهم أولًا قبل تناول طعامهم. غادرتُ القاعة الكبيرة في الميناء، وطلبتُ العودة إلى السفينة ببساطة. أنزلت حقائبي بنفسي. انتظر الآخرون لساعات للانتهاء من التفتيش الجمركي. كان التفتيش صارمًا، وبخاصة مع مجموعة من الشُبَّان الأمريكيين، الذين أدوا خدمات تطوعية للـ"كيبوتز" من قبل، وعادوا الآن للغرض نفسه. كان أفراد الشرطة يبحثون عن الهيروين على الأغلب، فقد تعرض هؤلاء الشُبَّان لتفتيش من الداخل ومن

الخارج. نعم، قلبوا كل شيء في متعلقاتهم. مع كل تلك الصرامة، كان تفتيشهم لي أنا مجرد روتين، سواء عند دخولي البلاد أو عند مغادرتي لها، لم يفتحوا شنطتي أصلًا وكان تفتيشهم لي عاديًا.

(8) أنهينا الاجتماع في الرابعة وعشر دقائق عصرًا، واتفقنا أن نلتقي في الثالثة من مساء السادس من الشهر، في الكافيتيريا القريبة من قاعة الاستقبال بمستشفى "كوتفولجيي".

المحاولة

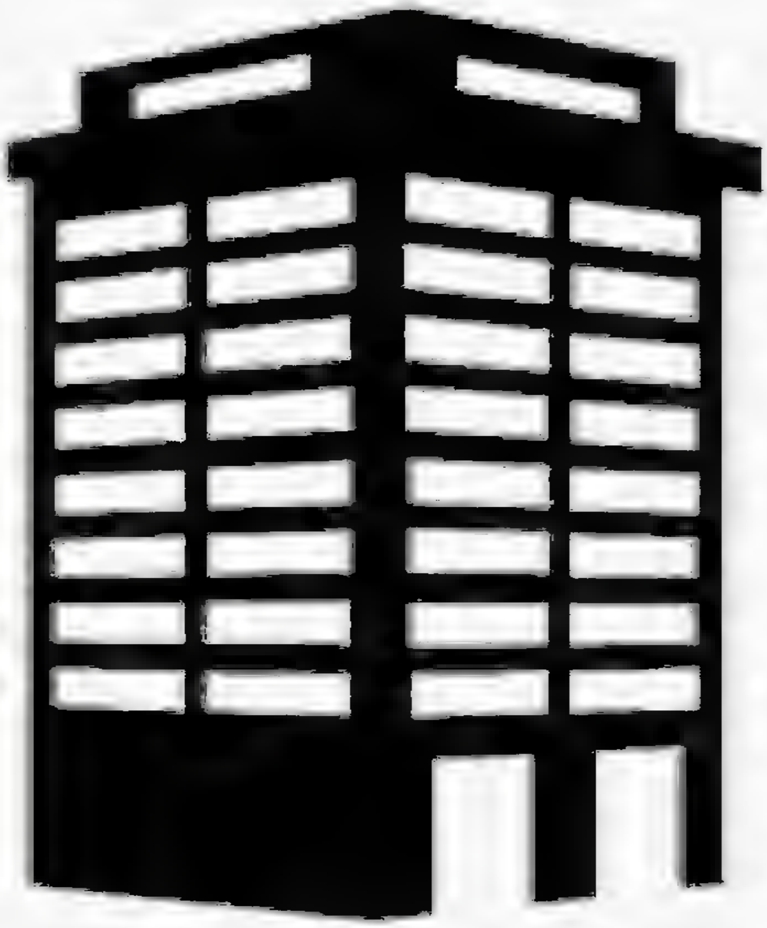

في ذلك الوقت، كانت قد مضت نحو نصف ساعة على جلوس الشابيْن في ممر الطابق الثالث الذي وصلا إليه بالمصعد. تسربت من خلف الأبواب المُبَطَّنة، أصوات أصابع تدق بدأب وجدية على أحرف الآلات الكاتبة. انهمك الجميع في إنجاز أعمال متعددة داخل المكتب. السكرتيرات اللاتي ينتعلن أحذية ذات كعوب مرتفعة - يبدو أنها إجبارية - يتحركن في المكان مُسرِعات، وهن يحملن أوراقًا بحاجة إلى إمضاءات. بين الحين والآخر، يمر موظف له كرش ويرتدي بدلة رخيصة و"كرافات" رديئة، حاملًا تحت إبطه ملفًا كبيرًا. ظهر أيضًا شخص بملابس عسكرية، ومسدس في جراب جانبي.

عَبَرَ الممر أشخاصٌ كُثُر، ولم يلتفت أيٌّ منهم للشابيْن، وكأنهم لم يلحظوا وجودهما.

لم يكن هناك من ينتظر عداهما، في ذلك الممر ذي الجدران الخشبية؛ الأرجح أنه لم يُصَمَّم في الأساس كقاعة انتظار. كانا وحدهما تمامًا، وهو أمرٌ غريب، ولم يفارقهما - مع ذلك - الشعور بأنهما مُراقَبان؛ شعورٌ لا يستند إلى شيءٍ ملموسٍ. أحسَّا بأن كل ما يجري حولهما مسرحيةٌ معَدَّة سَلَفًا لتسليتهما، وأن الانتظار الطويل جزءٌ من عملية المراقبة التي يخضعان لها. حاولا طرد تلك الأفكار من رأسيهما والسخرية منها. لا شيء غير مألوف هنا؛ المكتب ما هو إلا مكتب! مجرّد مكتب!

عاودهما الشك من جديد، حين مرَّ بهما شابٌ برأس يغزوه الصلع للمرة الثانية. تعمَّدا مواصلة تجاهلهما لكل مَن حولهما، لكن الإحساس بأنهما يخضعان للمراقبة ظل ملازِمًا لهما. لعلهما لم يكونا مراقَبين بالفعل، وإنما هناك مَن يتعمَّد إشعارهما بذلك. صحيحٌ أن كل واحد منهما جاء بمفرده، لكنهما وصلا في موعدهما المحدَّد بالضبط. لم يتوقعا أن يترك الموظف المسؤول أعماله لمجرد استقبالهما في مكتبه، إن كان هذا مكتبًا بالفعل.. وهو يبدو كذلك في الحقيقة، ولكن مشاغله ليست مبررًا كافيًا لهذا الانتظار الطويل.

غمرهما شعورٌ بالقلق عند اقترابهما من المبنى الرمادي. لم يكن ذلك لونه الأصلي، وإنما ما آل إليه حاله بسبب الإهمال. عند وصولهما إلى كشك الحراسة في المدخل الرئيس، طلب رجل يرتدي زيًّا رسميًا رؤية

البطاقة الشخصية الخاصة بكل واحدٍ منهما، ثم دوَّن بياناتهما في دفتره الضخم، واتصل بأحدٍ يبلِّغه بوصولهما. زيَّنت المدخل حروفٌ ذهبية اللون فوق لافتة من الزجاج الأسود، توضح أن المكان هو قسم الجوازات التابع لوزارة الداخلية، في 45 شارع "لازلو روداس". مبنى كئيب، غير متناسق، لا يخلو - مع ذلك - من مسحة جمال. لم ينتبه الشابان للتكوين غير المألوف للمبنى، عند اقترابهما منه من ناحية شارع "لينين". لم يلفت انتباههما سوى لونه الرمادي، في ذلك النهار شديد الحرارة من شهر يونيو، عام 1978. بدا واضحًا لهما أن تاريخه يعود لفترة ما قبل الحرب، وما أكد ذلك هو التكوين الشبيه بوردتين أعلى واجهة المدخل، واللتين حَجَبَ جانب منهما زجاج الباب المغطى بالحديد المشغول. لو أتيح لهما رؤية المبنى كاملًا، لأدركا أنه يشبه كنيسة تمَّ تحويلها إلى مكاتب حكومية، فالأعمدة والنوافذ المقوَّسة على يسار المدخل، والواجهات العلوية نصف الدائرية، تترك في النفس انطباعًا غامضًا بعض الشيء. لا يلتفت أحد عادةً لتمثال أبي الهول الحجري الذي يربض فوق السطح، إذ يأتي الجميع للمبنى من جهة شارع "لازلو روداس" وليس من الجانب الآخر للبناية.

من مسافةٍ بعيدة، ربما من الطابق الخامس مثلًا في العمارة التي تقع وراء قضبان السكك الحديدية لمحطة القطار القريبة، يمكن رؤية المبنى الحكومي في كامل تألقه وبهائه. مَن يأتيه من جهةٍ أخرى، غير شارع "لازلو روداس"، لن ينتبه إلى الرقم المحفور أعلاه بفخر وِفق

الطريقة الرومانية MDCCCLXXXXVI، والذي يشير إلى أنه لم يُشَيَّد قبل حربٍ واحدةٍ فقط وإنما اثنتين؛ أي في 1896، ذلك العام المتميِّز الذي يوافق ألفية تأسيس الدولة الهنجارية. صورة المرأة نصف العارية المحفورة في الحجر الرئيس الذي يتوسط أعلى المدخل، تمّ تفكيكها بأيدٍ ماهرة - أو بقنابل وأسلحة - لإفساح المجال لتزيين المكان بمعيَّناتٍ هندسية حادة. أضاف المعماري نفسه لمساته الخاصة غير المألوفة، فأزال الزاوية المطلة على تقاطع شارعيْ "لازلو روداس" و"فوروسمارتي"، ما جعل البناية تبدو ككعكةٍ قُطِع جانبها بسكين. في واجهة الطابق الثاني، استُعيض عن التماثيل بما يشبه ستارة من الـ"دانتيل"، أما الأسلحة التي كان من المُفتَرَض أن تزين المكتب، فغير موجودة؛ إما أن مكانها كان شاغرًا منذ البداية، أو أنها انتُزِعَت من أماكنها في دوامة الحرب العالمية الثانية.

في صباح يوم الجمعة القائظ ذاك، دخل الشابان هذا المبنى الذي كان في السابق القصر الماسوني الكبير لهنجاريا.

كان مبنى حكوميًا شيوعيًا بامتياز، لكنه أكثر أناقة بقليل عن المكاتب المعتادة بجدرانه الخشبية وبعض قطع الأثاث الأصلية المتبقية من الأزمنة السابقة. طُلِبَ من المهندس القديم تزويد المبنى بثلاثة مخابئ وورشتين. توافقَ ذلك مع الاتجاه السائد حينها بجعل كل شيء أفضل مما كان عليه، فعلى عكس ما شاع قبلها من بناء محافل منفصلة متعددة، فإنها هنا مبانٍ مُوَّحدة تتمتع

بالخصوصية. يضم الموقع قاعة طعام تدور فيها حوارات مرحة عقب انتهاء ساعات العمل، إلى جانب مطعم يؤجَّر كاستثمار، ومكتبةٍ عامة، وقاعة استقبال، وغرفة استراحة لممارسة الأنشطة المختلفة، بالإضافة إلى مكاتب.

وُزِّعَت الرموز الماسونية المختلفة في أماكن غير ظاهرة، بما يتفق مع ميل الحركة للسِرِّية والتكتم. زيَّنتْ باقات الورد الحجرية والنقوش أطُر نوافذ الطابق الثاني، أمَّا الجدران فخَلَتْ من الرموز الظاهرة. وحده صاحب الملاحظة الدقيقة، سينتبه إلى القطع الموجودة على سطح البناية خلف الحواجز المُزيَّنة بالجِرار. يستند أبو الهول الذي يعلو السطح إلى كرةٍ أرضية. الأمر الآخر الذي يميِّز السطح، هو بُومات أربع تمسك بقبة سماوية تتوزع عليها علامات الأبراج الفلكية. تحتوي قاعدة هذا التمثال على أهم الرموز الماسونية، متجسدةً في مربع يضم فرجارًا يعلو مثلثًا يمثِّل الرب.

دخل الشاب الأصغر حجرة المكتب ذات السقف المنخفض، شاعرًا بانقباضٍ في معدته. استقبله رجل قصير سمين، يرتدي بدلة مقدم، ويضع نظارة طبية بإطار ذهبي. لاقاه بترحابٍ دافئ طالبًا منه الجلوس، ثم اختفى خلف المكتب الضخم للحظات لكي يجلس على مقعده. بدا واضحًا أن المكتب عبارة عن عدة مساحات متداخلة، تم ضمها إلى بعضها، فكانت النتيجة أنه يتسع في بعض المواقع، ويضيق في بعضها الآخر. احتوى الجدار الخلفي على تجويف لا يمكن تحديد عُمقه، لعله مجرد ممر إلى غرفة أخرى. ليس من الصعب على أحد أن يختبئ في ذلك التجويف بغرض التنصت، إذ لا يمكن كشف ما بداخله بسهولة حتى بعد دخول الحجرة.

بسبب السقف المنخفض، والنوافذ المقوسة نصف المغطاة بشكلٍ عشوائي، والتي تم تصميمها في الأساس لمساحاتٍ أكبر بكثير، يجب أن يظل الضوء مُنارًا طوال ساعات النهار، وهو ما يجعل الغرفة في كثير من الأحيان تبدو كئيبة، كأصحابها تمامًا. للحجرة مَلمَح آخر يتسم بالغرابة.. فلسببٍ غير مفهوم، فإن الجزء الممتد لحواليْ متر ونصف أمام النافذة، يهبط عن بقية الأرضية بسنتيمترات غير قليلة، وهو ما يجعل مَن يمشي في ذلك الحيز يبدو كمن يعاني من عَرَجٍ في إحدى ساقيه. لعل الأرضية غير المستوية هي السبب في وضع طاولة المكتب في وسط الغرفة بالضبط، وما تبع ذلك من ابتلاعها لمساحة المكان. كانت الحجرة في حقيقة الأمر أشبه بزنزانة سجن. هل كانت في الأساس ما يُعرَف

بـ"الغرفة المُظلِمة"، التي يبقى فيها المبتدئون من المنضمين للماسونية في عزلةٍ انفرادية، كي تتاح لهم فرصة التفكر والتدبر وكتابة وصيتهم الروحية؟ أيًّا ما كانت في الأساس، فإنها مكانٌ غريبٌ يمنحكَ شعورًا بالضآلة والضخامة في الوقت ذاته. موظفٌ في يده السلطة التي تخوِّل له التحكم في مصائر غيره من البَشَر. في يمين الغرفة، خزنتان كبيرتان مصبوغتان باللون البني، تتدلى عدة مفاتيح من أقفالهما اللامعة، وإلى جوارهما مكتبة خشبية ببابٍ زجاجي على طراز "الروكوكو" خاوية تمامًا. في يسار الغرفة، مقعدان من الخشب من النوع الذي يلائم المقاهي وليس المكاتب، ومنضدة مستديرة من الرخام يغطيها مفرش فوقه طفاية من الكريستال، وسخان كهربائي يعلوه إناء قهوة لامع يتصل سلكه الكهربائي الأسود بفيشة تتدلى بإهمال من الجدار. سَرَتْ في الجو رائحة قهوة طازجة.

بعد أن عرَّف المقدم نفسه بأدب لزائره الشاب التزم الصمت، وأمضى بعض الوقت متأملًا أظافره النظيفة التي يوليها عناية فائقة. أمامه جواز سفر جديد لدرجة أن رائحته فاحت منه. واصل التدقيق في أظافر يده اليسرى، وأراح أصابع يده اليمنى فوق الجواز. نظر للفتى ببرودٍ كحيوانٍ مفترسٍ يفكر فيما سيفعله بضحيته: يقتلها فورًا، أم يعبث بها قليلًا أولًا؟

دُهِشَ الشابان حين نادت السكرتيرة - وهي امرأة خمسينية بشعرٍ مصبوغ، وفستان رمادي طويل فوقه بلوزة بيضاء بكمين واسعين - على أصغرهما، كما لو كان

الموقف تكرار لحكاية "يعقوب" و"عيسو" الخالدة، وتفضيل أحدهما على الآخر((9)).

هناك خياران أمام المقدّم. لقد صقلته التجارب وسنوات الخبرة الطويلة، وصار بإمكانه التعامل بنجاح مع أي موقف. كلماته جاهزة، ومخبّأة داخل دُرج مكتبه في الواقع؛ كل ما عليه فِعله هو سحبها من مكانها وإلقاءها لِمَن أمامه. إمّا بإثارة القلق والتشاؤم بشيءٍ من التهديد المُبطَّن، كمنعه من العمل مثلًا؛ أو بأسلوبٍ أكثر إغراءً وجاذبية، كالوعد بتحقيق كل الأحلام المؤجلة وتوفير الأمان. ككاتبٍ مُبدِع، يمتلك المقدِّم أكثر من نَصٍّ للموقف الواحد. لحظة تجنيد عميل مُحتمَل، هي الأكثر إثارة بين جميع واجبات وظيفته؛ مسرحية لطالما حلم ببطولتها منذ صغره، رغم إدراكه أنها عمل درامي تافه - فهو ليس أحمق على كل حال ويفهم حقيقة الوضع جيدًا - إلا إن هناك متعة خالصة في كشف الأمر للفتى الذي يجلس أمامه جاهلًا ما ينتظره.

كما كل المُشتبَه بهم، بمن فيهم المُتَهمين بجرائم لم يرتكبوها، كان الفتى يشعر باهتزازٍ داخلي، لعله خائف دون أن يدرك ذلك؛ بدا ذلك واضحًا في شفتيه المنفرجتين قليلًا، كأن ذلك يُعينه على التنفس، وفي بشرته التي شابها بعض الاحمرار، وفي بريق عينيه، وغيرها من العلامات التي لن تلاحظها إلا الأعين الخبيرة؛ علاماتٌ لن ينتبه لها صاحبها نفسه. رغم أن الفتى لم يكن مشتبهًا به -ولِمَ عساه يكون كذلك! - فإن هذه لحظة ثمينة يجب استغلالها. تعين على المقدِّم توضيح أن ميزان القوى غير

متوازن، ولكن كان عليه فعل ذلك بلباقةٍ ولُطف، حتى لا يخيف ضحيته؛ عليه سَحبها بهدوء ومهارة إلى فَخِّه. عادةً، ومع أشخاص يفوقون هذا الفتى ذكاءً وثقافةً، يكفي جدًا أن يلمِّح لهم من بعيد بالصعوبات والعراقيل التي ستواجههم في وظائفهم، أو الحوادث التي قد تصيبهم.

خلال دورةٍ احترافيةٍ تدريبيةٍ تلقاها المقدّم في "موسكو"، عثر بصدفةٍ أقرب للمعجزة على نسخةٍ مهترئةٍ من كتاب "تاليران" ضمن دراسته لمادة التاريخ السياسي. لاحظ أستاذه الكولونيل "فولكوف" صاحب الذكاء الخارق، نظراته التي تعلقت بالكتاب، فناوله إياه وهو يربِّت على كتفه مشجعًا. أحضر الطالب الشاب حينها قاموسًا من الفرنسية للهنجارية، ليتمكن من قراءة الكتاب. كان قد كذب على أستاذه، مدعيًا معرفته باللغة الفرنسية. الكذب هو أحد مآزق مهنته، لكن أحد رؤسائه كان قد أخبره وهو يصارحه بأمر علاقة خاصة ربطته بامرأةٍ ما، بأن:

- الكذب ليس كذبًا في جميع الأحوال، بل يمكننا أن نطلق عليه أحيانًا وصف "دبلوماسية"!

دون أدنى شك، وقع المقدِّم في شبابه خلال دراسته في "موسكو"، في غرام حياة "شارل موريس تاليران" الأسقف الفرنسي الذي تحول لثائر سياسي. صار بعدها يحفظ أقواله عن ظهر قلب ويردّدها طوال الوقت، مثل: "الرجل المتزوج صاحب الأسرة، على استعداد لفعل أي شيء مقابل المال". في مهنته، لا يُوَزَع المال بذخ وكيفما اتُفِق؛ المسألةُ في الأساس ليست مسألة مال فقط

في الواقع، بل قد تكون خدمات، ومكافآت صغيرة، ومبالغ تافهة، هدفها الرئيس هو إحكام الفخ حول الضحية وزيادة الشعور بالذنب في ضميره؛ هذه أمورٌ من ثوابت المهنة. من أقوال "تاليران" التي أحبّها المقدِّم أيضًا: "مُنِحَ الإنسان القدرة على الكلام، كي يحجب أفكاره الحقيقية". اعتصر المقدِّم ذهنه، بحثًا عن عبارة يثير بها إعجاب الشاب الجالس أمامه. الفتى يعمل في مجال المسرح، ويتمتع بثقافةٍ عاليةٍ وذكاءٍ شديد، وهما أمران تؤكد عليهما ملامحه((10)). فشل المقدِّم في اختيار جُملة تلائم هدفه، ولعلها ستأتي صُدفةً خلال حديثهما.

أهم ما في المسألة بأكملها، هو عدم إشعار الهدف المُراد بالخطة المُحاكة لتجنيده بالإكراه. في حالة السيدة "باباي"، لم يكن للإكراه أي دورٍ يُذكَر. صحيحٌ أنهم لم يبلغوها أبدًا بترقيتها وإعادة تصنيف رُتبتها((11))، لكنها ليست بحاجة لمعرفة ذلك أصلًا. بعد ثلاث سنوات من التعاون الخالي من المتاعب للطرفين، لا بد وأنها أدركت مدى جدية المسألة بأكملها. بالإضافة لذلك، ما الفارق الفعلي بين أن تكون "أحد المعارف" وأن تكون "زميلة سرية"؟ الفارق لا يكاد يُذكَر في الواقع، ولكن يجب مراعاة شعور الأفراد على كل حال. على الرغم من أنه بدا واضحًا من البداية أن السيدة "باباي" عضوة مخلصة بالحزب (هناك أشخاص غرباء الأطوار في هذا العالَم)، كما حرصت على التردد على إسرائيل، لرؤية والدها الذي تحبّه للغاية. لم تخلُ رحلاتها المتزايدة من المخاطر، فـ"الشين بِت"، والذي يُعَدّ أحد أقوى أجهزة

المخابرات في العالَم كلّه. ثم هناك مسؤولية زوجها المجنون التي تقيد رقبتها على الدوام، ذلك الزوج الذي تعاون معهم بطريقةٍ جيدةٍ، قبل أن يُصاب بجنونٍ مفاجئ. تعين على المقدِّم دراسة ملفاته الثلاثة السميكة، قبل أن يقرر تجنيد زوجته السيدة "باباي". تمتع الرجل بمواهبٍ خارقة للعادة، منها إجادته لسبع لغات إجادةً تامة. شابَ عمله بعض العيوب، منها ميله للإهمال والتصرفات المفاجئة. كانت معظم تقاريره عديمة الفائدة ومكانها الحقيقي هو سلة المهملات، ولكن تعين على المسؤولين الاحتفاظ بها في ملفاته. رغم عمله كصحفي، فإنه قليلًا ما كان يخبرهم بشيء. لطالما اشتكى الموظف المسؤول عنه من اضطراره لانتزاع الكلمات من فمه بصعوبةٍ بالغةٍ خلال لقاءاتهما في الشقة السرية. كان يشتكي أيضًا من أن للحكاية الواحدة روايات مختلفة. حين أطلعتهم السيدة "باباي" على تطور حالة البارانويا لدى زوجها، كاد المقدِّم أن يذكر شيئًا من أقوال "تاليران"، لكنه أمسك لسانه، وفكّر بأن الظروف الموضوعية تُثبِت الحالة الذِهنية الشخصية، وأن البنية التحتية تحدد البنية الفوقية، كما ذكر "ماركس".

بطبيعة الحال، ليس من المتوقع أن تكون التقارير ذات فائدة عظيمة على الدوام، ومع ذلك يجب قراءتها والعمل عليها. كان المقدِّم يكره هذا الجانب من وظيفته. الحقيقة أن القراءة المتمعنة لتلك التقارير، كانت تؤدي لاكتشاف معلومات متناثرة هنا وهناك بين الحين والآخَر. يجب جعل العميل السري في حالة انشغال دائمة، وعدم تجاهله

أو إهمال عمله. يجب أن يشعر بأنه مراقَب على الدوام. رغم تمتع "باباي" بمميزات عدة، لعل أهمها اللغات التي يجيدها، إلى جانب حماسه الواضح في عمله، إلا إن عيوبه كانت تطغى عليها. من تلك العيوب انزلاقه بسهولة في أي جدل مع أيّ شخص، بالإضافة إلى عدم قدرته على التعاون مع الأشخاص الذين لا يشاركونه قناعاته السياسية.

للأسف، انطبقت معظم عيوب عمله على طريقة السيدة "باباي" أيضًا، ما جعل الرفيق "إستفان بيرني" يشبّه تقاريرها - بسخريةٍ مريرةٍ - بتذاكر اليانصيب! استدعى الأمر تعويدها على التخلي عن عادتها في فرض رأيها الشخصي على التقارير التي تقدمها((12)). لم تبذل أيمجهود لإخفاء نفورها من الدولة الإسرائيلية. واقع الأمر،أن كراهيتها تلك كانت هي المحفّز لها لقبول التجنيد .توجب عليهم إقناعها بصبرٍ بالغٍ بفصل قناعاتها الشخصيةعن خدماتها، والتفرقة بين معتقدات الشبكة واهتماماتالحركة الاشتراكية.

أكثر من مرة، اضطر المقدِّم للومها وتأنيبها. اكتفى بذلك، دون أن يفكر في الأسباب التي رسخت تلك القناعات بداخلها؛ كان الوضع يستدعي نوعًا من التحليل الأنثروبولوجي، إذ نادرًا ما أتيح له لقاء يهودي يمقت الدولة اليهودية لتلك الدرجة((13)). في كل مرة يذكرفيها المقدم أن السيدة "باباي" وُلِدَت في إسرائيل،تحرص على التصحيح بشيءٍ من العصبية:

- ليس في إسرائيل، وإنما في فلسطين.

وفي كل مرة، لا يملك المقدِّم إلا أن يبتسم بعفوية. كان رد فعله هذا جارحًا لمشاعر السيدة "باباي"، لكنهلم يجد في أسلوبها إلا تصرفات صبيانية لا تستدعيالاهتمام. في إحدى المرات، أمضى نحو عشر دقائق فيالضحك المتواصل، بسبب جملة قرأها في أحد تقاريرالسيدة "باباي". ((14)) لكنه قرر حينها عدم إعطاءالأمر أهمية، وتخلى عن رغبته في إرضاء فضوله حولهذه العثرة اللا منطقية، التي وقعت بها زميلته السرية. كان يتحرّق لسماع إجابتها عن سؤاله:

- ما مصدر فكرتكِ العجيبة أيتها الرفيقة، بأن هناك "شعورًا باليهودية صادق أو زائف"؟

هو لا يتعاطف مع السيدة "باباي"، فهو نفسه تنتابه الشكوك أحيانًا، ويشعر بهَوَسٍ معين حيال بعض الأمور والقضايا، لكنه يرفض الاستسلام لها بشكلٍ قاطع، وإلا فإنه لن يستطيع تنفيذ مهامه على الوجه الأكمل. الواقع أن السيدة "باباي"، بكل تناقضاتها وبتخطيها الدائم لحدود المطلوب منها، تظل عميلًا مثاليًا. ساهمت عوامل عدة في وقوعها بين أيديهم بسهولة؛ منها أحوالها المالية المضطربة، وعجزها عن التعامل مع أفكار والديها غير المألوفة ورؤيتهما الغريبة للعالَم، بالإضافة إلى احتياجها الدائم لمَن ييسر دخول أقاربها الكثيرين لـ"هنجاريا" دون أية تعقيدات. بطبيعة الحال، تعمد المقدِّم في أحاديثه معها أن يكون تناوله لهذه المسائل عابرًا، دون أن يسألها في شؤونها العائلية. الشأن الوحيد الذي

يتناوله معها بشيء من التفصيل هو إجراءات الحصولعلى تأشيرات الفيزا. حين تسترسل السيدة "باباي"في الشكوى((15))، يحرص المقدِّم على الإصغاءإليها وإبداء تعاطفه الشديد معها، بينما يجهد عقله فيالتفكير في استخلاص أية معلومة مفيدة من هذه الثرثرةالطويلة، كي يكتبها في تقريره عن لقائهما. هل هناك مايستحق الكتابة عنه، من بين كل هذا اللغو والمعلوماتعديمة الفائدة؟ لطالما ردد الكولونيل "فولكوف" في"موسكو":

- للتفاهات نتائج عظيمة.

ربما كانت العبارة من أقوال "تاليران" في الأصل. على كل حال، قليلًا ما كانت السيدة "باباي" تميل إلى الخوض في أمورها الشخصية والحياتية، بل كانت تقوم بمناقشة واجباتها كعميلة للشبكة؛ واجبات تحرص على تنفيذها وإتمامها بكل طاقتها.

داخل المكتب، صورة بالأبيض والأسود يعود تاريخها إلى العام 1951، تُظهِر المبنى رقم 45 في شارع "بودمانيكزي"، وهو يستقبل أفواجًا من المحتفلين السائرين باتجاه ميدان الأبطال في الأول من شهر مايو. وُضِعت الصورة بين عَلَمين كبيرين واثنين آخرين أصغر حجمًا، وكُتب فوقها "مسيرة الشعب المناضل للحرية". هناك صُوَر لـ"لينين" و"راكوشي" و"ستالين"، حجم صورة "راكوشي" أصغر قليلًا من صورتي زميليه الروسي والجورجي.

بحلول عام 1978، كان قد مر على تحول المبنى إلىمقر لوزارة الداخلية أكثر من ربع قرن، بعد أن كان مقرًا لمجلس حماية الدولة. في بدء انتقال وزارة الداخلية لهذاالمكان، حمل الشارع لفترةٍ مؤقتةٍ اسم "روداس" قبلعودته لاسمه القديم "بودمانيسكي". في صباح ذلكاليوم من شهر يونيو، لم يكن المقدِّم ولا ضيفه الشابيعرفان بأن في هذه الغرفة ذاتها التي دار فيها حديثهماالطويل((16))، كانت سكرتيرة السياسي اليميني "جايولا جومبوس" - والتي تشبه سكرتيرة المقدم بشكلٍمُذهِل - تطبع خُطَبه. كان "جومبوس" حليفًا للأدميرال "هورثي" في بعض الأحيان، وشغل منصب رئيس الوزراءلاحقًا. في الفترة الممتدة بين عامي 1920 و1928، كان "جومبوس" رئيسًا للجمعية الهنجارية للدفاع الوطني.في تلك الأيام، كان الممر الضيق في نهاية الغرفة يؤديإلى المنطقة المغلقة الواقعة تحت القبة من الصالةالكبيرة، والتي أهملها الماسونيون مع بقية المبنى حيناستحوذ الشيوعيون على السلطة في 1919.

اختار "جومبوس" هذه المساحة الفسيحة مكتبًا له. أمضى مساعدوه الشبان أوقاتهم في السخرية من الرسوم ذات الطراز المصري القديم على جدران المكان. كانوا يرددون بأنها يهودية الطابع جدًا. لسببٍ غير مفهوم،وقبل حتى أن يُجبَر على التوقف عن التعبير عن معاداتهللسامية بسبب رئاسته الحكومة في 1932، قرر "جومبوس" الاحتفاظ بتلك الرسوم ولم يسمح بإزالتها أوتغطيتها بالدهانات. كثيرًا ما رأته السكرتيرة مستغرقًا

في تأمل نباتات البوص المرسومة على الجدران، وكأنها المصدر الذي يستمد منه قوته.

تم إخراج الماسونيين من المبنى في 19 مارس 1919؛ أي بيومين قبل تأسيس الجمهورية المجرية السوفييتية وقبل بدء فترة "الرعب الأبيض". بعدها بيومين أيضًا؛ أي في 21 مارس، قامت الجمهورية المجرية السوفييتية بالسيطرة على المحفل الماسوني الكبير. قامت منظمة "موف" اليمينية تحت قيادة "جومبوس"، باستلام المبنى في 14 مايو 1920. بتاريخ 18 مايو (بعد فرار القائد الشيوعي "بيلا كون" إلى "موسكو") قام وزير الداخلية "ميهالي دوموتور" بحظر الحركة الماسونية. في شهر سبتمبر من عام 1923، قام وزير الداخلية "راكوفسكي" -وهو للمفارقة ابن أحد قادة الماسونية الهنجارية - بإصدار أمر لإدارة الشهر العقاري، بتحويل ملكية البناية لصالح الصندوق الطبي الوطني للخدمة المدنية (وهو ما يشير إلى أن مافيا العقارات في هنجاريا قديمةٌ جدًا!). في أواخر العشرينيات، ترك "جومبوس" المنظمة التي ساهم في إنشائها، لكن رجاله الذين برز عدد منهم لاحقًا كأعضاء رئيسِيين في حزب "السهم والصليب" الفاشي، بقوا في المبنى والذي صار مقرهم الأساسي لمهاجمة اليهود. تحول قبو الماسونيين على أيديهم إلى مخزن للغنائم التي يستولون عليها.

كان حصار "بودابست" لا يزال ساريًا في فبراير 1945، حين خرج أفراد الحركة الماسونية من مخابئهم المتعددة في المدينة، مُطالبين الحكومة المؤقتة بإعادة المحفل

الكبير لهم. في ظل الحماس والبهجة اللذين تبعا انتهاء الحرب، تمت الاستجابة لمطلبهم، لكن الحكومة الجديدة أوصت بأن يتوصل الماسونيون إلى اتفاق مع حزب الفلاحين الوطنيين، الذي كان قد اتخذ من المبنى مقرًّا له، بحيث يتشارك الطرفان في استخدام البناية.

استطاع أفراد الحركة الماسونية الاستفادة من علاقاتهم الكثيرة والمتشعبة واستغلوها في تجديد المبنى، الذي بدأ في سبتمبر 1946 بفضل التبرعات المحلية والتمويل الأمريكي. مع بدء العمل، أصر الماسونيون على إخلاء المبنى، لكن حزب الفلاحين الوطنيين أعلن رفضه المغادرة. أمام إحساسهم بالهزيمة، قرر الماسونيون المطالبة بإدراج المحفل الكبير ضمن النصب التذكارية الهامة، في خطوة تسعى لنيل حق التصرف في المبنى وفق أهوائهم ومصالحهم. ورغم صعوبة الأوضاع الاقتصادية في تلك الفترة، إلا إن التجديدات ظلت مستمرة دون انقطاع. أحد أكبر العراقيل التي واجهتهم حينها، هي مشكلة المياه الجوفية، ولم تُحَلّ المشكلة من جذورها، وتم الاكتفاء بملء القبو بالحصى. في 15 مارس 1948، الذي وافق مئوية الثورة الهنجارية، أقيم حفل رسمي لافتتاح ورشة الطابق الأول من المبنى.

لكن هذه الأوضاع النموذجية لم تَدُم طويلًا. ففي أوائل شهر يونيو من عام 1950، شَنَّ "جوزيف ريفاي" - وهو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الهنجاري - انتقادًا لاذعًا على الماسونيين. بعدها بأيام، وتحديدًا في تاريخ 12 يونيو، هاجمت الشُرطة السرية المحفل الكبير ووضعت

يدها على المكان، وهكذا تقرر مصير المبنى.

أحاطَ بهما صمت ثقيل غير متوقَع، فشل المقدم في اختراقه، وأدرك معه أن التعامل مع الشاب الجالس أمامه سيكون صعبًا. أوحتْ ابتسامته الهادئة بالقوة والصلابة، وبنوع من الوحدة. لم يملك المقدم إلا احترام جميع تلك الصفات. وبسبب شخصية الشابّ القوية، تعثرت عبارات المقدم ولم تخرج بالصلابة المعتادة. تحولت الكلمات الحادة التي كان ينوي قولها، إلى ما يشبه قطع الزبدة الطرية داخل فمه.

سرعان ما أوشك الوقت المحدد للقاء على الانتهاء، لكن المقدم ظل يعتصر ذاكرته بحثًا عن مقولة لـ"تاليران" تُبهر ضيفه الشاب. الولد ليس رب أسرة، ولذلك لا تنطبق عليه عبارة "تاليران" عن الرجل المتزوج الذي يفعل أي شيء من أجل المال؛ أغلب الظن أنه لن يكون صاحب أسرة مُطلقًا، خاصةً مع تلك العينين الشبيهتين بعينيْ أمه السيدة "باباي". ليس بوسعه كسر حاجز الصمت الممتدّ بينهما. وقف خلف طاولة مكتبه، حاملًا جواز السفر بيده. لم تَطُل قامته كثيرًا بعد وقوفه. مدَّ يده بالجواز باتجاه الشاب، ونظر إلى عينيه الزرقاوين المائلتين للرمادي، وقال بحماسٍ لم يتوقعه هو نفسه:

- يجب أن تكون القهوة في سواد الشيطان، وفي سخونة الجحيم، وفي صفاء ملاك، وفي حلاوة الحب.

حين انتهى، احمر وجهه بشدة. استطرد موضحًا:

- "تاليران"..

أضاف:

- هل ترغب في فنجان من القهوة؟

باغتته الشعور بأنه ارتكب خطأً فادحًا. أجابه الشاب بابتسامةٍ عريضة:

- آه! "تاليران"!.. "إنها بداية النهاية".

كأنما يتبارى الاثنان في لعبة شطرنج، عاجله المقدِّم بالقول:

- إنها أسوأ من جريمة، إنها خطأ.

- إنه "فوشيه" في الواقع، كان وزير الشرطة في عهد "نابليون".

قال الفتى عبارته بثقة، وهو يتناول جوازه من يد المقدم.

- مَن؟

- لقد كتب "ستيفان تسفايج" كتابًا عنه.

تعاظمت حيرةُ المقدم، وتساءل:

- مَن ألف كتابًا عن مَن؟

أجابه الشاب:

- كلا، لا أريد قهوة. أشكرك، ولكن أخي ينتظر دوره في الخارج.

ترنح المقدم قليلًا باضطراب فحاول أن يتماسك، وقال:

- أرجوك..

تفاجأ هو نفسه من المذلة التي اعترت صوته. قال لنفسه بأن الوضع يشبه المشاهد الغرامية في الأفلام الفرنسية، حين يودع الحبيبان أحدهما الآخر في محطة القطار. مثلهما، كانت عيناه غائمتين، وأنفاسه متهدجة. سرعان ما استعاد تماسكه، وقال بحزمٍ وتصميم:

- من فضلك، لا تذكر ما دار في لقائنا لأخيك. هل يمكنك فعل ذلك من أجلي؟

- بالطبع.

قالها الشاب وهو يلتفت خلفه وينظر إليه، قبل أن يخرج من الغرفة. لبث المقدم في مكانه والتفت برأسه نصف التفاتة، وكأنه يرمق شخصًا في آخر الحجرة لا يراه غيره. بعد أن أغلق الشاب الباب وراءه، استدار المقدم وقال:

- ما رأيك يا "جيورجي"؟

وجه سؤاله لقائد الشرطة "جيورجي أوكسكو"، الذي برز من الممر. "أوكسكو"، الذي كان يلبس ثيابًا مدنية، أشعل سيجارة ثم قال:

- لا أدري.. ربما كان عليك أن تكون أكثر صرامة معه.

نظر إليه المقدم بحيرة، وسأله بدهشة:

- صرامة؟ لقد استطعتُ أن أبدو منطقيًا بالكاد!

- هل شخصيته آسِرة وقوية حقًا؟

لم يجب المقدم على السؤال، وإنما بادره بسؤالٍ آخر:

- هل تظن بأنه سيأتي مرة أخرى عقب عودته من رحلته؟

قال "أوكسكو":

- ليس لدي أدنى فكرة.

صاح مناديًا السكرتيرة:

- "ماريكا"!.. القهوة!

دخلت "ماريكا" الغرفة من الجهة المقابلة، من باب سري بين الخزانتين، يُفتَح دون صوت على الإطلاق. سألتهما:

- هل أعدها الآن؟

أجابها المقدم، بصوتٍ عميق:

- انتظري قليلًا أيتها الرفيقة.

اتسعت عيناها بانتباهٍ وحذر. أن يناديها المقدّم بلقب "رفيقة"، لهو نذير شؤم للغاية.

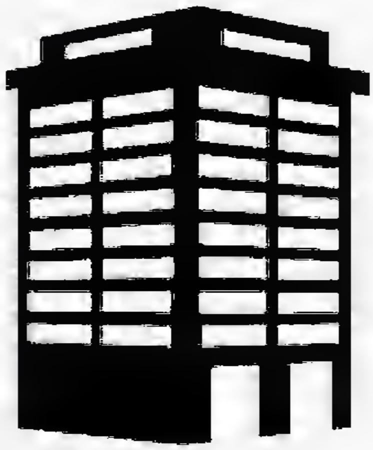

---

(9) لفتت السيدة «باباي» انتباهنا إلى ابنيها، وأخبرتنا أنهما يرغبان في السفر قريبًا إلى إسرائيل لزيارة أقاربهما (قررنا النظر في

أمرهما) .

(10)ذكرت السيدة «باباي»، التي تتعاون معنا بنجاح منذ فترةٍ طويلة، في آخر لقاء لنا معها بأن ابنيها قاما بتقديم طلب في وزارة الداخلية للحصول على جوازي سفر. وفقًا لما ذكرته السيدة «باباي»، فإن الهدف الرئيس من رحلة ابنيها هو المشاركة في الاحتفال بعيد ميلاد جدهما «آفي شاؤول»، وهو كاتب إسرائيلي بارز وناشط معروف في مجال السلام، ونائب رئيس الجمعية الإسرائيلية لحقوق الإنسان والحقوق المدنية.

(.......)

ابنا السيدة «باباي» هما: «بيتر فورجاتش» (تاريخ الميلاد: ١٠ سبتمبر ١٩٥٠) ويعمل باحثًا في معهد التعليم العام، و«أوندراش فورجاتش» (تاريخ الميلاد: ١٨ يوليو ١٩٥٣) ويعمل في مجال المسرح، ولا يزال عضوًا في المسرح الوطني في مدينة «كيتشكيميت». درس تاريخ الفلسفة في جامعة «لوراند أوتفوش»، ويتأهل حاليًا لأن يصبح مخرجًا سينمائيًا. هو عضو اتحاد الشبّان الشيوعيين ويدعي أنه شيوعي، لكنه يرفض المسؤوليات المصاحِبة لعضوية الحِزب. شخص موهوب للغاية، يجيد التزام الصمت، ويتمتع في الوقت ذاته بقدرةٍ عاليةٍ على الملاحظة.

استنادًا إلى معرفتنا، وجدنا أن أنسب وسيلة للتحدث إليه قبل سفره إلى إسرائيل، هي التحجج بتسليمه جواز سفره.

خلال حوارنا معه، سوف يتم لفت انتباهه إلى العراقيل التي قد تواجهه خلال سفره، والإشارة إلى المصاعب التي سيعانيها نظرًا لانعدام العلاقات الدبلوماسية.

سوف نجعله يوضح لنا الهدف الأساسي من رحلته، بجانب زيارة أهله، ويبين لنا الفكرة التي تقف خلف هذه الرحلة لإسرائيل، وتوقعاته المحتملة لها.

إذا ترك لنا هذا الحوار انطباعًا باستعداده للتعاون معنا، فسوف نقوم بالتحرِّي عنه عقب عودته.

سيدير الحوار مقدّم الشرطة الرفيق «ميكلوس بيدير»، بالتعاون مع الرفيق «جورجي أوسكو».

(11) بسبب معرفتها العميقة بإسرائيل، ولعلاقاتها الاجتماعية المتعددة هناك، فقد نجحت السيدة «باباي» في تزويدنا بمعلوماتٍ بحثيةٍ هامة، كما أنها لا تزال المترجمة الوحيدة التي تجيد العِبرية، ويمكن الاعتماد عليها. نظرًا لأن رتبتها كزميلة سِرّية لا تتعدّى كونها أمرًا رسميًا فقط، فإننا لن نقوم بإبلاغها بشأن ترقيتها.

(12) السيدة «باباي» امرأة حازمة وعنيدة، مليئة بالتصميم والجدية. عوامل عدة تمنعنا من منحها صلاحيات أكبر، منها سِنّها (٦٠)، وتعليمها الذي توقف بانتهاء المرحلة الثانوية، وطبيعتها المُشتتة بسبب مأساتها العائلية، بالإضافة لعدم تلقيها تدريبًا كافيًا.

(13) خلال حديثنا، بدا واضحًا أن تجارب السيدة «باباي» فيما يتعلق بالوضع الإسرائيلي تثير استياءها. عواطفها الحادة تمنعها من رؤية الأمور السياسية بطريقةٍ موضوعية. في كل مرة تؤكد على عدم وجود مبررات للسياسات الإسرائيلية.

(14) كتبت تقول: «إن اليهود.. هذا إن كانوا يشعرون بيهوديتهم (فغالبًا ما يكون هناك شعورٌ كهذا؛ سواء كان صادقًا أم زائفًا، لكنه موجود».

(15) السيدة «باباي» شريك يُعتَمَد عليه، تتمتع بالجدية والالتزام والأمانة، وهي مصدر ثقة. استطاعت إثبات نجاحها في مجال جمع المعلومات، لكن نشاطها متأثر بحالة زوجها المَرَضِية. إلى جانب ذلك، فإن أوضاعها الأسرية معقدة للغاية؛ لديها ثلاثة أبناء كبار شابان وفتاة. حياتها مليئة بالمصاعب، إذ يعاني الشابان من مشكلات حقيقية. خلال زيارة عائلية إلى الولايات المتحدة في العام الماضي، تزوجت الابنة -وكانت تخضع للمراقبة من قِبَل الأمن الداخلي- وقررت البقاء في الخارج. حرص جهاز الأمن على منعها من الدخول ثانيةً (إلى هنجاريا). مغادرة الابنة للبلد ومنعها من العودة، تسببا في دخول السيدة «باباي» في صراعاتٍ نفسية.

(16) بعد الموافقة على اقتراحي، تم عقد اللقاء مع «أوندراش فورجاتش» في الثالث والعشرين من يونيو ١٩٧٨، داخل مكتبي في قسم الجوازات. خلال حوارنا، لفتُّ نظره بتهذيب إلى المتاعب

المحتَمَلة لرحلته إلى إسرائيل، نظرًا لعدم وجود علاقات دبلوماسية بين الطرفين. أبلغته بأننا -بِناءً على طلبه- سنقوم بمنح الإذن لعددٍ من الشبان ممن نقدر جهودهم وأنشطتهم الشخصية والسياسية لزيارة إسرائيل. أخبرته أيضًا بأننا سنولي رحلتهم اهتمامًا خاصًا، لخشيتنا من تعرضهم لمضايقات، بسبب انعدام العلاقات الدبلوماسية. خلال حديثنا، حرصت على ذِكر موقف أو اثنين تعرض لهما مواطنون هنجاريون في إسرائيل. ساعد إلمامه بالمخاطر المحتملة على ترسيخ ثقته بي.

عقب ذلك، سألته عن سبب رحلته لإسرائيل وتوقعاته عن تلك الزيارة.

قال «أوندراش فورجاتش» إنه سيسافر بناءً على دعوةٍ من جده «آفي شاؤول» الكاتب الإسرائيلي المعروف، ليعاونه في تنظيم مقتنياته الأدبية، نظرًا لتقدم «آفي شاؤول» في العمر.

بعد ذلك، تبادلنا حوارًا قصيرًا وعميقًا حول إسرائيل، وحول تطور الأوضاع هناك. تمنيتُ له رحلة موفقة، وودعته مضيفًا بأنني سأسعد برؤيته عقب عودته، لأن خبراته وانطباعاته عن المكان هناك تهمني جدًا، لكنني نبهته بأن عليه رؤيتي بكامل رغبته، ولإحساسه بأنه سيقدّم لنا خدمة مفيدة، دون أن يسبّب له ذلك شعورًا بالضيق أو الانزعاج. طلبتُ منه إبقاء حوارنا سريًا، وعدم البوح به حتى لشقيقه الأكبر الذي كان متواجدًا في المكان. كنتُ سأتحدث إلى أخيه عقب انتهائي من لقائي به، لكنني لن أطلب من الأخ تقديم تقرير لي عقب عودته.

أوضحتُ لـ»أوندراش فورجاتش»، بأن طلبي لتقريرٍ منه يعود إلى قدرته على الحُكم الجيد على الناس، وأنه شخص يمكن الاعتماد عليه في تحقيق هدف نبيل.

شكرني «أوندراش فورجاتش» على ثقتي به، ووعدني بالحضور إلى قسم الجوازات فور عودته. أخبرته بأن رقم تليفوني موجود في القسم. بعد هذا اللقاء، أخبرتني والدة «أوندراش فورجاتش» بأنه اتصل بها وتحدث عن لقائه بي بطريقة إيجابية، وأكد لها بأنه ينوي تقديم تقرير لي عن رحلته لإسرائيل وما رآه هناك.

«أوندراش فورجاتش»، الذي يعمل باحثًا لصالح معهد التعليم العام، يعمل أيضًا في مجال المسرح، كما درس تاريخ الفلسفة في الجامعة، ويتأهل كي يصبح مخرجًا سينمائيًا، ويتمتع بشخصية جذابة وساحرة، ولديه ثقافة أعلى من المعتاد، ويجيد الإنجليزية بطلاقة.

عندما يأتيني «أوندراش فورجاتش» عقب رحلته، سأحاول الاستفادة منه وتوثيق علاقتي به، ووفق ما أراه، فإنه عميل محتمل ومفيد للغاية بالنسبة لنا.

مقدم شرطة/ ميكلوس بيدير

لندن

1962

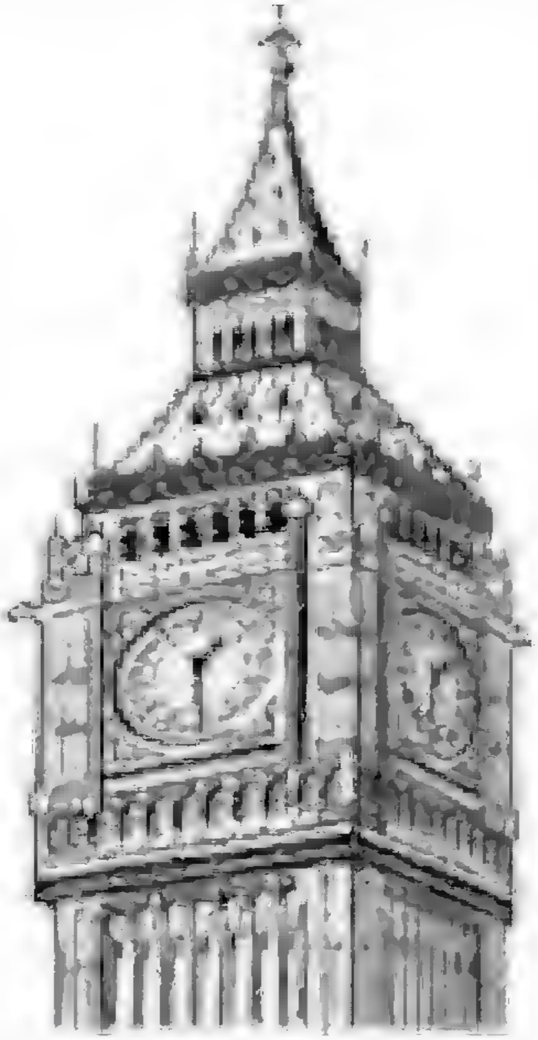

شعر "باباي" بالتوتر.

أمسك بيد ابنه الصغير الذي يبلغ التاسعة بقوةٍ بالغة، خلال سيرهما في "فينتشلي رود" بـ"هامبستيد"، إن كان يمكن إطلاق وصف "سَير" على ما يفعلانه، إذ جاهدَ الصغير للحاق بخطوات أبيه الطويلة وغير المتوقعة، وهما يمران بالمتاجر الصغيرة وطوابير الناس المنتظرين أدوارهم في محطّة الباص. أحاطت بهما روائح السمك المقلي والبطاطس المحمرة المنبعثة من المطاعم. راحت الفوهة المعتمة لمحطة المترو، تبتلع أُناسًا وتلفظ غيرهم

في الوقت ذاته. باقترابهما من وجهتهما، تزايد ضغط الأب على أصابع ابنه حتى تحولت أطرافها إلى اللون الأحمر، كأنما سيندفع الدم من تحت أظافرها في أيّة لحظة. رغم إحساسه بالألم، لم يجرؤ الصبي على قول كلمة.

استغرق "باباي" في تفكيرٍ عميقٍ ولم يلحظ المارة حوله. واصل السير بخطوات قلقة متسارعة، وهو يجر ابنه وراءه.

كان يغني.

التفت عددٌ من المشاة إليه. تلقف الولد نظراتهم لكنه ظل ملتزمًا الصمت؛ كان يدرك جيدًا بأن الكلام غير مُستَحَب في بعض المواقف، وأن السكوت حينها هو الأسلم. في بيتهم المزدحم في "بودا"، وفي شقتهم المُريحة هنا في "إلم تري هاوس"، تعلّم الصغار في أسرة "باباي" الاختفاء من أمامه بسرعة فور ملاحظتهم صرير أسنانه وتكور قبضتيه، والهمهمات الصادرة عنه في غيظ، وهو يصارع أعداءً غير مرئيين.

كان لديه الكثير من الأعداء.

أينما تلفَّتَ "باباي"، شاهد أشخاصًا ينوون تدميره. ربما بدأ الأمر مع فقدانه لأبيه وهو في الرابعة. أولئك الرجال طوال القامة، بملابسهم السوداء وهم يحدّقون به. يدُ الأب الثقيلة المُصفَرّة الباردة كالثلج، فوق رأس "باباي". الواقع أنه لم يكن نرجسيًا، منشغلًا بالتفكير في ذاته. لديه هدفٌ عظيمٌ يسعى لتحقيقه ويخشى الهزيمة؛ هدفٌ

للبشرية بأكملها لكنه وحيد، وحيدٌ للغاية.

استمر في الغناء.

قال الصبي بصوت خافت:

- بابا، لو واصلتَ الغناء، فسوف يظنون أنك أبله.

اجتاحه الندم فور نطقه لتلك العبارة. لماذا تكلم؟ ذلك الرجل الضخم الممتلىء، الذي يعشقه الولد ويتمنى أن يصبح مثله في كل شيء يومًا ما، وبنفس الفوضى والمزاج المتقلب وخفة الظل، والذي كان يغني بانسجام منذ لحظات أغنيةً مبهجة، تجمّد صامتًا في منتصف الطريق، مادًّا ساقه اليُسرى دون أن يُكمَل خطوته. التوت قسمات وجهه، وضغط يد ابنه بقسوة وهو يصرخ فيه. توقف بعض المارة، والتفت آخرون نحوهما بحثًا عن مصدر ذلك الصياح الأجش.

- كيف تجرؤ على وصف أبيك بالأبله؟

ارتسم الغضب الشديد على وجهه، وارتعشت شفتاه في غيظ. ترك "باباي" ابنه في وسط زحمة السَير في "فينتشلي رود"، وغادر دون أن يلتفت نحوه. غامت عينا الولد بالدموع ولم يستطع الحركة، ظل يتابع بعينيه الجسد الضخم المغطى بمعطف المطر الذي راح يتطاير مع الهواء، وهو يختفي في تلك الساعة المُبكّرة من الظهيرة بين الغرباء من الناس الكبار الذين يسكنون في "هامبستيد"، وهم يتسوقون احتياجاتهم قبل عودتهم لبيوتهم لمتابعة مسلسل "كورونيشن ستريت".

شعر "باباي" بالتوتر.

كانت لديه أسبابٌ وجيهةٌ لذلك التوتر. في ذلك الصباح، استيقظ في الساعة الخامسة، كي يصل إلى المكتب الصغير لوكالة الأنباء الهنجارية في "فليت ستريت" في الوقت المحدد. كان عليه الاطلاع على جميع الصحف وقراءتها بسرعة خارقة ليطبع تقريرًا قصيرًا بمحتوياتها، ويرسله إلى زملائه في "بودابست" بحلول الساعة السابعة. وصل متأخرًا عن موعده. عادةً ما يتصل به زملاؤه في أوقات غير منطقية، أو يمطرونه بطلباتٍ غير عقلانية. جميعهم يرغبون في إيذائه وتحطيمه؛ يريدون أن يثبتوا كسله وعدم كفاءته لوظيفته وعدم احترافيته. سوف يُريهم مَن هو الكسول غير الكفء! طَبَعَ تقريره بإصبعين بأقصى سُرعة دون أن ينظر إلى مفاتيح الآلة الكاتبة، وكأنه عازف بيانو ماهر. كان يستمتع باستخدام الآلة الكاتبة، ويمكنه الطباعة عليها في وقتٍ وجيز. لا تنقصه المهارات اللغوية أيضًا التي تميزه ككاتبٍ صحفي بارع. معتقداته الفِكرية المتوارثة صارمة ولا تشوبها شائبة. مَن أفضل منه؟ مَن؟ لقد بنى حياته من الصفر، للمرة الثالثة.. كلا، بل للمرة الخامسة، كطائر العنقاء وهو يخرج من الرماد، من دمار حرب فظيعة اكتفى بمتابعتها دون أن ينخرط فيها، بمكره ودهائه ووحدته ووسامته ومهاراته اللغوية.

لكن نجاحاته في بناء نفسه من جديد كانت هَشّة، فها

هي حياته تنهار من جديد، في اللحظة التي بدأ يفهم فيها خبايا وأسرار مهنته ومهمته، بعد أن ارتبط بعلاقات اجتماعية مع الأفراد الذين ينبغي عليه معرفتهم عن كثب، وتأهب للاستفادة من المعلومات التي يجمعها من معارفه الجدد الذين نجح في اكتساب ثقتهم وتقديرهم. وظيفة أحلامه التي بدأها منذ سنتين، كانت بمثابة جائزة تكريم على سلوكياته وتصرفاته عقب 1956. كان شيوعيًا. عرف فورًا كيف يحدد موقفه، في تلك الأيام الساخنة، السعيدة، المُزعجة، الخَطِرة، المليئة بالخيانة والجريمة، من شهر أكتوبر قبل ستة أعوام. شعر بالاعتزاز لموقفه، وراح يتفاخر به علنًا في مجتمعٍ عاد سريعًا للخوف والصمت، عقب أيام معدودات من بهجة الحرية. نال مكافأته: أربعةُ أعوامٍ في لندن. ليس ذلك فحسب، بل التقى الملكة نفسها وانحنى أمامها! ذلك الحقد والاستغراب اللذان يلمحهما في أعين الناس في الشارع، يمنحانه نوعًا من الرضا الممزوج بالمرارة. إنه يعرف جيدًا الكلام الخبيث الذي يردده زملاؤه من ورائه. حين يضطرون للحديث معه وجهًا لوجه، فإنهم يفعلون ذلك باحتقار بالغ. نعم، تجدد بداخله الشعور بأنه قادر على إدارة حياته بشكلٍ مختلف، وإنعاش أحلامه وآماله، وإنجاز مهمته الحقيقية أخيرًا. يؤمن أن بإمكانه الآن تصحيح أخطائه، وإبادة أي فشل عانى منه في الماضي؛ الفشل الذي لم يحدث إلا لكونه غريبًا حملته الرياح إلى "بودابست"، ولم يُولَد هناك، لم يولَد في أي مكان، لم تطأ قدماه مكان مولده ثانيةً. لم يتعدَّ الحدود الجغرافية إلى هناك، ليرى ما حل بالمكان الذي شهد صباه، حيث

تعرض كل من أحبهم للقتل.

لم يكن يومًا من المُقربين من مصادر القرار، لكنه كان يدعي ذلك بكلماته المعسولة، وبحماسه الذي لا يفتر للأيديولوجيا الجديدة التي يعتنقها، وهي البلشفية. قفز إلى المجهول بمفرده، دون الاستناد إلى حميمية الصداقات المتينة التي يكونها الناس على امتداد أعوام طويلة. كان يفتقر أيضًا إلى العائلة بمعناها الحقيقي، إذ اختفى أفرادها في معسكرات الإبادة النازية. باختصار، لم يكن لديه شبكة علاقات إنسانية تدعمه وتقويه، كل ما كان يمتلكه هو إيمانه الراسخ بالأيديولوجيا التي يعتنقها، والتي يتعامل معها كدينٍ حقيقي يفسر له ماهية الحياة والعالَم. ساهمت الرسائل التي كتبها لرفاقه في الحزب في جعل موقفه أكثر سوءًا، إذ لم تخلُ واحدة منها من ملاحظاته القاسية عن زملائه والشكوى منهم، ما جعلهم يصمونه بـ"الواشي" قبل أن يصبح واشيًا بحق. "الواشي".. أسوأ ما يمكن أن يُتهَم به إنسان. حتى مَن قدموا له يد المساعدة، تعاملوا معه بحذرٍ وحَيطة. يهوديٌّ يكره الصهيونية؛ يا لها من مفارقة! كان غريبًا بحق.

لكنه واجه كل هذه التقلبات، وبنى حياته من لا شيء بعقلانيةٍ شديدة. بعد الحرب التي فقد فيها كل شيء، نال فرصةً جديدة؛ أعظمُ هديةٍ منحتها الحياة له: أجمل امرأة على وجه الأرض، وهي فوق ذلك تؤمن بنفس معتقداته، وبالمستقبل المُشرِق للإنسانية. ربحها كزوجة ورفيقة، رغم أنف منافسيه المُشككين في قدرته على الفوز بها. كثيرًا ما ردد على مسامعها:

- أنتِ "إنجريد بيرجمان" الثانية.

كان يقول ذلك بطريقةٍ عقلانية وصوتٍ مُتعَب، وكأنه ينهي جدالًا محسومًا. الحقيقة أنه خطط للإيقاع بها والاستيلاء عليها، رغم إدراكه أن علاقتهما كانت حبًّا من طرفٍ واحد فقط، وأن عواطفها كانت مِلكًا لشخص آخر، لكنه كان راضيًا؛ يكفي أن زواجه مَبني على مبادئ حياته نفسها. كان شابًّا في السادسة والعشرين، نجا من تلك الليلة حالكة السواد، وخرج بعدها لمواجهة العالَم بزئيره. صارت كلماته أكثر صدقًا وإقناعًا، لأنها نابعة من روح فتى مُشتت. إيمانه الجازم بما يقول ويردد، أضاف لعباراته سِحرًا، رغم ما شابهها من سطحية.

هذا أحد خطاباته كلمةً كلمةً وقد كتبه بالإنجليزية، لأن فتاة أحلامه المولودة لأبوين هنجاريين تعيش في الأرض الموعودة. لغتها الأم هي العِبرية الحديثة المستمرة في التغير والتبدل، وهي لا تتكلم الهنجارية. كتب يقول:

"القدس - 12 فبراير 1946

عزيزتي "بروريا":

لا تزال رسالتكِ المؤرَّخة بالرابع والعشرين من أكتوبر هي مصدري الوحيد للمعلومات التي أعرفها عنك. لم أستطع تخمين أسباب صمتك. لا أود التسرع في الوصول لمبررات، وكل ما أريده هو خطابات أكثر منك، نتبادل فيها الآراء، نظرًا لوضعي المُعقَّد.

أود أن تعلمي يا "بروريا" بأني توصلتُ إلى قرارٍ معين؛ لعل هذا هو الجانب السهل من المسألة، وأنا متأكد من

أنكِ تتفقين معي. الخطوة الآتية هي التخلص من الحِمل الزائد عن الحاجة، الذي يسد طريقي نحو الإدراك.

إن التخلي عن معظم واجباتي في الحركة، لهو أمرٌ شديد الصعوبة، خاصة وأنني لا أجد حولي مَن يستطيع أداء هذه المهام، على الأقل بنفس الكفاءة التي أحاولُ بها، لكنني مضطر للتخلي عنها، وإلا بقيت خططي بشأن الكيمياء مجرد وعود فارغة.

رأيتُ "هيلموت" اليوم. أخبرني بأنكِ تلقيتِ خطاباتي، وأنكِ سعدتِ بالأخبار. حين سألته لماذا أصبحت "بروريا" صامتة مؤخرًا؟ وكنتُ أقصد الرسائل، قال لي بأنكِ مشغولة جدًا عن مثل هذه الأمور. كان عليَّ تقبل هذه الإجابة، إذ ليس باستطاعة "هيلموت" فعل شيء. على كل حال، أنا أدرك بأن هذا ليس هو السبب الرئيس.

هل من الكثير على شخصٍ مثلي يظن نفسه مقربًا منكِ، أن يطلب منك مصارحته بأي تغيير قد يطرأ على الوضع؟

كتبتِ لي عن نفسكِ، قائلةً: "قلبُ بروريا لن يتغير؛ ما كنتُ سأمنحكَ أملًا، لو لم أكن متيقنة" ومع ذلك، فإن مثل هذه الأمور تحدث؛ وإلا فما الموضوع بالضبط؟ هل قررتِ عدم الرد عليَّ لبعض الوقت، كي تمنحي نفسكِ فرصة التفكير في كيفية نقل قراركِ لي؟

لم تكتبي لي؛ لا بد من وجود سبب لذلك.

فلنفترض أنني اخترتُ الطريقة التي اتبعتُها في خطاباتي السابقة للتقدم إليكِ، أعني الإنسانيات وما إلى ذلك. كيف سيكون رد فعلكِ حيال علاقتنا؟ أما كنتِ ستتخلين

عن الأمر بأكمله، وتتوقفين عن الكتابة إليَّ؟

أتمنى ألا تصدق ظنوني. أنا أسائل نفسي، وأسألكِ. لقد مرت أسابيع "بشيءٍ من الاضطراب"، وها أنا أعيد استخدام عبارة لك. كنتُ في "تل أبيب" مساء الجمعة، وبتُّ ليلتي في منزلكم. قابلتُ شقيقكِ لكننا لم ننجح بعدُ في توثيق علاقتنا، رغم محاولاتي الدؤوبة. كان متحفظًا بعض الشيء. زوجته رائعة؛ أعجبتُ بها منذ اللحظة الأولى. إنها اجتماعية وودودة للغاية. تبادلتُ الحديث مع والدك. لم يحضر احتفالات السابع من نوفمبر بسبب دور برد أصابه. إننا نتقارب أكثر في كل لقاء. أود استيعاب شخصيته، لكن ذلك صعب، لأن حواراتنا تقتصر على أسئلةٍ من جانبه، وإجاباتٍ من جانبي. أنا وحدي المهتم بالتقرب منه.

لا بد أن أتوقف عن الكتابة الآن. تأخر الوقت، وأنا مُتعَب لدرجة الشعور بآلامٍ في عينيَّ. تصبحين على خير يا "بروريا"، ولا تنسي أن تكتبي لي عما تجدينه مهمًّا وضروريًا. إنني أجازف باحتمالاتي معكِ.

المخلص/ "مارسيل".. الذي يحبكِ وحدكِ حُبًّا لا شفاء منه".

بعد أكثر من عشر سنوات وفي حجرةٍ دون نوافذ، وضع إمضاءه على ورقةٍ صغيرةٍ ستكون وسيلته لمهمةٍ مُربِحة. ليس في إطارٍ مادي، رغم أنه أبٌ لأربعة أبناء ويكفي متطلباتهم بالكاد، وإنما في إطار روحي. في الستينيات، خلال الحرب الباردة، كانت الوظيفة التي يشغلها ملائمة جدًا لأمثاله، ذوي العقائد الصارمة والعقول المَرِنة.

إمضاؤه تلك الورقة، وتعلمه أساسيات الجاسوسية، وكيفية استخدام الرموز والشيفرات، كانت ثمنًا بسيطًا دفعه بحماسٍ وعن طيب خاطر كي تسنح له فرصة الانتقال إلى مدينة الأحلام "لندن" مركز العالَم. وقَّع الورقة دون أدنى شعورٍ بالتردد. تعين على كل صحفي يعمل بالخارج فعل الأمر ذاته من باب الواجب الوطني.

خلال لحظات، تحول إلى شيئين: أول مراسل صحفي لوكالة الأنباء الهنجارية في لندن عقب الحرب؛ وعميل سري يحمل الاسم الحركي "باباي"، ويتبع مكتب المخابرات رقم 2/3 في قسم التحري السياسي بوزارة الداخلية.

ما سبب اختياره لاسم "باباي"؟ المتوقَع أن يختاره الشخص لأن جذوره تعود إلى المدينة التاريخية الهادئة "بابا" (التي يشير اسمها إلى بابا الكنيسة) في منطقة جبال "باكوني" غرب "بودابست"، لكن الحقيقة هي أن "باباي" لم تسبق له زيارة مدينة "بابا"، وليس هناك أيُّ علاقة تربطه برئيس الكنيسة الكاثوليكية، ليس هناك أيّ شيء "بابوي" بشأنه. الواقع أنه يهودي غير مؤمن في الأساس!

لم يخلُ اختياره من الغرابة، لكنه بدا مُستعدًا لهذا التغيير العجيب في هويته. هل "الاسم نبوءة" حقًا كما في المقولة اللاتينية؟ لم يخطر الأمر بباله، لكن تخليه عن اسمه الحقيقي قبلها بسنوات، واتخاذه لقبًا عائليًا جديدًا، يؤكّد تلك المقولة. قبل عدة أعوام، خلع عن نفسه لقب "فريدمان" (والذي يعني رجل السلام) وارتدى بدلًا

عنه ثوبًا رماديًا عديم الملامح، حين أطلق على نفسه لقب "فورجاتش". اكتفى بالحفاظ على الحرف الأول من اسمه القديم، واختار عوضًا عنه اسمًا عريقًا تفخر عدة عائلات بحمله، ويعني "رقاقة خشب".

في العام 1948، وبطلبٍ من رئيسه في العمل، غادر "مارسيل فريدمان" مكتبه، ووقف في ممر قسم الصحافة بمقر رئاسة الوزراء الذي يشغل فيه وظيفة هامة، ثم عاد بعد قليل مقدمًا نفسه كـ"الرفيق فورجاتش". الرفيق "رقاقة خشب"؛ دليلٌ على رغبته في أن يكون شظية أو جزءًا صغيرًا انتُزِعَ من كائنٍ حي.

"السيد رقاقة خشب".. ألا يبدو الاسم كشخصيةٍ في مسرحيةٍ لـ"شكسبير"؟

لكنه لم يكن مهتمًا بوقع الاسم على الآذان؛ الأهم ألا يبدو يهوديًا. الحِزبُ مليء باليهود لدرجةٍ تزعج المسؤولين في "موسكو". على المرء أن يكون حَذِرًا؛ أن يخبّىء هويته الحقيقية. هذه هوية قديمة ولا شك، لا بد أن أحدًا تركها وراءه في خضم فوضى الحرب العالمية الثانية، هذا ما قاله لنفسه على الأقل. كما أن الاحتفاظ باسمٍ يهودي، في الوقت الذي أُدين فيه عددٌ من الأطباء - معظمهم من اليهود - بالتآمر على تسميم الأخ الأكبر نفسه في الكرملين، مسألة غير مأمونة العواقب.

لإتمام إجراءات هذه التغييرات، تلقى مساعدة من أحد ضباط وزارة الداخلية.

أمسك الملازم "تاكاكس" قلمًا بين أصابعه، وتابعَ

باستمتاع ودهشة الرجل الذي سيحمل اسم "باباي" بعد قليل. تأمل وجهه الطفولي المستدير، ونظارته الرخيصة المضحكة ذات الإطار الأسود العريض، التي اشتراها لنفسه من خلال التأمين الصحي للنقابة. حدد المستطيلان الأسودان لإطار النظارة، رأسه الأصلع ووجهه الممتلئ. في البداية، أراد الملازم إطلاق اسم "بابازِم" عليه (في إشارةٍ لنظارته. الكلمة قديمة جدًا ولم تعد مستَخدَمة، ويعود أصلها إلى البابا "ليو العاشر" الذي عانى من ضعفٍ في الإبصار، اضطر معه لاستخدام نظارة طبية ذات إطارٍ ذهبي. أثار البابا حينها إعجاب المندوبين الهنجاريين في الفاتيكان، وإعجاب الفنان "رافاييل" الذي رسمه بصبرٍ ودأب). تراجع الملازم عن فكرته، وشعر بأن لقب "بابازِم" سيكون مضحكًا، أقرب لأسماء الهنود الحُمر مثلًا.. كـ"عين الصقر" أو ما شابَه. توصل الملازم إلى حلٍ وسط، فليكن الاسم "باباي"، هكذا تكون له مسحة دينية بابوية أيضًا.

هذه طريقة أخرى لإخفاء أي يهودي: اصبغه بألوانٍ كاثوليكية! خطة جبارة! أحس الملازم بالرضا البالغ عن نفسه. أومأ "باباي" موافِقًا؛ نعم، سيكون "باباي". وقع الوثيقة الموضوعة أمامه باسمه الجديد في حماس.

التخلص من الهوية، خطوة خطوة.

الواقع أنه حتى "فريدمان" لم يكن لقب عائلته الأصلي. تم اختياره عقب إصدار القيصر "جوزيف" في العام 1787، مرسومًا يقضي بأن يغير اليهود أسماءهم لأخرى ألمانية تحمل المعنى نفسه. ضاع اللقب الأصلي.

بعد نحو مئتي سنة، اقتحم الرفيق "رقاقة خشب" المسرح تاركًا وراءه الرفيق "فريدمان"، وها هو الآن يتحول إلى العميل السري "باباي" ويوقع الأوراق بهذا الاسم الجديد.

في الستينيات، وعقب فشله في العثور على هويةٍ فتَّش عنها طويلًا، اخترع شخصيةً بديلة؛ كائنٌ عجيبٌ يُدعى "أوجو كاتز"، شخصٌ يمكنه تمييزه والتواصل معه. "أوجو" يكره الموسيقى، كانت تلك صفته المميِّزة. الموسيقى تصيبه بالتوتر؛ موسيقى، مجرد ضجيج سخيف، موسيقى؛ الشيء الوحيد القادر على إسعاد زوجته وأم أطفاله الأربعة.. "شوبرت" و"موزارت" و"باخ"، كل ذلك هراء.

كان هذا بمثابة الحفرة المظلمة التي يزحف إليها "أوجو كاتز" كلما تأزمت الأمور، قبل أن تزداد أوضاعه سوءًا؛ كانت تلك هي محطته الأخيرة.

عودةٌ إلى حبهما وعلاقتهما العاطفية. اضطر "باباي" لكبت رغبته في مضاجعة أية فتاة أخرى، وأدرك بأنه حتى لو فعل ذلك فلن يشعر بالسعادة. طالَ انتظاره لردٍّ من خطيبته، وحين لم يتلقَ منها شيئًا بادر بكتابة خطاب جديد لها. هذه المرة، أوضح لها قراراته التي رأى أنها ستشكل أساسًا قويًا لزواجٍ ناجح، كما حاول إثبات جديته، عبر جمعه بين دراسته في الجامعة العِبرية بالقدس المعروفة بسُمعتها المرموقة، ووظيفته المحترمة أو شِبه المحترمة للدقة. يعترف في خطابه بأن عِلمه ومعرفته لا يرقيان لمتطلبات مهنته المختارة (لم يستكمل دراسته

في نهاية الأمر). كان قبوله لممارسة مهنة متواضعة، خطوة جادة في دربهِ الوظيفي. مثل صياد ماهر، كان يقترب من فريسته ببطءٍ وثقة؛ يعِدُها في الخطاب – كان صعبًا عليه مقاومة إغراء أن يصبح ثوريًا مجيدًا - بالانسحاب من جميع أنشطة الحِزب، رغم كونه نجمًا لامعًا في ذلك المجال، وينتظره مستقبل مُشرِق؛ كان من الكوادر الضرورية التي لا غنى عنها. كان على استعداد لتأجيل خطوة العمل السياسي من أجلها. أخبرها بأنه عثر على مكانٍ لهما داخل بيت الطلبة، لكنه يعترف لها بعد ذلك مباشرةً بأنه يفتقر إلى الخصوصية، ما يجعله غير ملائم لشهر العسل. كل خطةٍ يذكرها، تبدو عظيمةً في أول الأمر لكنها سرعان ما تنهار في اللحظة التالية أمام الحقيقة القاسية. هكذا هو الشباب؛ اركُض في مواجهة الريح، اتبع أحلامك، هكذا هو القدر. الفكرة نفسها هي الأهم، النموذج - هل يستلزم أن تكون الفكرة واقعية؟ على الإطلاق؛ كلما كانت أقل واقعية، استحقت التنفيذ كي تتحقق. يفاجئها بفكرةٍ أخرى، كساحر ألعاب خِفَّة يسحبُ أرنبًا من قبعته الطويلة؛ إنه يحاول مسابقة الزمن وتنفيذ المستحيل: فلنتزوج خلال عيد الأنوار! عيد الأنوار موجود. عيد الأنوار مهمّ. عيد الأنوار هو الحل! عيد الأنوار والزواج يلائمان أحدهما الآخر تمامًا، إنهما نصفان متكاملان، كلُغزٍ وإجابته. عَرضٌ لا يُقاوَم، لأنه كما يقول: "لا يعرف متى سيكون بمقدورنا الجمع بين هاتين المناسبتين مرة أخرى".. أليس هذا في حد ذاته أمرًا لا يقبل الجدل؟ كل ما في الخطاب أشبه بقصورٍ من الرمال، لكنها في الوقت ذاته قصور رائعة وأقرب للمعجزات!

سوف تكون شريكة حياته، وسوف تقفز معه دون تردد إلى الهاوية.

"القُدس،

21 فبراير 1946"،

حبيبتي "بروريا":

بدأتُ في ممارسة الشيئين معًا: أي المَعمل والوظيفة صباحًا. لا أدري أيّهما أسوأ من الآخر. خلال وجودي في المَعمل، أفكر في الكيفية التي يمكن بها لشخصٍ مثلي تنقصه المعرفة الكافية أن يمتهن الكيمياء. الأمر أشبه بمغامرة. يتوجب عليَّ سد القصور الذي أعاني منه. لو كنتِ معي، سأدرس بسهولةٍ أكبر. أحاول إزالة الصدأ عن عقلي، كي يتمكن قلبي من تزويده بدمٍ جديد.

الوظيفة ليست سيئة، ولكن عليَّ أن أبيت في مكانٍ قريبٍ، حتى أتمكن من الذهاب إليها في موعدي دون تأخير. أنظّف نحو 14 أو 16 آلة. حين يكون الليل جافًا تكون المهمة أسهل، ولكن عندما تغطي الرطوبة تلك الآلات أواجه مشكلة بالغة التعقيد؛ أولًا، يستغرق الأمر

ضِعف الوقت المعتاد. ثانيًا، أفشل في تنظيفها على الوجه الأكمل، وحينها لا يبخل الزبائن عليَّ بالصياح والألفاظ المنتقاة، كي يعرفوني رأيهم!

يستهلك الحِزب معظم وقتي. لا عُذر لي. إننا نقترب من عَقد المؤتمر العاشر. سوف أحاول عدم الاشتراك به، على الأقل كي أستغل أيامه الثلاثة في استذكار دروسي بهدوء، دون أن أضطر للانتقال من "حَدَث بالغ الأهمية" إلى آخر، باعتباري عضوًا "ضروريًا لا غنى عنه". أحاول حاليًا إقناعهم بأن كوني طالبًا جامعيًا لا يعني فقط الانخراط في الأنشطة السياسية داخل الجامعة، إذ إنني بحاجة للدراسة والمذاكرة أيضًا.

كنتُ أفتش عن غرفة في الحي الذي أعمل به، لكنني لم أجد شيئًا يناسبنا. في أسوأ الظروف، سنعيش في بيت الطلبة. طلبتُ الإذن بذلك من منظمة الطلبة، ولم يلقَ طلبي أية معارَضة. المشكلة هي انعدام الخصوصية في تلك الأماكن، ولا أجد مبررًا يجعلني أتشارك اللحظات القليلة التي ستجمعنا معًا مع عددٍ كبيرٍ من الأغراب.

دعيني أسألكِ يا "بروريا".. ما رأيكِ لو تزوجنا خلال عيد الأنوار؟ ستمنحنا الجامعة إجازة لمدة أسبوع كامل. سوف يكون بإمكاني قضاء وقت معكِ يتجاوز الخمس دقائق يوميًا. يمكننا الذهاب إلى "تل أبيب" ليومين، أو "حيفا". إذا لم نتزوج في عيد الأنوار، فإنني لا أعرف متى سيكون بمقدورنا الجَمع بين هاتين المناسبتين مرة أخرى.

لا تنسي تبليغ سلامي إلى "نعمة"، ولا تنسي أنني

أحبكِ أكثر من أي وقت مضى. إن كنتِ تشعرين بتعبٍ في عينيكِ، فاذهبي إلى طبيب العيون من فورك. لن تفسد النظارة الطبية جمالك. سوف أكون في "تل أبيب" عصر السادس من الشهر القادم.

"مارسيل".

من الجميل قراءة تلك الكلمات التي تشبه جَمَرات حارقة، والإحساس بذلك السَيل الجارف من الحب غير المشروط، وتلك المبالغات التي تميز الحُبّ الأعمى. للأسف، شكل الأمر بالنسبة له انتصارًا بالغ السهولة في نهاية الأمر. بعد ثلاثة أشهر، كتب الملاحظة التالية: "مشاعري قويةٌ للغاية، ولذلك فإنها مُحَيِّرة". أدرك الزوج الشاب الشاعري والعقلاني في الوقت نفسه، والمتسلِّح بثقافته التي اكتسبها من قراءاته لـ"ماركس" و"إنجلز" و"لينين" و"ستالين"، أن الحقائق والواقع أقوى أحيانًا من الكلمات. لم يكن خائفًا من الحقيقة المُرَّة "لأنه لا توجد أرض صلبة تحت أقدامنا، ولأنني فقدتُ أيَّ علاقة تربطني بحياتي الماضية". كان لعدم الاستسلام في حالته معنى واحد؛ وهو اضطراره لمواجهة حائط الصمت السميك. "أحببتكِ، رغم انعدام الأمل بلقائك".

أنهى خطابه بعبارةٍ مؤثرة: "روعة عواطفكِ الحبيسة في أعماقكِ". وهذا نَصُّ الخطاب:

"19 مارس 1947

حبيبتي "بروريا":

مّرت ثلاثة أشهر على زواجنا. حان وقت إبداء بعض الملاحظات بشأنه، رغم أنني لا أعرف شيئًا عن مستقبل علاقتنا، وكل ما أنا متيقن منه هو رغبتي في دوامها واستمرارها.

بدايةً، هناك شيء يدركه كلانا: لكل الزيجات متاعبها في بداياتها؛ لكن لوضعنا خصوصيته، إذ أخطأنا في تقدير حجم المخاطر المحتملة، ولم نُولِها الأهمية المطلوبة. تعاملتُ باستخفاف مع حقيقة أنكِ لم تحبيني. أنتِ، من جانبكِ، دفعتكِ جرأتكِ الزائدة إلى توقع تحمل متطلبات وتعقيدات الزواج من أي شخص (أي شخص لا يربطكِ به حب أو غرام).

كنا مخطئَيْن، لكن كلانا لم يستسلم. هذا هو "المَدَد الغَيبي" - deus ex machina - كما يقولون في عالَم الأدب، وهو مفاجأة لي ولجميع المتشككين.

لم نستسلم، لأن ذلك كان حَلًّا آليًا.

لم نستسلم، لأنه ليس هناك ما يضمن لنا بأن القادم الذي ينتظرنا هو بالضرورة أفضل، أو على الأقل في مستوى ما نعرفه واعتدنا عليه وليس أسوأ.

لم نستسلم لأن كلانا بحاجةٍ للحب، وكلانا يأمل بصدق في التغيُّر، أو في التطور بمعنى آخر.

كان أساس المشكلة في البدء، ولا يزال جزء منها كذلك، هو امتلاك كل منا وجهة نظر مغايرة للآخر حول الحب، نظرًا لتجاربنا الحياتية المختلفة، ولفروقاتنا الطبيعية أيضًا. لم نتوصل إلى حلولٍ وسطٍ فيما يتعلق

بعواطفنا، وإن استطعنا اتخاذ قرارات مشتركة تتسم بالمنطقية.

يبقى السؤال هو: إن كانت الحلول الوسط قادرة على إصلاح المشكلات الناجمة عن الاختلافات التامة؟

حتى هذه الفكرة خاطئة من الأساس، فالحب ضرورة طبيعية لجميع الناس الطبيعيين، الذين لم يستسلموا للقوانين والشروط الاجتماعية السائدة.

هذا فيما يتعلق بالحلول الوسط، والآن لنتحدث عني وحدي فقط:

عليَّ أن أعترف في هذه الليلة، بأنني انغمستُ في هذه العلاقة تمامًا.. بقوة. لأنه لا توجد أرض صلبة تحت أقدامنا، ولأنني فقدتُ أي علاقة تربطني بحياتي الماضية. أحببتكِ، رغم انعدام الأمل بلقائك، لكن هذا الحب لم يجبرني على التفكير والتخطيط والتنفيذ؛ لقد أثر فقط على الجانب العاطفي لدي، والذي يشكل نصف أو ربع شخصيتي.

صارت مشاعري اليوم قوية للغاية، ولذلك فإنها مُحَيِّرة.

أرجو ألا تظني هذا نوعًا من الابتزاز العاطفي. تألمتُ بشدة حين سألتِ في "بين شيمين" نهار الخميس الماضي، إن كنتُ سأنتحر لو هجرتني. لا يقاس الحب بالتصرفات اليائسة. أنا متأكد من قدرتي على الصمود أمام أي أزمة، مهما تسببتْ لي في آلام عظيمة ومعاناة طويلة.

مررتُ بآلامٍ أكبر في الماضي. أنتِ تعلمين نهاية

أحبائي. زلزلتني تلك التجربة لبعض الوقت، لكنني تجاوزتُ محنتي وواصلتُ حياتي.

والآن، عليكِ أن تفهمي التالي: أنا أريدكِ يا "بروريا"؛ ليس لأنني لا أستطيع تخيل الحياة دونك، وإنما لأن الحياة معكِ تصبح ألطف وأحسن وأكثر امتلاءً وأقرب للمثالية.

استكمالًا لهذه النقطة، دعيني أصارحكِ بأن لديك القدرة على تحويلي إلى شخصٍ أفضل مما أنا عليه - نجحتِ في ذلك بالفعل، في بعض الجوانب - عندما تدركين الكيفية التي تتقربين بها مني. صدقيني يا حبيبتي حين أخبركِ بأنني أستطيع معاونتكِ على إحداث التغييرات التي تريدينها في نفسك، إن كنتِ أكثر انفتاحًا معي. لا تتعاملي معي بالمنطق والقرارات العقلانية، بل أطلعيني على روعة عواطفك الحبيسة في أعماقكِ.

لا يوجد ما يمكن أن نسميه "حب فائض"، إن كنا على استعداد لأخذه واستقباله، نأخذه، ليس لكونه عواطف مجردة، وإنما لإيماننا بالمسيرة المزدهرة للبشرية تجاه الغد الذي يغرد في قلوبنا.

ليس لديَّ المزيد لأخبركِ به، فأنتِ تعرفين الباقي. لن أستخدم الكلمة التي يعنيها اسمكِ لي.

حبيبتي "بروريا"، حبيبكِ "مارسيل"

كتبَ الزوج الشاب الواقف على حافة اليأس، بطريقةٍ عفويةٍ للغاية: "تعاملتُ باستخفاف مع حقيقة أنكِ لم تحبيني". كتب رسالته في الأجواء الفوضوية التي أعقبتْ

حرب التحرير، وسبقتْ حربًا أهلية وشيكة، ورافقت آلام المخاض المصاحبة لولادة دولة "إسرائيل". في تلك الأجواء، تساءل هذان الزوجان الشابان إن كانا قد ارتكبا خطأً بزواجهما.

عدا عن "عواطفها الحبيسة في أعماقها" كما كتب لها، كانا سعيدين معًا في الواقع. كان حجر الزاوية في معتقداتهما المشتركة، شخص لا يزال على قيد الحياة، اسمه "آيوسيف فيساريونوفيتش دجوجاشفيلي".

في 11 يناير 1946، كتبتْ "بروريا" خطابًا لرفاقها في "بيروت":

"كنتُ أناقش فتى في التاسعة عشر في المشكلات الراهنة. كلما ذكرتُ كلمة "ديمقراطية"، لوى قسمات وجهه في استياء وهمهم بغيظ: "كلمة فارغة المعنى من جديد!" إنه طالب جامعي يدرس الرياضيات. تهاوى عالَمه في السنوات الأخيرة، وصار كل تعبير عميق المعنى بالنسبة لنا، لا يُشَكِّل له سوى لفظ عديم القيمة. حين ذكرتُ كتابًا لـ"ستالين"، تساءل: "هل أنتِ أيضًا ممّن يُعميهم العِشق الأعمى للرجل؟" إنه شابٌ ذكي ومثقف. ليس صهيونيًا ولا ضيّق الأفق، لكنه منفصل تمامًا عن حياة البسطاء، ممن يشكلون معظم الجنس البِشري والذين نشأ هو نفسه بينهم. إنه يخشى تمييز معاني الألفاظ والمصطلحات؛ يخاف أن يقرر مكانه في الحياة، إنه مثقف برجوازي ضئيل القيمة".

هذا ما كتبته في خطاب أرسلته لرفاقها في "بيروت" التي قضت فيها عددًا من الأعوام، والتي خَطَتْ فيها أولى

خطواتها نحو سِن الشباب، حين كانت طالبة تمريض في الجامعة الأمريكية. انتمى زملاؤها لجنسياتٍ مختلفة من المقيمين في بلاد الشام، التي كانت تشير إليها لاحقًا بكلمة واحدة هي "الجنة". كانوا أشخاصًا من أصولٍ متعددة: أرمن وعراقيين وسوريين وأمريكان ويهود، وكانوا يدرسون ويتداخلون اجتماعيًا معًا، ويستمتعون بدرجةٍ عاليةٍ من الحُرّية - رغم الحرب - في المدينة التي عُرِفَت بـ"باريس الشرق الأوسط". حين عادت إلى موطنها في "القُدس"، وبدأت العمل ممرضةً في مستشفى، أحسّت بأنها مَنفيةٌ في بلدها. ظل ذلك الشعور بالاغتراب ملازمًا لها، تمامًا كما لازم خطيبها دومًا. شعرت بأنها غريبة في مكان مولدها، والذي بات يعاني من تحكمات الاستعمار البريطاني من جهة، وإرهاب الجناح اليميني المتطرف في الحركة الصهيونية من جهةٍ أخرى. حلمت طوال حياتها ببلدٍ متعدد الجنسيات، بدلًا من دولة وطنية واحدة. كانت تدرك أن حلمها ليس سوى "يوتوبيا"، لكنها أرادت تصديقه. كتبت عن ذلك:

"اليوم ربيعي رائع. مَن يعرفون "القُدس"، يمكنهم تخيل الصفاء وحلاوة الجوّ وسحر المدينة. حين يراها الإنسان من فوق مرتفعات جبلية، ينسى الواقع ويستغرق في أحلامه في أجواءٍ خيالية. أعرف معنى التفكير غير الواقعي، لكنه يلازمني دون أن أخطط له. تركزت أحلامي اليوم في مسألة خيالية تمامًا: "فلسطين" حُرّة وديمقراطية، ومئات الأشخاص فوق الجبال وهم يقطفون الأزهار ويرقصون، ومتفرجون يملأون مدرجات المسارح

الرومانية لمتابعة أعظم المسرحيات. حفلات موسيقية تحت ضوء القمر، وعروض باليه رائعة الجمال، يستمتع بها ويفهمها آلاف المُشاهِدين!

حسنًا، عليَّ ألا أزعجك بالمزيد من أحلامي هذه".

رغم مشاركتهما لنفس الرؤى والمفاهيم، كان "باباي" الشاب يدرك جيدًا مدى ضعف موقفه، ففي الخطاب الذي كتبه بعد زواجه بثلاثة أشهر، تحدث عن الابتزاز العاطفي:

"أرجو ألا تظني هذا نوعًا من الابتزاز العاطفي. تألمتُ بشدة حين سألتِ في "بين شيمين" نهار الخميس الماضي، إن كنتُ سأنتحر لو هجرتني. لا يُقاس الحب بالتصرفات اليائسة".

يا لها من نبوءة! قبل سنتين من مغامرتهما في "لندن"، أي في عام 1958 في "بودابست"، وقف على مقعد في الحمام، وقد أحاط رقبته بحبل. اندفعتْ إلى البيت، الذي كانت قد قررتْ قبل أسابيع قليلة هجرةُ للأبد. عذبتها الهواجس. هناك، وجدت هذا المنظر، ورأت رسالة وداع على الأرض. في ذلك الصباح، كررت اتصالها به كل عشر دقائق، وحين لم يُجِب على التليفون، ركضت إليه بأسرع مما فعلت طوال حياتها، لن تحاول الهروب منه ثانيةً مُطلقًا.

- هل نرقص، أم ترافقني للبيت؟

كان هذا هو السؤال الذي طرحته "بروريا"، الجميلة والبرية. لم يستطع العاشق الشاب - الذي ماثَل في الوَلَه

"روميو" - انتزاع نظراته عنها. اشتعلت شرارة حب النظرة الأولى في تلك اللحظة تحديدًا. كانت تقف خارج الحُجرة في ضوء الشموع، ونسيم "القُدس" المسائي يداعب خصلات شعرها، فتتطاير حول وجهها الذي أضفت عليه أشعة الشمس سُمرة مُحببة. عيناها كزهرتي ياسمين. تلبس فستانًا أبيض، تناثرت عليه ورود مطرزة بألوان مختلفة. بدت كحورية في حكاية خيالية، ثمرة فاكهة شهية في موسم القطاف.

وقفتْ بمفردها للحظات وسط شباب "فلسطين" الشيوعيين، الذين راحوا يرقصون بسعادةٍ واستمتاع، وقد احمرت وجوههم لفرط الحماس. بين نغمات الـ"فوكستروت" والـ"تانجو" والـ"سامبا"، عزفت الفرقة أيضًا موسيقى النشيد الوطني الفرنسي "لامارسييز"، ونشيد الاتحاد السوفييتي "الأُممية"، بالإضافة إلى أغنية شعبية روسية. امتلأت قاعة الرقص بشبان يرتدون ملابس الجيش البريطاني، أغلبهم من المهاجرين اليهود الذين أرادوا محاربة النازية في أوروبا، ولكن تم إرسالهم إلى شمال أفريقيا أو "مصر" أو "فلسطين" لأن البريطانيين لم يثقوا بهم. كان هناك شباب يلبسون ثيابًا بسيطة للغاية. جاء بعضهم بملابس العمل، وهم ينتعلون صنادل رخيصة. كان عدد منهم حُفاة. مثلوا نوعًا جديدًا من اليهود، وكانوا جميعًا على استعداد لبناء العالَم الجديد الذي يمتلكون رؤية واضحة له. الفتيات اللاتي ارتدت معظمهن ملابس رجالية، كُن من أجمل بنات "بولندا" و"ألمانيا" و"هنجاريا". كان أولئك الشبان

والفتيات أبناء وبنات الهاربين من الفاشية والحرب؛ فصيلة جديدة من اليهود الشباب الذين بدأوا في معرفة صعوبات تأسيس أرض جديدة، وتذوق متعة الحياة في العالَم الحر القادِم؛ عالم يمتلكونه جزئيًا بالفِعل، وسوف يمتلكونه كاملًا بعد وقتٍ لن يطول. انتهت الحرب، وبدأت الشمس في الغروب خلف التلال تاركةً وراءها سماءً في صفاء الكريستال. صدحت الموسيقى المُبهِجة بصوتٍ مرتفع.

- هل نرقص، أم ترافقني للبيت؟

لم يكن ذلك مجرد سؤال، بل طُعمٌ أُلقيَ بمهارةٍ لسمكةٍ تسبح بمرحٍ ولا مبالاة في مياهٍ رائقة. أحبَّ الشابّ القرارات المُتسرعة، معتقدًا أنها شَجاعة. الفتاة بدورها كانت تميل إلى التهور، لكنها تستطيع اتخاذ قرارات حاسمة في المواقف الصعبة. هذه المرّة، نفذت قرارها بإدخاله فَخها. رافقها إلى بيتها البعيد جدًا عن أضواء الحفل الشيوعي العظيم. عَبَرا أزقة مُظلِمة حيث يمكن لأي مكروهٍ أن يقع بها.. أن يهاجمهما لص ويتعرضا للسرقة، أو أن تعتقلهما الشُرطة العسكرية وتقوم بتهديدهما، أو أن يقتلهما أحد. حوادث القتل طعنًا -كما في أيام القائد الروماني "فلافيوس" - كانت أمرًا متكررًا في "القُدس" في تلك الأيام الساخنة من 1946. سارا معًا لوقتٍ طويلٍ، اتفقا فيه على نقاط عدة خلال حديثهما المتبادَل. امتلأت روح الفتى - الذي يرتدي ملابس عسكرية بريطانية - بالأمل، لكن عندما وصلا أخيرًا إلى حُجرتها حيث اضطرا للكلام همسًا، حتى لا يوقظا بقية

مَن بالبيت، لم تقبله كما توقع، وإنما طلبتْ منه إسداء معروفٍ لها؛ هل بإمكانه توصيل خطاب منها لجندي إنجليزي يُدعى "توماس روجرز"، يعمل في المدينة المصرية نفسها مثله تمامًا؟ لم تعد تثق في خدمات البريد في هذه الظروف المضطربة والمتقلبة. نعم، كان على استعداد للعب دور ساعي البريد. لعله خطاب وداع، لعله ليس كذلك.

طوى الملازم "تاكاكس" الورقة، ووضعها جانبًا وهو يبتسم في رضا لـ"باباي". لقد توصلا إلى تفاهم مشترك. "باباي" مليء بالمميزات، فهو يتمتع بخفة ظل واضحة، كما أنه مثقف ومُطّلع، والأهم من كل ذلك أنه مدعوم من قِبَل الحزب.

- لا تقلق أيها الرفيق "باباي"، فلن نزعجك لوقتٍ طويل.

- لستُ قلقًا. أنا متشوق لخدمة وطني على أكمل وجه.

قال "تاكاكس" بصرامة:

- قد لا يكون ذلك كافيًا.

اكفهر وجه "باباي"، لكن "تاكاكس" الذي يغير أسلوب حديثه بطريقةٍ مدروسة، واستطرد قائلًا:

- أنا أمزح معك، طبعًا!

بدأت بينهما لعبة القط والفأر الشهيرة. مدَّ كل منهما خيطًا غير مرئي، يصنع به حدود الحُرية والاستقلالية التي سيخضع لها "باباي". مسألة قائمة على تنظيم الحسابات والتواصل ووضع شروط للخضوع، تمت بطريقةٍ بسيطةٍ ظاهريًا دون أي توتر. خدمة يقدمها الاثنان طواعيةً من أجل الوطن والحزب والإنسانية.

- لِمن ألجأ في السفارة في حالات الطوارئ؟

- لا أحد؛ انتظر حتى تصلك تعليماتنا. عادة، لا توجد أية طوارئ. المهم هو التالي: نحن نسعى لتغيير صورة وطننا على المستوى الدولي؛ يجب أن نثبت أننا بلد مُستقل ولم يعد تابعًا لأحد. أولئك المنتمون للثورة المُضادة ممن فروا بعد 56، منتشرون في كافة أنحاء أوروبا. إنهم يتعمدون تشويه سُمعة وطنهم، ومهاجمة نظامنا الاشتراكي دون حياء. تتلخص مهمتك حاليًا، وحتى إشعار آخر منا، في مصادقة أكبر عدد ممكن من الناس. من الجيد لو كانوا من كبار الموظفين الحكوميين، ووزراء وأعضاء في البرلمان ممن ينتمون لأي حزب. دعني أكرر: أي حزب على الإطلاق؛ من اليمين أو اليسار. تعرف على محرري الصحف ذات الانتشار الواسع، حتى لو كانت توجهاتها رجعية. بل على العكس، كلما كانت رجعية كان ذلك أفضل. لا يهمني إن كانوا خنازير رأسمالية. قُم بمصادقتهم واكتساب ثقتهم.

قال "باباي":

- لستُ قلقًا.

لم تفت "تاكاكس" ملاحظة أن "باباي" استخدم العبارة ذاتها مرتين خلال دقائق معدودة؛ تأكيده على النفي ليس سوى إثبات!

قال له بطريقةٍ مسرحية:

- ولكن يجب أن تكون كذلك. دعني ألفت نظرك بأنه عليك أن تكون حذرًا ومتنبهًا طوال الوقت. أدِّ مهمتك على قدر استطاعتك. لن نتدخل في الكيفية التي تنفذ بها مسؤولياتك، ولكن عليك التزام الحذر طوال الوقت.

مدَّ يده بظرف تجاه "باباي"، وقال مستطردًا:

- هذه هي التعليمات، اقرأها بعناية واحفظها عن ظهر قلب ثم احرقها.. اليوم.

قال لنفسه: "أحد الطقوس البلهاء التي تجعل العميل السري يشعر بأهميته!".

ثم رفع صوته، موجّهًا حديثه لـ"باباي":

- سوف نلتقي ونتحدث ونناقش التفاصيل خلال أسبوع. هذه ليست رواية جاسوسية يا رفيق، وأنت لستَ كلبًا يطيع أوامرنا.

تعجّب هو ذاته مما قاله للتو؛ ما الداعي لتشبيهه بكلب؟ سارع بالوقوف مادًّا يده في الهواء في المسافة الفاصلة بينهما، ولم يعرف "باباي" إن كانت تلك دعوة للمصافحة، فتبين له أنها ليست كذلك.

قال "تاكاكس":

- حظًا سعيدًا يا رفيق.

انحصر تدخلهم في إصرارهم على تغيير اسمه، أما فيما عدا ذلك، فقد تركوه وشأنه كما وعدوا. لم يتواصلوا به لأشهرٍ طويلة امتدت حتى أتمت سنة بأكملها. لم يطلب منه أحد أي خدمة سواء في "لندن" أو في "بودابست". لم يتلقَ أوامر مُتعِبة ولم يطلبه أحد للقاء سري. تُرِكَ دون تدخل لفترةٍ تعليمية، وكان سريع التعلم. كانت جهة التعامُل هي السفارة الهنجارية التي اعتبرته جاسوسًا مُقيمًا. لم تكن لديه أدنى فكرة عن هوية الآخرين من حوله، ربما كان موظفو السفارة جواسيس أيضًا؛ قسم السكرتارية بأكمله، والسائق، والبستاني، وربما السفير ذاته، ربما الزوجات كذلك. في الظروف الحرجة، يكون لاستغلال معلومات الزوجات أهمية عظيمة؛ هذا ما تؤكده جميع المصادر والتعليمات.

عليه أن ينتبه لكلماته، لكن ذلك لم يكن سهلًا فلسانه يسبق عقله، كما أنه يمتلك أحكامًا وآراء قوية.

قبل لحظات من ترك "باباي" لابنه في وسط "فينتشلي رود" في ذلك اليوم من أوائل الربيع، كانا قد غادرا أحد المخابز القريبة. أحبَّ "باباي" الحلويات، وكان يأكل طوال الوقت أي شيء وفي كل مكان مُنفِقًا معظم نقوده على الطعام. كان نهمًا وشرهًا، وهو ما يفسر بدانته وبطنه الكبير ووجهه الطفولي المستدير الذي ينتهي بلُغد. الواقع أن زوجته أيضًا كانت تشاركه حب الأشياء

الحلوة، ليس فقط التين والتمر والحلويات الشرقية التي تتميز بها بلدها الأصلي "فلسطين"، وإنما تحب كذلك الـ"مرزبان" المصنوع من اللوز الذي تعشقه، كما كانت تستهلك كميات غير طبيعية من شوكولاتة "كادبوري" بالمكسرات والزبيب؛ كانت تتلذذ بكل هذه الأشياء عقب سنوات طويلة من الفقر والحرمان في "هنجاريا".

على كل حال، مَن الذي لا يحب الحلويات!

كان دخولهما إلى المخبز المجاوِر لمحطة المترو في "كانفيلد جاردنز"، أمتع ما قاما به من مشاوير في ذلك اليوم. خطط "باباي" مسبقًا للمرور بالمخبز؛ فرصة لبعض الثرثرة مع عاملات المكان، ولإثارة المزيد من الإعجاب به في قلب طفله، الذي يحب السهولة التي يصادق بها والده الغرباء، وخاصة من الجنس اللطيف أيًّا كانت أعمارهن. أسلوبه في إثارة ضحكاتهن، واحمرار خدودهن! كان خبيرًا متمرسًا في إغراقهن بالمديح والمجاملات. غادرا المخبز بقطعة من الـ"مافن" تقاسماها بسعادة خلال سيرهما. كان "باباي" مستغرقًا في قَص حكاية مُسلية عن عاهرةٍ التقاها في أحد مواخير "الإسكندرية"، حين كان جُنديًا هناك. توقفا لبعض الوقت أمام واجهة أحد فروع متاجر "ماركس آند سبنسر"، التي يحب الولد تأملها. اقترب منهما رجل مُسن له مظهر عتيق، كأنه صورة انتُزِعَت من مجلة من الثلاثينيات، له شارب يشبه ذاك الذي كان يزين وجه "كلارك جيبل". تصرف بطريقةٍ رسميةٍ للغاية، منحته طابعًا كاريكاتوريًا، إذ رفع قبعته الخضراء عن رأسه،

وقال:

- سمعتكما تتحدثان الهنجارية.

تكلم هو بدوره بالهنجارية، لكن لهجته كانت غريبة على أذنيْ الصغير. ميّز الكلمات، لكن إصرار الرجل المُسن على إضفاء الكثير من المرح المُفتَعَل على صوته وتصرفاته كان عجيبًا، كالصدى الناتج عن أسطوانة موسيقية مشروخة. قال فجأة موجهًا الكلام للأب:

- وكيف تجد الحياة هنا في "لندن"؛ في العالم الحر؟ هل تنوي البقاء؟

لكن اختيار هذا الرجل الزائف المتكلِّف لـ"باباي" كي يتحدث معه كان خاطئًا، فبدلًا من من أن يجيب الأخير على أسئلته، وجَّه له صفعة مدوية.. معنوية بطبيعة الحال.

لم يستطع "باباي" التخلي عن خفة ظله حتى وهو ينوي تأنيبه بغضب، فتساءل مستنكرًا في البدء:

- أبقى هنا؟! في هذا البلد الذي لا يجيد تحضير القهوة، مستحيل!

بعدها، قرر أن يؤدب هذا الغريب المُنَفِّر بطريقته، فراح يلقي عليه محاضرة عن استغلال الطبقات العُليا للطبقة العاملة في "بريطانيا"، مستخدمًا عبارات صحفية رنانة وكلمات معقدة. تحدث بعدها عن السقوط الوشيك المتوَقَع للإمبراطورية البريطانية وتراجع الرأسمالية، والتدريبات التي تقوم بها القوات المسلحة التابعة لألمانيا الغربية على الأراضي الإنجليزية. تطرق إلى القنبلة

الذرية، والسوق المشتركة، والولايات المتحدة الأمريكية، وصناعة الأسلحة.

كان "باباي" يجيد التعامل مع أمثال هذا الرجل، ويعرف كيف يجبرهم على عدم تجاوز حدودهم. كان يدرك قدرته على فعل ذلك، وقد نجح في إنهاء الموقف بالفعل، إذ ابتعد الرجل ذو الشارب العجيب فجأةً. لبس قبعته، وأومأ لهما مستأذنًا في الانصراف، واختفى من أمامهما بخطواتٍ سريعة. تمعن "باباي" في الرجل المُبتعد، وغمغم بغضب:

- أعرف مَن أرسلك.

أمسك بيد الطفل بقوة، متجهًا إلى الصيدلية ليشتري دواءً لزوجته وللصغير الذي يرافقه، والذي كان قد تعرض لحادثٍ بسيط قبلها بأيام. بدأ صوته يعلو بالغناء حينها، ولكنه قبلها أراد أن يوضح لابنه المسألة، فقال:

- هذه النماذج البشرية لا تظهر لك فجأة ومصادفة؛ لقد أرسله أحدهم لإجراء اختبار لي، ومعرفة رد فعلي.

الغريب أنه كان يتحدث إلى الطفل كشخصٍ ناضج، ولم يكن مهتمًا بما إذا كان الصغير يفهمه أم لا. حينما يكونان معًا بمفردهما، يتغير الأب فجأة ويبدأ في التعامُل مع ابنه كشخصيةٍ بديلة، رغم أن الأخير لم يكن يفهم نصف ما يسمعه منه. لم يكن الأب يستخدم كلمات طفولية مُبسَّطة، بل يتكلم من أعماق قلبه. كان يعترف ويبوح ويُصارِح ويقرُّ بأسراره المُخجِلة. يتحدث بحرية غير عابئ بمدى استيعاب الصغير له. تعامَل معه كوليٍّ عهد

يحتاج لمعرفة المكان الذي خُبِّئَت فيه كنوز العائلة.. أين يحفر بالضبط ليعثر عليه، كما في الحكايات!

لكن كل ذلك يختفي بغتةً حين تجتمع الأسرة معًا، هو وزوجته وأطفالهما. كان يعود إلى شخصيته الطبيعية، إن كان بالإمكان إطلاق هذه الصفة على شخصيته أصلًا؛ يصبح مرحًا وقلقًا ومصدرًا مفتَرَضًا لتهديد الصغار، الذين لا يملك أيَّ نوعٍ من السيطرة الفِعلية عليهم. زوجته هي التي تتولى إدارةَ البيت وكل مَن فيه. كانت تُبقي الشقة منظمة، وتتعامل مع مالكها ومع بائع الحليب، وتتبادل الثرثرة مع الجيران، وهي التي تُحضِر الكهربائي، وتطلي الجدران بالدهانات، وتشتري الأثاث، وتطبخ الطعام، وتقرِّر الكيفية التي ستصرف بها كل "بِنس" من راتب زوجها. أما "باباي"، خارق الذكاء وخفيف الظل، والذي يتمتع بسرعة البديهة وإجادة العديد من اللغات، فإن حضوره كان باهتًا تمامًا في منزله، فهناك يتحول ليصير واحدًا من الصغار.. أكبر الأطفال، يُسلِّيهم أحيانًا، ويتعمَّد إزعاجهم ومضايقتهم في أحيانٍ أخرى، كما كان يحاول السيطرة عليهم في بعض المرات. كان جسده الضخم يشغل حيزًا لا بأس به من مساحة الشقة، لكنه حضور فارغ وشاغر. في بعض الأحيان، كان يعمد إلى تأديب أبنائه مستخدمًا ألفاظًا قاسية وجارحة، أو يعاجلهم بضربة هنا أو هناك. كان يجد ذلك طبيعيًا، إذ نشأ تحت رعاية أمه "مارجيت"، الأرملة التي لم تتردد يومًا في توجيه صفعاتها السريعة لوحيدها متى تطلب الأمر. الواقع أنه تربى دون أب، فلم يعرف أبدًا كيف ينبغي أن يتصرف

الآباء.

تعلّق قلب الطفل بدمية خشبية لـ"بينوكيو"، لمحها داخل الواجهة الزجاجية للمتجر. مضى يتأمل أنفه الطويل وشعره الأصفر، وقبعته الزرقاء التي تدلى منها جرس نحاسي. تمنى لو حصل على هذه الدمية في عيد ميلاده. واصل الأب قص حكايته عن العاهرة التي التقاها في أحد مواخير الإسكندرية:

- .. الفتاة السوداء داخل الحجرة المُظلِمة. كانت من "النوبة". هل تعلم أين تقع "النوبة"؟ إنها في جنوب مصر، المكان الذي يوصَف عادةً بـ"مصر العُليا".. إنه ليس كذلك، بل في الأسفل. على كل حال، كل ما في تلك الجهة مقلوب رأسًا على عقب! عمومًا، يعيش في "النوبة" أكثر الناس سوادًا في العالَم. إنهم شديدو السواد لدرجة أنك لا تراهم بعد حلول الليل! اسمع! هل أخبرتك بحكاية القطار؟

لطالما أحبَّ "باباي" قطع حكاياته والدخول في حكايات أخرى. قال للولد:

- توقف القطار الذي كنا نستقله في الصحراء. رأينا فتاة جميلة ورشيقة، تقف قريبًا منه. شك بعضنا في أنه فتى جميل الشكل وليس فتاة. تراهنّا على ذلك. ألقى أحدهم عملة معدنية باتجاهها أو باتجاهه، وأمرها برفع ثيابها الرثة ليتسنى لنا رؤية ما تحتها. لقد دخلنا رهانًا من أجلها، وألقينا إليها بقطعة نقود تلقفتها من الهواء. فور أن بدأ القطار في التحرك ببطء، رفعت لنا ثوبها. هل تصدق أن تلك البنت الحلوة كانت في الواقع صبيًا؟ دعني

أخبرك يا بُني أن الآلة التي يمتلكها بدت قوية أيضًا! حسنًا، لنعُد الآن إلى تلك الفتاة النوبية داخل الحجرة المعتمة. كان للحجرة رائحة ثقيلة تتميز بها المواخير المصرية؛ تبدو كريهة في البداية ثم ما تلبث أن تصبح مُغوية وشديدة الجاذبية. حسنًا، خلعت الثوب الأنيق عن قوامها الشبيه بجسد فهد. وأتدري ماذا رأيتُ حينها؟ كان جسدها حليقًا تمامًا، دون شعرة واحدة على سطحه! هل تفهم ما أعني؟

عند هذه النقطة تحديدًا، اقترب منهما ذلك المُسِن الهنجاري، صاحب شارب "كلارك جيبل" وقاطع الحكاية. يمكن اعتبار ذلك فاصِلًا مسرحيًا، نجح "باباي" في إنهائه بمهارة. بعد ابتعاد الرجل، واصل "باباي" سلسلة حكاياته:

- أين كنا؟ هل أخبرتك عن الجندي الذي كان في معسكر التدريب؟ كان يمضي أوقاته في جَمع أوراق الأشجار المتساقطة على الأرض، وكلما أمسك واحدة غمغم بصوتٍ مسموع: "ليست هذه! ليست هذه!" ثم يلقيها بعيدًا. تم إرساله إلى طبيب لمتابعة حالته، وبعد ثلاثة أسابيع عاد إلينا بورقة كتبها الطبيب، وقال لنا ضاحكًا: "هذه هي!" كانت شهادة تسريحه من الخدمة العسكرية! غادرنا للأبد. هناك أيضًا ذلك الجندي الذي كان معتادًا على مد يده إلى بيرة غيره. يشربها، ثم يترك الزجاجات مُلقاة في إهمال. يسأل زملاءه: "هل تسمح لي؟" وقبل أن يتلقى أي إجابة، يكون قد أخذ رشفة طويلة للغاية من الزجاجة. في أحد الأيام، شعر زميل له

بانزعاج بالغ من تصرفه المثير للاستفزاز، وقرر أن يلقنه درسًا. شرب هذا الزميل زجاجة البيرة الخاصة به، وعندما انتهى تبول فيها، ووضعها بجانبه منتظرًا. جاء ذلك الفتى وسأله: "هل تسمح لي؟" ورفع الزجاجة إلى فمه من فوره، وكانت تلك المرة الأخيرة التي يفعل فيها ذلك. أما تعبيرات وجهه!

استغرق "باباي" في الضحك على حكايته التي شهدها بالفعل ربما، أو سمع عنها من شخصٍ آخر، ثم قال:

- لم أكن أشرب البيرة ولا أدخن السجائر؛ كنت أعطي حصتي منهما لزملائي مقابل بعض المال طبعًا، كي أصبح غنيًّا وأتمكن من السفر لرؤية أمك. اسمع! هل أخبرتك عن تلك الفتاة التي أجلستها فوق ركبتي؟ كانت بنتًا لطيفة جدًا. تبادلنا القُبَل، وفجأةً أطلقتْ ريحًا؛ أحسستُ بأن ريحها استحال إلى كرة بلي، إذ تدحرج داخل بنطلوني وانتهى في قاع حذائي! لم أستطع تقبيل تلك الفتاة ثانيةً؛ لماذا؟ لا أدري! حسنًا، عودة إلى تلك الفتاة النوبية السوداء. ذلك الصدر! ثديان ممتلئان، وشفتانورديتان، وعينان سوداوان، لم أرَ مثلهما أبدًا؛ ولكني حين اكتشفتُ أن جسمها حليقٌ تمامًا، لم أستطع فعل شيء إطلاقًا؛ انتهت المسألة بالنسبة لي. يا للخسارة! كانت ملكة الماخور، لكنني لم أتمكن من فعل أي شيء. هل تفهم ما أعنيه؟ كنت أتردد مع زملائي على ماخور في "هنجاريا"، نذهب إليه عقب خروجنا من المدرسة. كانت المرأة التي تدير ذلك البيت تمنحني سِعرًا خاصًّا. كانت تحب خدودي الوردية، وتظل تقرصها كلما رأتني.

كانت عجوزًا تزين أذنيها بقرطين كبيرين من الذهب، وتضع الكثير من المساحيق الملونة على وجهها كدُميةٍ عجوز. في أحد الأيام اصطحبتني إلى حجرة بها فتحة في الحائط، مُخَبَّأة وراء لوحة فنية. دفعتُ نصف الثمن المعتاد لأرى ما يفعله الآخرون. من عاملات ذلك المكان، أختُ زميلٍ لنا حرصنا جميعًا على تجربتها؛ فعلنا ذلك كنوعٍ من الدعابة.

كان "بينوكيو" ببطلونه الأزرق القصير وقميصه الأحمر، لا يزال يبتسم للولد.

أمسك "باباي" يد ابنه، وجره بعيدًا عن واجهة المتجر. بدأ يغني، ودونًا عن جميع الأغنيات، اختار "طريقٌ طويلٌ إلى تيبيراري". لم ينتبه لنظرات ابنه المتعلقة باللعبة الخشبية. شغلتْ أمور أخرى تفكيره. امتلأ فِكره بخطط كارثية وقرارات صعبة التنفيذ. تتابعت في رأسه لحظات من الوضوح والغموض بشكلٍ مزعج.

ووسط هذا الارتباك، قال له صغيره - ابنه المفضل - بأنه أبله.

ذلك الصباح، وصل "باباي" إلى مقر وكالة الأنباء الهنجارية في "فليت ستريت" في السادسة والنصف. اضطر لركوب تاكسي كي لا يتأخر عن موعده. دخل المكتب يبلله العَرَق، وقد تقطعت أنفاسه. لدهشته

الشديدة، رأى زميله المُسِن، الذي يلقبه بـ"العجوز الرجعي" حين يتحدث مع زوجته في فراشهما في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل. كان العجوز الرجعي يجلس إلى جهاز الـ"تيليكس"، يطبع عليه بهمة ونشاط. لم ينظر تجاه "باباي"، واكتفى بهمهمة شيءٍ غامض؛ قد يكون تحية، لكنه لم يكن كذلك، وإنما سُبّة. كانت العلاقة بينهما قد تدهورت بشكلٍ ملحوظ في الفترة الأخيرة.

قبل أشهرٍ قليلة، جاء إلى "لندن" رئيس وكالة الأنباء بنفسه الرفيق "باركس" - كان اسمه فيما مضى "بارتش"، لكن اسمه تبدل مع تغيير الأسماء الألمانية إلى أخرى أقرب للهنجارية عقب الحرب العالمية الثانية - كي يلفت نظر "باباي" إلى الأخطاء التي يرتكبها في الأخبار التي يرسلها لهم، والتي ينتهي بها الحال عادةً في سلة القمامة فور استقبال جهاز الـ"تيليكس" لها في مبنى الوكالة في "نافيجي"؛ وهي المنطقة التي تقطن فيها أسرة "باباي". نعم، كان "باباي" يسكن قريبًا من مقر الوكالة أسفل قلعة "بودا"، ويراها يوميًا حتى بعد إنهاء عمله فيها.

التفسير الذي قدمه "باركس" لتلك الأخطاء كان أقرب لحُكم الإعدام، إذ شعر "باباي" بأنه يتلقى رصاصات متوالية في جسده.

منذ ذلك اليوم، بدأ ذلك الرجعي العجوز الدكتور "راتس" الذي يبلغ من العمر السادسة والسبعين في معاملته معاملةً سيئة. عاش الدكتور في "لندن" منذ العشرينيات، وسعى جاهِدًا لكي يجعل "بريطانيا" وطنًا

له، فاكتسب سلوكًا إنجليزيًا خالِصًا. راعى التوازن في تصرفاته عقب إعادة اختيار السفارة الهنجارية له، للعمل لصالحها أثناء فترة الدعم بعد عام 1956، لكي تثبت الدولة سياساتها المنفتحة لبقية العالَم. حظي سلوكه المحايد والتقدمي بالإعجاب والثناء من قِبَل مسؤوليه. بعد زيارة رئيس وكالة الأنباء، أدرك الدكتور "راتس" مصير مَن يشير إليه بـ"السمين" و"العنيد" و"البليد" و"صاحب الأفكار البالية". كثيرًا ما كان يضيف بسخرية:

- لن أتطرق لصفاته الأخرى الأكثر سوءًا!

إذًا أدرك "راتس" أن أيام زميله - الذي لم يعتبره يومًا زميلًا بحق - باتت معدودة، فصار يتعامل معه بوقاحة، ثم تزايد انزعاجه منه لأنه اضطره لإظهار وقاحته!

كانت زيارة الرفيق "باركس" إلى مقر الوكالة في "لندن" بمثابة مناورة معقدة. لم يكن عضوًا في الحزب، لكنه تمتع - مع ذلك - بعلاقةٍ وثيقةٍ مع جهاز المخابرات. كان عضوًا صوريًا ضمن هيئة المُحلفين في أشهر قضايا أوروبا الشرقية؛ قضية الوزير "رايك". لا شك في معرفته بأن "فورجاتش" هو ذاته "باباي". توجب عليه حساب خطواته قبل البدء بها. كان عليه أن يثبت لجهاز المخابرات بأن اختيار "باباي" كمراسلٍ صحفي من عش الدبابير المعروف بوكالة الأنباء الهنجارية، هو خطأ كبير، وكان عليه كذلك حماية بقية موظفيه والدفاع عنهم. خلال وظيفته السابقة كرئيس للجمعية الهنجارية لكرة القدم، أدرك الرفيق "باركس" أهمية كسب ثقة العاملين لديه.

تكونت وكالة الأنباء الهنجارية في معظمها من أعضاء الحزب. مَن لم يكونوا كذلك، ربطتهم علاقات بالنظام وحظوا بثقته ودعمه. في محاولةٍ لإرضاء موظفي الوكالة، اضطر الرفيق "باركس" إلى إقصاء "باباي"، ولكن كان عليه أولًا أن يثبت للمخابرات سبب عدم ملاءمته لوظيفته.

في الخطابات التي كتبها "باركس" بتفصيلٍ دقيقٍ للغاية، يتضح دعمه لموظفيه الذين سارعوا بوضع العراقيل أمام الجهود التي بذلها "باباي" كي يصبح مراسِلًا أجنبيًا، وحين فشلوا في ذلك، سعوا لإعدامه ما إن بلغهم نبأ ترشيحه لرئاسة مكتب "لندن". كان "باباي" دخيلًا عليهم؛ فيروس، جسم غريب زرعه الحزب وجهاز المخابرات وسطهم، كان كمن هبط عليهم فجأةً بالـ"براشوت"! عليهم التقليل من شأنه، تحطيمه، لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة؛ ينبغي أن يكون لـ"باركس" علاقة بكل الأطراف الصحيحة. هنا تحديدًا، توصل إلى نقطة ضعف "باباي".

لاحظ "باركس" في تقارير "باباي" مَيلًا - أقرب للبارانويا - للتفتيش عن مؤامرة، حتى لو لم يكن هناك ما يدل على وجودها؛ مؤامرات من قِبَل المنظمات الإخبارية الدولية، أو من الأحزاب التي يشتبه هو في كونها معارِضة. دأب "باباي" على محاولة خلق أخبار من لا شيء، أو من موضوعات غير هامة. رأى "باركس" أن "باباي" يُهمِل دوره الحقيقي كمراسل صحفي ينبغي عليه البحث والتحري، وأنه يكتفي بملء

تقاريره بالافتراضات والتخمينات، مُشيرًا إلى مراجع غامضة ومصادر مجهولة. أقر "باباي" بارتكابه لبعض هذه الأخطاء. لم يكن غبيًا بطبيعة الحال. كان يدرك جيدًا ما يفعله - ظل مقاتِلًا ومحارِبًا وثوريًا طوال عُمره. بدت بعض تقاريره مُختلَقة؛ تم تأليفها على عجالة بما يتناسب مع أيديولوجياته. نتيجة ذلك، كانت معظم حكايات "باباي" عن خطط عالمية مبنية على نظرية المؤامرة لتدمير قوى الخير المعروفة بالاتحاد السوفييتي والنظام الاشتراكي، وقِبلة الشيوعية العالمية. تأثرت تصرفات "باباي" - الذي التزم المهنية دائمًا - بالدور السري الجديد الذي اضطر لأدائه.

الحياة المزدوجة التي عاشها كعميلٍ سري، عرَّضته للبارانويا وأجبرته على تحمل عبء نفسي كبير. تفاقم الوضع للأسوأ نتيجة القلق والتوتر الدائمين، اللذين رافقاه منذ زمن؛ وإن كان ذلك لا يعني مطلقًا أن كل صحفي هنجاري تعاون مع المخابرات (تحديدًا مع قسم 2/3 في وزارة الداخلية، والذي تغير اسمه منذ 1963 إلى 3/1) انتهى به الحال داخل مصحّة نفسية، وذلك لا يعني أيضًا التقليل من تأثير هذه الحياة على وضعه النفسي.

حين وصل إلى مكتبه في "فليت ستريت" غارقًا في عَرَقه ولهاثه، كطريدة تحاول الهروب من حيوان مفترس، وجد الدكتور "ديجو كارولي راتس" يجلس أمام جهاز الـ"تيليكس" منهمكًا في الطباعة عليه، فشعر "باباي" بانزعاجٍ بالغ.

- متى يمكنني استخدام الجهاز؟

- كيف لي أن أعرف؟ تعالَ لاحقًا.

في تلك الساعة المبكرة التي بدأت فيها "لندن" بالاستيقاظ، وفي قلب "فليت ستريت" الذي يضج بالمارة والحركة، وقف "باباي" مذهولًا بعد أن طُرِدَ من مكتبه، لا يدري أين يذهب أو لمن يلجأ - عليه أن يكون في البرلمان بعد ساعات قليلة، ليشهد جلسة مهمة، عليه أن يمارس وظيفته كالمعتاد ويواصل مهامه. بدأ "باباي" يفقد علاقته بالعالَم من حوله، ويفتقد وجود أرض صلبة تحت قدميه؛ كان كَرَجُلٍ تعرضت ساقه للبتر يواصل حياته كما لو كان كل شيءٍ على ما يُرام، رغم إحساسه بآلامٍ رهيبة في الطرف المفقود.

سأل نفسه: "هل أتصل بزوجتي وأستشيرها فيما ينبغي عليَّ فعله؟". ظل واقفًا يرتجف في برودة هواء الصباح الباكر، عدل عن فكرته، عليه أن يأكل شيئًا بسرعة؛ أي شيء، لمجرد أن يهدّىء أعصابه.

كان لديه سببٌ إضافي يستدعي كل هذا التوتر.

قبل أيام، اندلعت في بيته مشكلة كبيرة يمكن اعتبارها فضيحة. تصاعدت تبعاتها بشكلٍ مُطَّرِد. بدأ الأمر حين قامت زوجته، الفضولية أكثر ممّا يجب ربما، بفتح رسالة كتبتها فتاة من أقاربها تسكن معهم منذ أسابيع. جاءت الفتاة إلى "لندن" للعمل كمربية أطفال لديهم، ولدراسة اللغة الإنجليزية لكي تجيدها إجادةً تامة. بعد نحو سنة من الجدل والنقاش بين الأقارب في "هنجاريا"، لترشيح الفتاة المناسبة من بين بناتهم، وقع الاختيار على هذه الفتاة المحظوظة؛ فازت بالسفر. بمجيئها، تحول البيت

الهادىء في "هامبستيد" إلى مكانٍ مزدحم يُذكِّر بشقتهم في "بودابست"، التي لم يمكن بالإمكان التحرك فيها دون الاصطدام بشخصٍ آخر! هنا في "لندن"، لم يكن من السهل توزيع الأطفال الأربعة على غرف الشقة الثلاث. تدريجيًا، تزايدت الخلافات بين الأبناء؛ الكبار يريدون مساحةً أكبر من الخصوصية، ولا يمكن نَيل أي قدر من الخصوصية دون بعض التضحيات من جميع الأطراف، أكبرها هو عدم وجود حجرة خاصة لـ"باباي" وزوجته، لكنهما كانا قد اعتادا على ذلك. الأبناء في كل مكان يتشاجرون يوميًا، وبطبيعة الحال يحضرون أصدقاءهم للبيت. المنزل يمتلىء بضيوفٍ من جميع أنحاء العالَم. كانت شقة "لندن" تفيض بالبَشَر طوال الوقت، محتويات الثلاجة تختفي في لمح البصر، شأنها في ذلك شأن النقود، والآن مع وجود هذه الفتاة القادمة من "هنجاريا"، ازداد الوضع سوءًا، وأصبحت أعصاب الأبوين مشدودةً على الدوام.

ثم تسببت الفتاة في فضيحة. رأت زوجة "باباي" الخطاب الذي كتبته لأبويها ثم تركته ملقى في إهمال؛ قرأته دون قصد ربما. أشعرها محتوى الخطاب بالحرج والفضيحة، إذ اشتكت فيه الفتاة من الظروف المزعجة في بيت قريبتها؛ كان ذلك بمثابة وَضع مِلْح على جراح الأخيرة. ما زاد من ألمها، هو إدراكها بأن العبارات الساخرة التي وصفت بها الفتاة الأوضاع في هذا المنزل، لم تكن تفتقر إلى الحقيقة. إلى جانب ذلك، كان لوالدي الفتاة رأيٌّ سيئ في "باباي" والأسرة بأكملها. واقع

الأمر، هو أن الوالدين حرصا على الدوام على التعامل معهم بلباقة تامة في التجمعات العائلية. على سبيل المثال، لم يكونا أبدًا البادئين بالصراخ حول كيف ينبغي على أي يهودي محترم أن يتصرف، أو كيف ينبغي عليه أن يفكر حيال "إسرائيل"، لكن السيدة "باباي" أحسَّت - ومعها كل الحق - بأن الرسالة حركة خيانة. يكفي أنها وافقت على استقبال وإيواء الفتاة الفوضوية في بيتها، رغم أنها ليست ضمن أقاربها المُفَضَّلين أصلًا. أدركتْ السيدة "باباي" بأن ردَّ فعلها قد يكون مبالغًا فيه، لكنها كانت تشعر بالتوتر لمعرفتها بالوضع غير المستقر لزوجها في وكالة الأنباء الهنجارية، ومحاولاتها الدائمة لطمأنته كل ليلة. كلّا، ليس هناك حل بديل. على الفتاة أن تغادر بيتها وتعود إلى وطنها؛ لم يكن القرار سهلًا لكن زوجة "باباي" عنيدة للغاية.

حسنًا، من الوارد أن يحدث هذا الموقف في أيِّ عائلة، لكن للحكاية أبعادٌ أكبر. كان هذا سِرًّا اضطر "باباي" للاحتفاظ به لنفسه، دون أن يجرؤ على مشاركته مع زوجته؛ "كِشٌّ ملك"..

في "فينتشلي رود" تساءل "باباي" في حيرة: "أين أنا؟" لكنه سرعان ما بدأ في الغناء:

"إنه طريق طويل إلى "تيبيراري"

طريق طويل للغاية

إنه طريق طويل إلى "تيبيراري"

إلى ألطف فتاة عرفتها

الوداع يا "بيكاديللي"
الوداع يا "ليستر سكوير"
إنه طريق طويل إلى "تيبيراري"
لكن قلبي لا يزال هنا".

قال لنفسه: "عدتُ إلى نقطة البداية من جديد؛ لا مكان، أنا لا أحد ثانيةً".

الزائرة القادمة من "هنجاريا"، والتي كتبت خطابًا حاقدًا استخدمتْ فيه عبارات وقحة لوصف حياة أسرة "باباي" في "لندن"، كانت قد صادَفتْ خطيبة مؤرِّخ إنجليزي شاب. الحقيقة أن تعرفها إلى تلك البنت لم يحدث بالصُدفة، والحقيقة أيضًا أن المؤرِّخ كان لا يزال يستمتع بالنجاح الذي حققه كتابه الذي حمل عنوان "التسويات". الواقع الأهم، هو أنه منذ زيارته لـ"بودابست" قبل عام، صار هدفًا للمخابرات الهنجارية؛ كان يساريًا، ويمكن اعتباره شيوعيًا. في هذا الإطار، لم يختلف عن الكثيرين من الدارسين والباحثين في "كيمبردج" و"أوكسفورد"، لكن ما ميَّزه هو انتماؤه لعائلة عريقة، وعلاقته القوية بحزب المحافظين البريطاني، وهما الأمران اللذان سهلا له الاطلاع على الوثائق الحكومية. باختصار، كان الأنسب للعمل جاسوسًا، ولذلك فإن المخابرات الهنجارية حرصت على "اتخاذه صديقًا"، عَبر إرسال عملاء سرِّيين يدَّعون أنهم مؤرِّخين، أو ومؤرِّخين فعليين جندتهم المخابرات لخدمتها. قام أولئك العملاء بعقد لقاءات مع الشاب البريطاني في كلٍّ من "فيينا" و"باريس"،

وحرصوا على إرسال البطاقات البريدية المصوَّرة له، وكان يرد عليها بعباراتٍ ودودة. بدا أنه يدرك جيدًا الأخطار التي تحيط به وبعلاقته بأصدقائه الجدد، لكنه لم يتراجع. كان متحفظًا في نقده للنظام السياسي البريطاني. استمتعَ بالفترات التي قضاها في "بودابست"، إذ كان له الكثير من الأصدقاء أو هكذا اعتقَد. كان اسمه مُدرَجًا في ملفّات المخابرات، وأُشير إليه باسم "كاريل".

تلخصت أولى المهمات الحقيقية لـ"باباي" في جَمع المزيد من المعلومات حول "كاريل"، وهو ما استدعى أن يخطط لتحركات قريبته في "لندن" دون أن تلاحظ. كانت هذه هي الفرصة الذهبية التي ينتظرها أيُّ جاسوس جديد، لإثبات مهاراته وكفاءته لوظيفته؛ لكنها للأسف الشديد، جاءته مع الاقتراب الوشيك لنهاية عمله في وكالة الأنباء الهنجارية. وفي وسط هذه الفوضى، كان عليه أن يبذل أقصى ما يستطيع من جهد، وأن يتعمد إظهار ذلك لرؤسائه، حتى يتراجعوا عن فكرة إنهاء عمله كمراسل صحفي في "لندن". سوف يتوسط الرفاق في المخابرات لدى "باركس" للإبقاء عليه في وظيفته، سوف يكسب بعض الوقت. منحته مهمة مراقبة المؤرِّخ الشاب بارقة أمل، ثم قامت هذه الفتاة الوقحة بتصرف أحمق، وصار ينبغي عليه إعادتها إلى "بودابست" على أول طائرة مغادِرة؛ لا يوجد حل آخر. لا يمكنها البقاء ولو ليوم واحد. كيف يمكنه تفسير هذا الوضع المعقد لزوجته، إن كان لا يستطيع الاعتراف لها بحقيقة وظيفته أساسًا؟ جنون!

حين فاتحها برغبته في إبقاء الفتاة معهم، وعدم تسفيرها، نظرت إليه بحدة ودهشة:

- تريدها أن تبقى؟ كلا! مستحيل!

كان لزوجته طبيعة برية، وحشية؛ يمكنها أن تختفي من حياته في لحظة؛ لم تخشَ الفضائح يومًا، لا تُخيفها الأمور الصغيرة. بإمكانها التحول إلى قطة متوحشة متى أرادت ذلك. مساءَ جُمعة، وكانت لا تزال فتاة في السادسة عشرة، شيوعية صغيرة في مقتَبَل العُمر، فتحت الراديو في غرفتها، فظهر أبوها فورًا وأغلق الراديو، مُذَكِّرًا إيَّاها بأن اليوم التالي هو السبت؛ الوقت المخصّص للتفكير والتدبر، وأن صوت الراديو المرتفع سيجرح المشاعر الدينية لجيرانهم. كان يهوديًا مؤمنًا يومًا ما، لكنه لم يعد كذلك، إذ صار مُلحِدًا حَذِرًا. بدأ في إلقاء محاضرة متحذلقة على ابنته المتمردة حول احترام مشاعر الآخرين. تعالت أصوات نقاشهما الحاد. صرخت في وجهه:

- كل الأديان كذبة! إنها بقايا النظام القديم؛ الدين أفيون الشعوب!

قالت ذلك وهي تعيد فتح الراديو ثانيةً؛ أرادت الاستماع إلى "بيتهوفن". في تلك اللحظة، حدث أمر لا يُصَدَّق؛ صفعها أبوها، ذلك النوع من الصفعات الكلاسيكية المرتبط بـ"ماكارينكو"، المُعلِّم والمُربِّي الروسي الشهير. لم يسبق له فعل ذلك، ولن يكرر فعلته مطلقًا وغمره شعور بالندم على الفور. ها هو الرجل الرقيق، المُعلِّم الذي لم يضرب أيًّا من تلاميذه أبدًا ولم يفقد أعصابه

يومًا، يصفع ابنته الحبيبة، ثم قامت بالركض. ركضتْ كغزالٍ بري مخترقةً طرقات "تل أبيب". قفزت في شاحنة عسكرية واختفت في شمال البلاد. كانت عَدَّاءة، رياضية، الأسرع في مدرستها، ولم تكن تحب الدراسة. كانت من النوع الحالِم العاشِق للقراءة. خلال هروبها، أصبحت مُدَرِّسة في معسكر للأيتام على مقربة من "الجولان". هناك، سرعان ما وقعت في غرام فتى وسيم، رأته في جمال "ديفيد" لـ"مايكل أنجلو"؛ شاب مسيحي، ولطالما حملتْ ضعفًا تجاه العُشاق غير التقليديين. كان أميرًا حقيقيا، حملها مساء أحد الأيام على حصانه الأسود. اعتلت الحصان وراءه واختفت معه في الظلام.

إنها من النوع الذي لا يمكن ابتزازه أبدًا؛ امرأة يستحيل ترويضها.

لم يكن الملازم "تاكاكس" راضيًا؛ أزعجه الحوار الذي دار في الشقة السِرّية في "بودابست". الملازم غير مهتم بما يعانيه "باباي" من مشكلات أسرية ومهنية، ما يحتاجه فقط هو تعاونه التام. "باباي" لم يكتب شيئًا حتى الآن. عليه استجوابه ببطء وعلى نحوٍ منهجي، ما يعني أنه سيضطر لكتابة التقرير بنفسه في نهاية الأمر، وهي مسألة تثير الضيق في نفسه. لاحظ شرودَ "باباي"، فظن أنه رجلٌ كسول وصارحه بذلك. قضية "كاريل" أهم بكثير من إسنادها لشخصٍ بليدٍ مثل "باباي".

لم يدرك الملازم أن كل تفصيلة قصها عليه "باباي" عن قريبته التي أتت من "هنجاريا" - وتوجب على الملازم انتزاع تلك الحكاية منه انتزاعًا - كانت شديدة الإيلام بالنسبة له.

فشل آخر؛ فشل جديد.

ما عقد لسان "باباي" أكثرَ من عضوٍ في المافيا أقسم على الكتمان، هو خلاف عائلي قديم. من المفترَض أن تكون عائلة زوجته، عائلته هو أيضًا، نظريًا على الأقل. اعتاد أن يشير إليهم بـ"عائلتي الوهمية"، لكن الواقع أنها كانت مصدرًا لآلامٍ مُمتَدَّة، إذ كانت تذكره بعائلته الأصلية التي فقدها للأبد، كما أن أفرادها تعمدوا دومًا عدم إظهار الاحترام والتعاطف اللذين ظل متعطشًا لهما، وقابلوه - عوضًا عن ذلك - برفض تام لشخصه وأفكاره ومواقفه.

جاءته الفرصة الآن للانتقام منهم، لكنه وقف أمامها ضعيفًا ومتخاذلًا وغير قادر حتى على البوح بحقيقة المشكلة وتفاصيلها. لم يفهم الملازم كيف أن هذا الصحفي الشيوعي الثرثار المُحِب للضحك والمزاح، والواسع الثقافة والاطلاع، باتَ يتصرف كطفلٍ يعاني من التأتأة، حتى العبارات التي ينتزعها منه بصبر فارغة ومتناقضة.

ما لم يدركه الملازم "تاكاكس"، رغم خبرته في قسم 2/3، هو أنه يتحدث إلى كومة من الرماد؛ شبحٍ لما كان عليه الرجل في الأصل، رجلٍ فقد إيمانه بالعالَم وبنفسه، لم يعُد يهوديًا ولا يمكن اعتباره غير يهودي في الوقت

ذاته؛ كان الرجل الأمرين معًا، كما لم يكن شيئًا كذلك.

تبع جميع أقارب زوجته، من الطرفين، والديها إلى "فلسطين" في العشرينيات. لاحقًا، عاد البعض ومنهم أسرة تلك الفتاة الوقحة إلى "هنجاريا" أو بعض البلدان القريبة منها، في أسوأ فترة ممكنة؛ أيْ بين الحربين العالميتين. أحسَّ عدد منهم بأن الحياة في "فلسطين" تحت الانتداب البريطاني، غير مُحتَملة؛ فيما تم طرد عدد آخر من قِبَل القوى الاستعمارية بسبب نشاطهم المُخَرِّب. كان موقف البريطانيين ضعيفًا بعض الشيء، إذ وجدوا أنفسهم عالقين بين العرب واليهود، ولذلك فإنهم ما إن كانوا يعثرون على مهاجرين غير شرعيين من الشيوعيين، حتى يعاقبوهم بمنتهى القسوة.

ارتحل "باباي" ومعظم أفراد عائلة زوجته إلى وجهات متعاكسة، التقت دروبهم حينًا وتباعدتْ في أحيانٍ أخرى. قُبيل بدء الحرب العالمية الثانية في 1939، ركب "باباي" الشاب قطارًا في "جارا دي نورد" بـ"بوخاريست". استخرجت له أمه جواز سفر وأمدته بالمال اللازم، وزوَّدته بكل ما قد يحتاجه خلال رحلته إلى الشرق الأوسط. شرحت له سبب بقائها قائلة:

- لن يؤذوا امرأة.

لم تكن تعلم الفظاعات التي ستحيط بها من كل جهة.

بينما كان "باباي" في طريقه للشرق الأوسط، كانت نصف عائلة زوجته المستقبلية عائدةً من هناك؛ لا لشيء إلا للمعاناة على أيدي الفاشية. بطريقةٍ تقترب

من المعجزات، تمكنوا جميعًا من النجاة. بعد سنوات، صاروا يتذكرون الحياة السعيدة التي تمتعوا بها في "فلسطين" في تلك الفترة، ثم يؤنبونه بعدها مباشرةً على موقفه المعارِض من الصهيونية، متسائلين: كيف له أن يتخذ هذا الموقف إن كان لم يتعرض لوحشية الحرب، ولم تترك آثارها على جسده وروحه؟

كان هذا النقاش - بالنسبة له - شديد القسوة؛ ما الذي جعله يعود مع زوجته الشابة عقب انتهاء الحرب؟ ما الذي اضطره لطلب العون من العائلة التي تراه شخصًا غير عقلاني؟ ما سبب رجوعهما؟ لماذا لم يواصلا حياتهما هناك؟

لكن مشاعر الارتياح كانت قد بدأت تفارق زوجته في الفترات الأخيرة لهما في "فلسطين"، والتي وصفتها بـ"الجحيم". ذكرتْ ذلك في خطاب كتبته بالإنجليزية لإحدى صديقاتها:

"أكتبُ إليكِ في هذه الليلة، وأنا يملؤني شعور جديد بالرفض، وإرادة أقوى في المقاومة، ورؤية أكثر وضوحًا لمهمتنا الصعبة هنا! أنتِ تعلمين أن "فلسطين" اليوم صارت جحيمًا. رغم صغر مساحتها، إلا إنها باتت معسكرًا ضخمًا للمعاناة؛ هذا ما أراده الإنجليز على الدوام، وقد نجحوا في تحقيق هدفهم. لا جدوى من المزيد من الكتابة حول الوضع الراهن، ما تعرفينه من خلال الصحف كافٍ جدًا. عليكِ فقط تحليله وقراءة ما بين السطور.

نعيش هنا، ولكن تخطر لنا أحيانًا فكرة الهروب من

المكان. من السهل أن نقطن في قريةٍ جبليةٍ، بعيدًا عن الصحف وبعيدًا عن كل شيء، أو أن نذهب إلى "إثيوبيا" للعمل في القرى الصغيرة؛ كلها أمورٌ سهلة التنفيذ، لكن علينا مواجهة الواقع، وإن لم نواجهه فسنضطر للموافقة على الحُكم الأجنبي؛ تلك الإمبريالية القاسية، المجنونة. أنتِ تعلمين بأننا لا نرغب في الهروب، لأنه ضد وعينا الطبقي. الصراع ليس حَلًّا سَهلًا على الإطلاق، لكننا نخوضه لرغبتنا في الحياة بضميرٍ مستريح.

أعتذر منكِ لهذه العبارات الطويلة، لكنكِ تفهمينني يا صديقتي العزيزة.

أعملُ في المستشفى لساعاتٍ طويلة، وهي بعيدة جدًّا عن المدينة، لكن الوضع ليس سيئًا فلديَّ وظيفة أتلقى عنها أجرًا. زوجي يدرس، لكنه يبدِّد معظم وقته - للأسف الشديد - في أمورٍ أخرى غير الكيمياء؛ مادة تخصصه. أنتِ تعرفين حاجتهم الدائمة للناس، ما يجعلهم غير مهتمين بأنه بحاجة لإنهاء دراسته. العلوم ليست نكتة! لا يمكن إهمالها أو التعامُل معها باستخفاف".

كلماتٌ غريبةٌ، لكنها تعكس مشاعر هذين الزوجين الشابين، هذين الشيوعيين التي تملأ المثاليات رأسيهما العنيدين. كانت "بروريا" فتاة جيدة؛ امرأة شابة لديها قناعات تؤمن بها، ويمكنها كتابة تحليل سياسي واضح للوضع. في 26 ديسمبر 1946، أيْ بعد أسبوع من زواجها، كتبتْ خطابًا حول "المشكلات المشتعلة لفلسطين". الجدير بالملاحظة، هو مدى تطابق الأسلوب بين هذا الخطاب والتقارير التي ستقدمها لقسم 3/1، بعد

ثلاثين سنة:

"أنا الآن في "القُدس" دون عمل. في الأسبوع القادم، سألتحق بوظيفةٍ تتيح لي فُرَصًا عديدة للتنمية والتعليم، إنها في مركز لرعاية الأطفال في القدس القديمة. يقع المركز في أكثر المناطق فقرًا وقذارةً في "القدس"، أو في "فلسطين" بأكملها على الأرجح. تحفظي الوحيد على هذه الوظيفة هو الراتب الضئيل؛ سوف أحصل على 9 جنيهات شهريًا كراتبٍ أساسي، يُضاف إليها معونة غلاء معيشة، وبذلك سيتراوح أجري الشهري بين 17 و19 جنيهًا فلسطينيًا؛ هذا أقل من الحد الأدنى بالنسبة لنا. زوجي طالب كيمياء، ولا يكسب أجرًا إلا على فتراتٍ متباعدة حين يعمل أحيانًا بعد ساعات الدراسة؛ إنها مشكلة حقيقية. يبدو أنني سأضطر للاستمرار في وظيفة المستشفى؛ الأجر أعلى، لكن العمل نفسه غير مُرضٍ بالنسبة لي. على كل حال، تتضاءل مشكلاتنا الشخصية أمام المشكلات الضخمة والمعقّدة لـ"فلسطين".

أصدر المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفلسطيني عدة قرارات وتوصيات طبعها في كُتيِّباتٍ صغيرة، سوف أرسلها لأختي. اطلبي منها - رجاءً - ترجمة الأجزاء ذات الصِلة بالعلاقة اليهودية - العربية. أرجو أن يُرسِل الحِزب الترجمة الإنجليزية قريبًا. من الجيد أن تُترجَم إلى الفرنسية أيضًا.

سوف تلاحظين أنهم تناولوا مسألة الهجرة بطريقةٍ دبلوماسية، إذ إن الحِزب في ظل الظروف الحالية يعجز عن مواجهة المسألة بشكلٍ أكثر مباشرةً ووضوحًا. لستُ

متفقة معهم في هذا الأسلوب، لكن مكاني الوحيد - في الوقت ذاته - هو معهم؛ أنتمي إليهم. سوف أعمل في اتحاد الشباب الشيوعيين.

أتوقع أنكِ علمتِ - من الصحف على الأرجح - بأن المؤتمر الصهيوني في "بازل" قد اختُتِم دون الوصول إلى نتائج نهائية. دارت المناقشات الرئيسية حول سؤال: "أيُّ إمبريالية تختارها الحركة الصهيونية كحاميةٍ لها؟ البريطانية أم الأمريكية؟".

إن القطاع الأمريكي في المؤتمر، والذي يشكّل أغلبيةً فيه، هو الأكثر رجعية في هذه الحركة القومية المتطرفة. والآن، سوف يُدار النشاط الصهيوني بتوجيهات من هذا القطاع. قررت الأحزاب التقدمية التي تصف نفسها بـ"الصهيونية الماركسية"، اللجوء إلى "وايزمان" الذي يميل إلى الجانب البريطاني. النتيجة النهائية، هي رفض العرض الذي تقدم به "وايزمان" لمناقشات المائدة المستديرة من أجل "فلسطين"، حيث أراد "وايزمان" ان يكون الأمر كله "بإدراة بريطانية". يقوم المجلس الصهيوني الأعلى الجديد، بإعداد مقترحات مستقبلية للنشاط الصهيوني. مالَ معظم المفوضون في المؤتمر إلى تأييد فكرة الهجرة غير الشَرعية إلى "فلسطين"، وإلى دعم حركة "الاستيطان" الجديدة، والتي تعني بكل بساطة المزيد من المعاقل الصهيونية في مختلف أنحاء "فلسطين".

في وسط كل هذه الألاعيب السياسية، يقف الحِزب الشيوعي الفلسطيني بمفرده في مواجهة العديد

من المهام الصعبة. نعاني من ضعفٍ شديدٍ هنا في "القُدس". لم تُتحْ لنا أبدًا فرصة الدخول في دائرة الطبقة العامِلة. لا يزال الرفاق يفتقرون إلى روح الخدمة العامة والخدمة الاجتماعية. أظن بأن "القُدس" تحديدًا تستعصي على أعمال وخدمات حِزبنا. لسُكّان هذه المدينة طبيعةٌ خاصّة ومختلفة؛ هناك طابعٌ من الفَردية لكل واحدٍ منهم.

على كل حال، سوف أبذل قصارى جهدي".

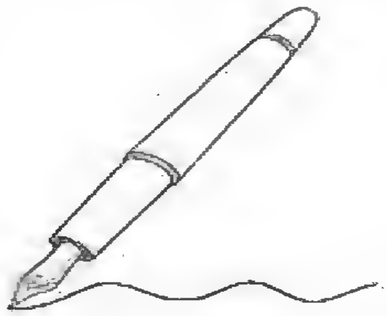

في صيف 1947، غادر "باباي" وزوجته - التي لفت جمالها الأنظار أينما ذهبت - القطار في محطة "كيليتي" قادمَين من "براج". تركا كل شيء وراءهما، وهربا من "فلسطين" التي مزَّقتها الحَرب؛ لم يعد بوسعهما الحياة هناك. بالنسبة لـ"باباي"، كان بهذه الخطوة يقطع صلته بماضيه للمرة الثانية في حياته. هكذا، وصل الاثنان إلى "بودابست"، أرض الأحلام، "بوتقة المستقبل"، دون أن يكون لديهما أدنى فكرة عن الكيفية التي سيدبران بها أمورهما؛ قفزا إلى هوة المجهول. تعين على عائلتها رعايتهما وإمدادهما بالمال، والتنازل لهما عن قطع الأثاث القديمة؛ إلا إن بعض أقاربها تعاملوا معهما باعتبارهما خائنَين؛ يخونان إسرائيل. إن عائلة زوجته عجيبةٌ للغاية.

كان "باباي" غريبًا بينهم، واستمر كذلك إلى الأبد. اعتبروه خائنًا مرتين للهدف اليهودي اللاأسمي. جاهدَ طويلًا لكي يثبت أنه رجل بحق، لكنه لم يملك ما يمكنه من إثبات ذلك، وحتى بعد مرور سنوات، لم يمتلك سوى أربعة أبناء وزوجة جميلة. كل ما عدا ذلك كان زائفًا؛ هذا ما شعر به.

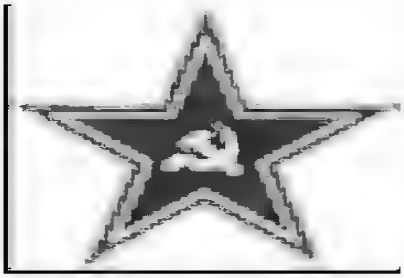

حين غادر"إلم تري هاوس" في 13 شارع "نيذرهول جاردنز" مُمسِكًا بيد ابنه، سار في الطريق المنحدر على التل مستمتعًا بنسائم الأيام الأخيرة للربيع. بدأ "باباي" يتكلم، وعلى الرغم من أن ابنه سمع بعض هذه الحكايات من قبل، فقد كان سعيدًا بالإصغاء إليها من جديد.

- هل تعلم أن جدتك ركلتني في مؤخرتي في إحدى المرات؟ هل كنت تعلم ذلك؟ هل تعرف لماذا فعلتْ ذلك أصلًا؟

- ركلتك في مؤخرتك؟

- نعم، وكسرت مظلة فوق رأسي، بعد أن شعرت بالعار من درجاتي المتدنية في الامتحانات أمام بقية أولياء الأمور. ما إن خرجنا من باب المدرسة، حتى بدأت بضرب رأسي بمظلتها إلى أن انكسرتْ، ثم راحت تبكي، ثم ضحكنا معًا، ثم عدنا للبيت ووجدنا سيدتين تجلسان في غرفة المعيشة؛ سيدتان مُسِنَّتان من ذلك النوع المُمِل،

جاءتا لجَمع المال لصالح الصندوق القومي اليهودي.

لم يفهم الصبي معنى "الصندوق القومي اليهودي"، لكنه كان يعشق الكلمات الغامضة ويلعب بها حين يكون بمفرده، يلقيها في الهواء ثم يراقب سقوطها.

استطرد الأب:

- كانتا تجمعان تبرعات لشراء أراضٍ في الأرض الموعودة، في إطار فكرة "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض" كما قال السيد "بلفور".

لم يسأل الصبي عمَّن يكون السيد "بلفور"، هذا غير مهم؛ لا بأس بعدم فهم الأمور.

واصل الأب حديثه:

- أو لعله لم يكن هو مَن قال ذلك؛ كل الناس كانت تردد هذه العبارة في عام 1936، أتذكر ذلك اليوم. جلستْ الزائرتان تحتسيان الشاي وتتحدثان عن بناء وطن لليهود، وقالتا لأمي: "لا أحد هناك، المكان خاوٍ تمامًا، إنه مجرد صحراء". حين سمعتُ ذلك، ثم رأيتُ أمي وهي تفتح محفظة نقودها وتخرج منها مبلغًا كبيرًا، سألتهما: "ولكن ألا يوجد عرب هناك؟". شعرتْ أمّي بغضبٍ عارم، فوثبت من مقعدها وركلت مؤخرتي بقوة بالغة، فاندفعتُ من باب الغرفة كما لو كنتُ كرة. كنتُ في السادسة عشر. "بوم!".. ركلةٌ عظيمةٌ في المؤخرة! كان بإمكانها أن تصبح لاعبة كرة قدم شهيرة! ضحكتُ حينها؛ كنتُ مستمتعًا بأن لي أمًا مثلها. بعد انتهاء الزيارة ومغادرة المرأتين، كانت أمي لا تزال غاضبة

بعض الشيء، لكنني لم أكن غاضبًا. كانت تشعر بمزيجٍ من الحيرة والندم على ما ارتكبته؛ لم يكن باستطاعتها التحكم في انفعالاتها، هذا كل ما في الأمر. المهم.. قبّلتني وأعطتني بعض النقود، وقالت لي: "يا أحمق! إنهما من أفضل زبائني". كانتا تأتيان على الدوام لشراء السجاد منا. كانت ماما أفضل سيدة أعمال في العالَم. بعد وفاة بابا، تم الاستيلاء على متجرنا الذي حمل اسم "فريدمان وشُركاه". استولى عليه "شُركاه" تحديدًا! لطالما حلم والدي بإعادة تسمية المكان "فريدمان وولده"، وكان يردد "حتى نكون مثل رواية ديكنز دومبي وولده". وهكذا بقيت أمي وحيدة، بلا مال وليس لديها غيري. بدأتْ العمل من جديد بمساعدة من فتاة قروية صغيرة، أرسلها أهلها لوالدتي. صارتا تنسجان السجاد معًا؛ سجاد في غاية الجمال، لدرجة أن أفراد العائلة الحاكمة في "بوخارست" صاروا من زبائنها.. أصبحنا أثرياء. حرصت ماما على تدليلي وتلبية طلباتي. المرأتان المُسِنّتان من الصندوق القومي اليهودي، كانتا ضمن زبائنها الجيدين الذين يشترون منها السجاد بانتظام.

أضاف "باباي":

- أتذكر بأننا كنا نزور قبر والدي سنويًا في "روش هَشَنَه".

في تلك اللحظة، وصل "باباي" وابنه أسفل التل حيث يلتقي "نيذرهول جاردنز" بـ"فينتشلي رود". استغرق الولد في التفكير في كلمتيْ "روش هشنه" وفاتته بعض العبارات الأخرى التي قالها والده. لاحظ الأب شروده،

فسأله:

- هل تسمعني؟

- نعم.

- ما هي الـ"روش هشنه" إذًا؟

- لا أدري.

- أنت محق في تجاهلك لهذا اليوم، فهو يوم كأي يوم عادي.

أردف مواصلًا حكاياته:

- حسنًا، في كل "روش هشنه" سنويًا، أي في الخريف تكون الأجواء باردة. كان الوقت "روش هشنه" وكنا في المطبخ ذي المساحة الهائلة، إذ كنا نمتلك شقتين كبيرتين في الطابق الأول؛ إحداهما المَشغَل الذي تنسج فيه الفتيات السجاد. كن جميلات ويُغَنين دائمًا وكنت أحب الثرثرة معهن. على أيِّ حال، كما قلت، كُنّا في "روش هشنه" في المطبخ الفسيح حين قالت أمي للخادمة.. حسنًا كان لدينا ثلاث خادمات، إحداهن مسؤولة فقط عني وكانت تقوم بتوصيلي إلى المدرسة كل صباح.. في ذلك المطبخ، أمرت أمي الخادمة بخَبز عشر قطع من الخبز ذي الشكل الهلالي. هل تعلم لمَ ينبغي أن تكون عشرًا بالتحديد؟

- كلا، لا أعلم.

- حسنًا.. أنت تعرف أولئك الرجال العشرة في الكتاب المقدس، الـ"تساديكيم"، في تلك المناسبة كنا نزور المقبرة.

كانا قد وصلا إلى المخبز في "كانفيلد جاردنز"، لكن "باباي" أراد إنهاء حكايته قبل دخوله. كان عليهما زيارة الطبيب أولًا، لأن ابنه تعرض لوعكة صحية منذ يومين؛ كان قد أصيب بإغماءة عقب تناوله رشفة "كونياك" من كأس أمه في حفلٍ بالسفارة، فحمله والده على كتفه مخترقًا زحام المدعوين. شعر الولد بالسعادة وهو فوق كتف أبيه وقد التفت الناس بوجوههم اللامعة نحوهما. ظهر الاهتمام على ملامح السيدات. كم كان فخورًا بأبيه! وفخور أيضًا لأنه أصيب بالإغماء! نعم.. إنه شعور جميل وبخاصة مع سؤال الناس المتكرر:

- ما الذي حدث للولد الصغير؟

واصل الأب حكايته:

- وعلى الدوام، كان هناك شحاذون يقفون في البرد بانتظار أن يمنحهم الأغنياء بعض المال. كانت ماما تعطيهم قطع الخبز الدافئ فيتبعوننا إلى قبر أبي ويصلون معنا. للقبر شاهد من الرخام الأسود، كان ملمسه شديد البرودة، وكان عليَّ تقبيله في كل سنة وكنت أكره ذلك؛ كنت أخاف أن تلتصق شفتاي به وأن يتجمدا، لكن أمي كانت تصر على ذلك؛ ربما كانت تلك هي الشعيرة الوحيدة التي تصمم عليها، الحقيقة أنها كانت بالفعل الشعيرة الوحيدة التي تتمسك بها.

خيم الصمت على الأب والابن معًا. أخذ "باباي" نَفَسًا عميقًا وتوجه نحو مدخل المخبز ناسيًا - للحظة - أنه ليس بمفرده. نظر وراءه إلى ابنه وتأمله قليلًا، ثم قال له:

- هل تعرف بأنني لن أنسى ما حييت صمتُ أولئك الرجال الطوال، بملابسهم السوداء داخل الغرفة. وجه أبي الأصفر وهو مستلقٍ على فراشه؛ أصفر قاتم. تفرق الناس عند دخولي مفسحين لي الطريق للمرور؛ صاروا صفين. كنتُ في الرابعة، شعرتُ بأن الطريق إلى السرير طويل جدًّا.. كان لونه أصفر؛ أصفرٌ غامق. أتذكر بأنني كنتُ أتساءل: "لماذا لونه أصفر؟". حين اندلعت الحرب كان في الثامنة والعشرين من عمره، ولم يرغب في الانضمام إلى صفوف المقاتلين؛ كانت تلك الحرب العالمية الأولى. دخّن 200 سيجارة، وسبح في مياه نهر "سومش" المختلطة بالثلوج وكاد أن يموت من الحُمَّى، وبعدها بعشر سنوات.. رفضت عائلته زواجه من أمي بسبب فقر أسرة أمي الشديد؛ تعاملوا مع زواجهما باعتباره عارًا.. هل تعرف معنى ذلك؟

لم ينتظر الأب إجابة ابنه ولم يهتم بشرح المُفردة له، لكن الولد لم يهتم بذلك، كانت الكلمة قد بدأت تتطاير أمام عينيه كفراشةٍ ترفرف بجناحيها؛ كلمةٌ جميلة.

استطرد "باباي":

- عائلة أمي بدورها لم ترحب بالزيجة؛ قالوا: "هذا الفريدمان رجلٌ مريض يعاني من السُلِّ، كما أنه لن يتمكن من إنجاب ذرية"، نعم هذه هي الكلمة التي كانوا يفضلون استخدامها.. "ذُرّية"! الواقع أن أبي تعرض للضرب في شجارٍ بإحدى الحانات، فقد على أثره إحدى خصيتيه، لحُسن الحظ لم تكن تلك التي تنتج الحيوانات المنوية، ولكن الخصية الأخرى؛ أعني التي تحتفظ

بالحيوانات المنوية والتي تكون أبرد قليلًا من الثانية. هل كنتَ تعلم ذلك؟ لولا أنها الثانية، لما كنتَ تقف هنا الآن تنظر إليَّ بهاتين العينين الزرقاوين، يا حبيبي. وهل تعلم أنني ما زلتُ أتذكر بابا؟ كان عليَّ أن أقترب منه وهو على فراش الموت، كنتُ خائفًا بشدة؛ خفتُ من الصمت على نحوٍ خاص. لن أنسى ذلك الصمت الرهيب مطلقًا، ثم وضع بابا يده على رأسي؛ كانت يده ثقيلة يا بُنيَّ، ثقيلةً جدًّا. لم أكن أتخيل أن بإمكان اليد أن تكون بذلك الثقل، أبدًا.

تحت "قلعة بودا"

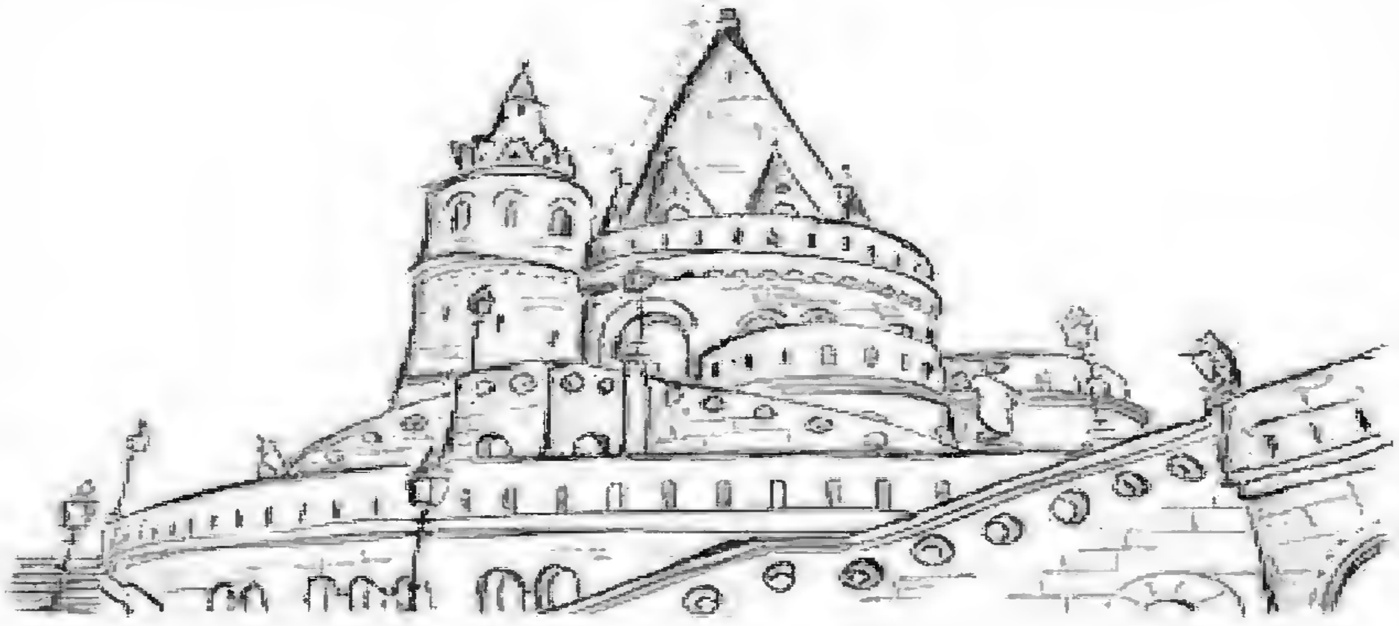

عليها أن تتحدث إليهم.

حين وصلتْ الطابق الثاني، والذي هو الثالث فِعليًا إن عددنا الـ"ميزانين"، أخذت السيدة "باباي" تلهث بشدة محاولةً التقاط أنفاسها. كانت قد صعدت، ملتصقةً بالجدار لضيق السُلم الحلزوني الشديد. وجدتْ الباب مفتوحًا؛ بدا مغلقًا للوهلة الأولى لكن الهواء حرَّكه بخفة. للباب ثلاث شُرَّاعات من الزجاج غير المصقول، يمكن إغلاق الشراعة العلوية من الداخل بترباسٍ صغير، لكنها مفتوحة. أطلت السيدة "باباي" من النافذة الصغيرة، فهبت عليها من الداخل رائحة عطنة لفحت وجهها بقوة. لم تشأ أن تضرب الجرس، فدفعت الباب بمقدمة حذائها، ففُتِحَ ببطء مصدرًا صريرًا عميقًا. تعلو صندوق الرسائل، لوحة سوداء كُتِبَ عليها بحروفٍ ذهبية اسم "مارسيل فورجاتش"؛ بدت أقرب لشواهد القبور. فور دخولها الشقة، استقبلها الهواء الفاتر المنبعث من المدفأة

المركزية. انتشرت في الجو رائحة طعام حامض وفاسد.. عطست، نادتْ بحدة ونفاد صبر. لم تتلقَ إجابة. ركلت الباب بقوةٍ أكبر، فارتفع صوت سرينة سيارة مطافئ. تنهدت، ودخلت بخطوات متعَبة. انحنت ورفعت السيارة الحمراء من فوق الأرضية الخشبية، أسكتت صوت اللعبة، فتحت إحدى النوافذ. تأملت الحاجيات الملقاة بإهمال في كل مكان، وأدركت أن مَن بالبيت قد غادروا منذ فترةٍ وجيزة، لعلهم ذهبوا إلى البقال أو الصيدلية أو مكتب البريد، أو الملعب. تسرب الهواء الدافئ من الشقة عبر النافذة المفتوحة، مختلطًا ببرودة الظهيرة الخريفية في الخارج.

تشتاق الأم لمن يعبِّر لها عن حبه، لكنها عوضًا عن ذلك تُقَابَل من جانب أولادها بأعقاب السجائر والصحون غير النظيفة والأَسِرَّة غير المرتّبة، والثياب القذرة الملقاة على الأسرَّة والمقاعد وفوق الأرض، والأطعمة العفنة ومنتهية الصلاحية داخل الثلاجة، والحليب الذي فسد داخل أكياسه البلاستيكية. الأرضيات متسخة، والشَعر متساقط في كل مكان، والمرحاض مغطى ببقايا فضلات جافة، وللمكان رائحة بول نفَّاذة. الكتب متناثرة أينما ذهبت. لا وجود لمشاعر الحب والتقدير والدفء التي تتشوق إليها، لا عناية أو رعاية من جانبهم لها. هذه المسألة تثقل قلبها الخاوي.. أم لعل عقلها هو الخاوي؟ لقد وصلتْ البيت للتو (هل هو بيتها حقًا؟) قادمة من عملها أو من المستشفى (الزيارات المنتظمة التي تقوم بها منذ أربع سنوات دون انقطاع).. كم هو جميل لو

قوبلتْ بعلامات تدل على الاهتمام والمحبة، وليس هكذا بحجرات قذرة وعطنة وتعمُّها الفوضى. كم كانت ستسعد بحجرة نظيفة، وفراش مرتب، وفنجان من الشاي الساخن، وبضعة كلمات ودودة. إن غياب العطف والإيثار من علاقة الأبناء البالغين بأمهم، يدفعني للتساؤل: ما الخطأالذي ارتكبتْه حتى وصل بها الحال إلى هذا الشوق الجارف لمحبتهم؟ وهذه المشاعر التي لا تسبب لها سوى الألم والإحساس بالخواء في قلبها وعقلها؟ هل تحصد ما سبق لها زراعته بيديْها؟ هل كانت تزرع نباتات مسمومة طوال هذه السنين؟ هل كانت تطعمهم هذا السم بنفسها؟ هل هذه هي النتيجة بعد عشرين سنة؟ هذا هو السم؟

"لقد كذبتُ طويلًا؛ أنكرتُ اكتئابي. كان عليَّ - على ما يبدو - أن أكون أكثر صدقًا وانفتاحًا. كان عليَّ مصارحتهم بـ"اكتئاب ماما وأسبابه" حتى تشعر بي أرواحهم. هل كانت صراحتي ستجعلهم أشخاصًا أكثر تفهمًا لمَن حولهم؟ هل كانوا حينها سيُشبعون توقي الدائم للمحبة؟

تفاهة (!)

الإمضاء: أُمٌّ".

تطل غرفة الأولاد على قلعة "بودا". الواجهة الرمادية اللون لهذا القصر الملكي، باتت جزءًا من الشقة، مثلها مثل قطع الأثاث التي أعارها الأهل والأصدقاء لهم ولم

يستردوها أبدًا. تلك القطع المتنافرة تمامًا، صارت مع مرور الأيام والأعوام متشابهة ومتناسقة بطريقة يصعب تفسيرها.

في مواجهة "نافيجي"، الحيِّ السكني الممتد على تلٍّ، يقع حائط القلعة المقسَّم إلى ثلاثة أجزاء. عبر الجدران، يمكن رؤية الدرابزينات، والغُرَف المطلة على الحديقة، والنوافذ ذات الفتحات المعتمة، والحوائط المنتهية بأقواس، والأعمدة يونانية الطراز التي تدعم الشرفة الفسيحة، والتماثيل الستة لنساء نصف عاريات يبدون طائرات في الهواء. تعرضت القبة الأنيقة التي ميزت القصر للتفجير. حينها، كان القصر رمزًا للجمال المترف، وليس حِصنًا له أولوية الحماية والدفاع، كما أن العائلة الحاكمة وقتها كانت قد بدأت تفقد أهميتها التاريخية. في فترات سابقة، استقبل القصرُ الإمبراطورَ النمساوي عند زيارته للمدينة، وكان يبيت فيه. تكرر الأمر مع "هورثي" وصيِّ عرش المملكة المجرية. تعلو النوافذَ المقوسة رؤوسُ أُسُود تنظر إلى الأسفل. سطح الجدران الخارجية أشبه بوجه تشوهه البثور والندوب، لكثرة الثقوب التي صنعها الرصاص والمدافع فيه. أسفل جدران القلعة، تتجمع أكوام هائلة من الأنقاض والحجارة، ترتفع لنحو طابق واحد.

من بعيد، تبدو هذه الكتلة الرمادية الضخمة التي يغمرها ضوء القمر، كبطاقة بريدية مصوَّرة بهتت ألوانها مع مرور الزمن. تطل القلعة الخاوية على البنايات التي تقع على التل أسفلها، دون هدف أو معنى. الحصان

الأخضر فوق منصته، يقف في مواجهة غرفة الولدين بالضبط، تحيط به أشجار هزيلة تمتد أفرعها النحيلة عبر فتحات الحائط الحجري. الحصان المتقافز يبدو طائرًا في الهواء. كان أخضر اللون، في نفس درجة لون القبة التي تعرضت للنسف. حصان آتٍ من الحكايات الخيالية، ألقى بفارسه عن ظهره. الحقيقة أن ذلك أمر غير دقيق، لكن الولدان لا يعرفان ذلك، فعلى الجانب الآخر من الحصان في الجزء الذي لا يَرَيَانِه من نافذتهم، هناك مروِّض خيول أشبه براعي أبقار هنجاري؛ ذلك النوع الذي يلبس بنطلونًا واسعًا يضيق عند الكاحلين. نعم، إنه هناك، يحاول ترويض الحصان البري الأخضر. أمام مدخل المدرسة الملكية لركوب الخيل التي غدت مهجورة. لم يرَ الولدان بقية التمثال الذي يُظهِر مروِّض الخيول، ولم يلاحظا وجوده مطلقًا. الواقع أنه كان في الأساس شخصية حقيقية، وأن التمثال ما هو إلا تكريم له احتفاءً بمشاركته في معرض باريس الدولي عام 1901. شهد الرجل الحربين العالميتين فيما بعد. الزائرات اللاتي يتنزهن حول المكان، يحرصن دومًا على أن يلتقط لهن أحد صورًا فوتوغرافية يظهر الحصان المرح في خلفيتها. كان هذا الموقع - تحديدًا - إستراتيجيًا كما يبدو، ففي شتاء 1944 تولت حراسته مجموعة مسلحة من منظمة "شوتز شتافل" النازية.

صار دخول القلعة ممنوعًا. في الكشك الخشبي، يجلس حارس مهمته الوحيدة هي إبعاد الناس عن المبنى المغلق، حين يلمح الأطفال، يخرج من مكانه ملوحًا

ذراعيه وهو يصيح ويصرخ لإخافتهم. يبتعد الصغار، ويبقى الحصان الأخضر راسخًا في مكانه.

حين غادرتْ عربة الترام، طاردتها الهواجس، وانقبض صدرها ممتلئًا بالتشاؤم. انعكست الهموم على وجهها المُتعَب، وهي تقترب من العمارة. لم يكن لديها أدنى رغبة في الالتقاء بأيٍّ من معارفها((17)). عبرت بجوار مجموعة من التماثيل البيضاء، بخطواتٍ سريعة. زعيمٌ من الفلاحين، يقف وحيدًا بعضلاته الضخمة، يلبس درعًا من حلقات معدنية متداخلة. هو أطول بقليل من الجدران المحيطة بالقلعة. يمتد من ورائه طريق متعرِّج ينتهي إلى القلعة. حتى نهاية الخمسينيات، كان في الموقعذاته نُصُبٌ تذكاري لسلاح المدفعية في الحرب العالميةالأولى، يمثل ستة أحصنة تقف في صفين، وقد حنترؤوسها جارَّةً بكل قوتها مدفعًا ثقيلًا انغرس في الطين.يعتلي ثلاثة من الأحصنة رجال من المدفعية يعتمرونخوذات. على جانبٍ من النصب التذكاري، نُقِشَت أسماءالمدن التي انتُزِعَت من "هنجاريا" بموجب معاهدة"تريانون". كان "هورثي" الوصي على العرش، مولعًابفكرة النُصُب والتماثيل، وفي عام 1937 بدأ بوضعمجسمات لأكاليل الغار في كل مدينة؛ تسعة وعشرينإكليلًا، بدا الأمر كأطواق نجاة في سفينة كبيرة، ثم غرقتهذه السفينة في نهاية الأمر! عقب انتهاء الحرب، صارالصغار يلعبون "الاستغماية" بين سيقان الأحصنة الستةذات الرؤوس المكسورة، والتي يركبها رجال برؤوس تمقصفها. ظن الأطفال أن هذه الحيوانات أسود وليست

خيولًا. تمثال الملك "ماتياس" داخل أسوار القلعة، يقف وحيدًا بدوره فوق عمود من الجرانيت كجذع شجرة عارٍ.

لم يعد الترام يمر بجوار عمارتهم بصوته المزعج الذي يوقظ السكان من نومهم العميق في الفجر. تم إبعاد المحطة لمسافة مئة متر حيث موقع النافورة القديمة، التي صارت مَرْجًا للزهور. بذلك، أصبحت المحطة أكثر قربًا من "نافيجي"، الملأى بعظام ورفات الجنود، والألغام غير المتفجرة، وخراطيش وفوارغ الرصاص والأسلحة، والكهوف الغامضة التي تنبعث منها روائح البول والبراز.

قديمًا ولقُرب المحطة الشديد من العمارة، كان الأكثر جرأة من أطفال السكان يقفز أحيانًا من بابها الأمامي إلى العربات الخلفية للترام العابر، ويُلوِّح منه بحماس لأصدقائه وجيرانه. مع صعود الترام للتلة، يهبطون منه أمام دار السينما لشراء تذاكر العرض المسائي. كانت أجواء الحي قروية الطابع. في الصيف، يأتي بائع الثلج ويقوم بإنزال ألواح كبيرة من عربته، ويكسرها مستخدمًا فأسه الصغيرة، فتتطاير شظاياها اللامعة في نور الشمس، ثم يملأ دِلاء سكان الحي المتجمعين حوله بقطع الثلج. أما الفحم، فيأتي محمَّلًا في شاحنات كبيرة.. فتات الفحم براق، له رائحة مميزة تنتشر في الجو سريعًا. رجال بوجوه يغطيها السواد، ينقلون قوالب مضغوطة من الفحم العادي

وفحم الكوك. يضعونها في سلال كبيرة يحملونها على ظهورهم، أو يدفعونها عبر أنبوب مائل بجوار الفرن. لمرة واحدة في الأسبوع - في أيام السبت - يُستخدم هذا الفحم في توفير المياه الساخنة للعمارة بأكملها.

على الإطار الخارجي لنافذة شقة الطابق تحت الأرضي، اصطفَّ عساكر من الصفيح تم دهنهم للتو بالأزرق والأحمر، لكي تجف ألوانهم. تنهمك زوجة حارس العمارة والتي تصنع تلك الدمى، في توزيع الفطائر الساخنة على الأطفال المنتظرين تحت نافذتها. كانت مهمة زوجها الأساسية هي إبقاء فرن المبنى مشتعلًا، وعبر فتحة في الباب الرمادي للقبو، يمكن رؤية وجهه اللامع الذي انعكس عليه لهب النار؛ كان القبو أشبه ببطن سفينة بخارية كبيرة. خارج المبنى طاف بائع متجول، وحدَّاد يسن السكاكين. وقفت خيول صغيرة - تذكر بأحصنة الحكايات - أمام عرباتها المتهالكة، وراحت تحك حوافرها المغطاة بحدوات خشنة الجوانب في الطريق غير الممهد. انتشرت في الجو رائحة كعكات العسل المنبعثة من المخبز القديم. في واجهة المخبز، تزاحمت برطمانات زجاجية كبيرة مملوءة حتى الحافة بقطع الكعك. تعالى رنين الأجراس المعلقة على باب المخبز حين فتحه أحد الزبائن، واستقبلته المرأتان المسنتان اللتان تديرانه بابتسامات لطيفة.

"آني لو يوداآت" قالتها بالعِبرية؛ لا أعلم، كلا، لا أدري إن كانوا بالمنزل.

في اللحظة التي دخلت فيها العمارة، ارتدت إلى

الوراء للحظة بشيء من الخوف. أرخت تعبيرات وجهها المشدودة في توتر، تحسبًا للالتقاء بأحد معارفها. منذ أن غادرتْ منذ سنتين، لم يعد الرجوع لهذا المبنى سهلًا. كانوا يعرفونها مبتسمةً على الدوام؛ حرصت على لعب هذا الدور صباحًا ومساءً، لكنها - في قرارة نفسها - كانت تدرك بأن الأمر لا يتجاوز التمثيل. ابتساماتها زائفة؛ تحرص على ارتداء هذا القناع البهيج طوال الوقت، رغم أنه ليس سوى كذبة. ليست في مزاجٍ للابتسام الآن؛ الذكرى القوية تُربِكها.

من هذا المدخل تحديدًا، غادرت العمارة فجر أحدالأيام الصيفية في عام 1958، حين هربت مع "توم" الجندي الإنجليزي الذي أحبته في "فلسطين". كان قدجاء يزورها بصحبة زوجته وطفليه، قاطعًا نصف القارةليراها.. هربت معه إلى بحيرة "بالاتون"؛ كان عليهاالذهاب وليس باستطاعتها معاندة القدر.

في هذا المدخل أيضًا، وقف "باباي" مُمسِكًا بيد ابنته ذات الشَعر الأحمر، مُنصتًا إلى البث الإذاعي الذي يمكن سماعه من النوافذ المفتوحة على اتساعها في أكتوبر 1956، حين أراد بعض المتمردين ممن يضعون على صدورهم دوائر من شرائط مطوية، أن يعلقوه علىأول عمود إنارة يصادفهم((18)). من هذا المدخل ذاته،خرج "باباي" من العمارة مسرعًا مع ابنه الأكبر وابنته،كان متعجلًا فلم ينظر يمينًا أو يسارًا، وأوشك على عبورالطريق ساحبًا الطفلين وراءه. بغتة، توقفت شاحنة مارةواحتكت عجلاتها بالأسفلت مصدرةً صريرًا مرتفعًا متفاديةً

دهس الثلاثة. أطلق "باباي" وابلًا من الشتائم على السائق، الذي غادر شاحنته بهدوء وصفع "باباي" على وجهه بقوةٍ بالغة، طارت معها نظارته. لم تسمع السيدة "باباي" شيئًا عن هذه الواقعة أبدًا، لكنها ظلت حيَّةً في ذاكرة الابن الأكبر. "باباي" بوجهه المُسالِم، الذي غمره الخزي وشلَّته الصدمة.

في تلك الفترة تقريبًا، ظهرت تلك الكتابة على جدران المبنى؛ مَن الذي كتبها؟ المتمردون أم مَن سجنوهم لاحقًا؟ كتبوا باللون الأخضر وبأحرفٍ كبيرة: "حكم الشعب الحديدي" PEOPLE'S IRON RULE.. صار اللون باهتًا ولم تعد الكتابة ظاهرة. وحدهم من رأوها سابقًا، يمكنهم ملاحظتها. شكَّلت تلك العبارة أحد العلامات المميزة للعمارة. عند هبوطه السلالم الضيقة لـ"نافيجي" في طريق عودته للبيت من المدرسة، كان الابن الأصغر للسيدة "باباي" يقرأ تلك الجملة باستمرار دون أن يفهم كلمة منها، ودون أن يستفسر عن معناها من أحد.

"شميتز.. شميتز.. أحقر حتى من أن تصل إلى أوشفيتز".. كانت هذه عبارة أخرى كُتِبَت في مكانٍ ما؛ رأتها السيدة "باباي" أمامها في تلك الأيام الثورية، وأحست بأنها تلقت صفعة على وجهها. أدركتْ في تلك اللحظة بأن عليها مغادرة البلد، لكنها - مع ذلك - بقيت فيها.

ما حدث قد انتهى.

بخطىً ثابتة، ودون أن تلتفت حولها، ولجت السيدة

"باباي" مدخل العمارة البارد بأرضيته الحجرية. في الداخل سُلَّمان، أحدهما على اليمين والآخَر على اليسار. في الواجهة حائط زجاجي لامع يُظهِر جانبًا من القلعة القريبة، بالإضافة إلى الساحة الداخلية للعمارة بأزهارها الذابلة. كشك الحراسة مهجور وستارته مسدلة منذ أن أُعطِيَ كل السكان مفاتيح لبوابة العمارة الخارجية. الحارس وزوجته لا يغادران شقتهما في القبو إلا قليلًا. ها هي المرأة تقف الآن في المدخل تحمل في يدها مكنسة من فروع الأشجار الجافّة. حركت مكنستها بعنف مرة تلو الأخرى، إلى أن اضطرت السيدة "باباي" للالتفات نحوها.

- كيف حال زوجكِ العزيز السيد "فورجاتش"؟

غمغمت السيدة "باباي" بإجابة مُبهمة، فكررت زوجة الحارس سؤالها. رسمت السيدة "باباي" ابتسامة عريضة على شفتيها، وقالت بصوتٍ مُنَغَّم أكثر وضوحًا:

- إنه يتحسن ويبذل ما في وسعه، سيدة "لينارت".

لكن السيدة "لينارت" لم تشفق عليها وتتركها في شأنها، بل قالت:

- يا للرفيق المسكين "فورجاتش"! ليست هذه هي النهاية التي يستحقها!

حركت مكنستها يمنة ويسرة بقوة، فتطاير الغبار في الجو. أضافت:

- رأيته منذ فترة؛ إنه في حالة سيئة للغاية، كأنه مكسور لنصفين.. لا، إنه لا يستحق هذه النهاية.

أحست السيدة "باباي" بطعنة؛ هل تحاول السيدة "لينارت" مواساتها أم السخرية منها؟ الأخيرة على الأرجح. همَّت بمغادرة المرأة حين أوقفها صوتها الحاد وتعبيراتها الممتعضة:

- دعيني أخبركِ بأن الشرطة كانت هنا البارحة. أنا شخصيًا لم أسمع شيئًا، ولكن كان هناك صخب وضجيج وفوضى. ذهب إليهم بعض السكان خمسًا أو ست مرات، وأبدى الجيران استياءهم الشديد. دقوا على الجدران والأسقف، لكن الإزعاج ظل مستمرًا.

أضافت:

- عليكِ أن تتحدثي إلى أولادكِ، سيدة "فورجاتش". ليس لديَّ أية فكرة عمن اتصل بالشرطة، لكنني لو كنتُ مكانهم كنتُ سأفعل الشيء ذاته، صدقيني. بعد الساعة العاشرة مساءً، ارتفع صوت فتاة وهي تصرخ من النافذة؛ ربما كانت ابنتك، وحتى بعد انتصاف الليل ظل أصدقاؤهم وضيوفهم يتوافدون على المسكن، وهم يفتحون ويغلقون بوابة العمارة بقوة، حتى ظننتُ أن زجاجها سيتحطم، كان المبنى كلّه يهتز، صدقيني. حسنًا، أنا أفهم الشباب صغار السِن. نعم، أنا نفسي كنتُ شابة في يوم من الأيام، لكن هذا السلوك غير مقبول وبخاصة بعد العاشرة مساءً. ألستُ محقة؟ هذه العمارة تضم سكانًا من الطبقة العامِلة يا سيدة "فورجاتش"، كما تعلمين.

"الطبقة العاملة"؛ استخدمت السيدة "لينارت" مصطلحًا يليق بالخمسينيات! كانت معظم كلماتها قديمة ومهجورة، حتى في حديثها عن العساكر قالت "ÁVÓ" -

البوليس السري الهنجاري -، إذ أردفت:

- ليس مقبولًا أن يأتي أحد من الـ"ÁVÓ" هنا، ليس لائقًا أبدًا!

وَشَت نبراتها بالشماتة. ها قد صار بإمكانها إذاقة السيدة "فورجاتش" مشاعر الخوف ذاتها التي عاشتها خلال الحُكم الشيوعي. لعل ذلك يبرر استخدامها لتلك الكلمات العتيقة الآن. عائلة "فورجاتش" من ذلك النوع أيضًا؛ ليسو سيئين أو أشرارًا لكنهم شيوعيون. لسببٍ غامض، يجب أن يخافهم الإنسان ويتعامل معهم بحذر، وبخاصة ذلك الأحمق الكبير بجسده الممتلئ، الرفيق "فورجاتش". لم يمرَّ بها مرة، إلا وأثنى عليها بعبارة بلهاء، ممازحًا إيّاها بالكلام أو بلمسة يد. الرفيق "فورجاتش"، النشيط، خفيف الحركة، رغم بدانته. لم يكن يشرب أو يدخن، لكنه وغد فاشل على كل حال!

لم تعلق السيدة "باباي" على ما سمعته من زوجة الحارس؛ اكتفت بالعبوس وزمِّ شفتيها، وواصلت سَيرها. مَشَتْ في الساحة الداخلية، وكلاعبِ شطرنج، تخطت أحواض الأزهار بخطواتٍ مدروسة ومتأنية. أحسّت بأن هناك أعينًا تراقبها من النوافذ المعتِمة لشقق القبو.

أُنشِئت العمارة مكان مبنىً من نوعٍ آخر، لا تزال بقاياه قائمة في بعض المواضع، وهو ما يفسر غرابة تكوينه الحالي؛ كان مقرًّا للحرس قبل الحرب. في الجانب الخلفي الضيق الذي يتخذ شكل حدوة الحصان والمكوَّن من طابقين، سَكَن الحرس وتمتعوا بالشُرُفات المُريحة والسطح الفسيح، أما الشقق الكبيرة، ذات الأثاث الأنيق

- الذي لم يكن فخمًا أو باذخًا - والأسقف المرتفعة والمطلة على شارع "آتيلا"، فقد كانت من نصيب الضباط. لا بد أن وظيفتهم كانت ممتعة ومسلية.. يلتقون يوميًا في شقة مختلفة لتبادل الثرثرة وتناول القهوة.

عقب انتهاء الحرب، وتعرُّض ثكنات الحرس والضباط للقصف على جانبي الميدان أسفل القلعة، شُيِّدَ مكانها عمارتان لهما شكل مكعب. انتقل "باباي" الشاب وزوجته إلى شقةٍ في إحداهما. خَطّ عبارة: "بدأتْ معركة الانتقال لمستوى معيشي أرفع" في رسالة كتبها بالإنجليزية لزوجته، يستعرض فيها نجاحاته وإنجازاته. كانت الزوجة حينها حاملًا في طفلهما الأول، وتستعد لامتحاناتها الدراسية((19)). كتب الخطاب بلغةإنجليزية لا تخلو من الخصوصية والحميمية. بعد مرورعام على انتقالهما لـ"هنجاريا"، واصل الاثنان التحدثمعًا بالعِبرية أو الإنجليزية، إلى أن قام شخص ما في أحدالأيام بإبلاغ السلطات المختصة بشأن استخدام السيدة"باباي" للغة أجنبية خلال ركوبها الترام.
بعدها، تلقتإنذارًا بشأن ذلك وصلها في مقر عملها بإحدى رياضالأطفال.

تحيط بالساحة الداخلية للعمارة جدران حجرية زُيِّنَت بطوب مزخرف. كان المكان في الأساس ساحة تدريبات رياضية للجنود. بعد ذلك، صارت ملعبًا لأولاد العمارة يمارسون فيه لعبة كرة القدم حتى حلول الظلام. في تلك الأيام، اعتاد الأولاد خوض حرب استنزاف مع أطفال العمارات الأخرى، وكانت ذروتها دومًا في أوائل الخريف،

حين تنضج ثمار الكستناء. في بعض الأحيان، تفاقمت المعارك لدرجة تبادل قذف قوالب الطوب. مَن يدري سبب تلك المعارك؟ لكنها مع نهاية الخمسينيات توقفت تمامًا.

العمارتان مكعبان رماديان متقابلان على جانبيْ ميدان "دوزا جيورجي".

لم يعد للشكنتين بقبتيْهما الشبيهتين بكعك الـ"مارزيبان"، أيُّ وجود؛ ولا للنُصُب التذكاري لسلاح المدفعية في الحرب العالمية الأولى كذلك. خلال حصار "بودابست"، حرص الأمريكان على تفجير المبنيين والتمثال، ثم جاء الروس وحولوا البقايا إلى فتات وشظايا. لم يكن باستطاعة الجنود الذين يحرسون هذه الأمكنة حمايتها فِعليًا من أية أخطار، فقد كانوا أعلى بقليل فقط من حرس الشرف بخوذاتهم المعدنية المزينة بريش الطيور، وقمصانهم المصنوعة من الكتان الغليظ، وصدرياتهم المزيَّنة بنقوش وزخارف فلكلورية، وأحذية البُوت الجلدية الطويلة التي تصل إلى الركبتين المصنوعة من الجلد المُطَرَّز، أمَّا السلاح الوحيد الذي زُوِّدوا به فلم يكن غير سيوف ثقيلة.

في أوائل عام 1949، انتقل الموظف الجديد في المكتب الإعلامي لرئاسة الوزراء إلى هذه الشقة الجديدة، حاملًا معه ممتلكاته المتواضعة ومولودته الأولى. لم يكن قد أصبح "باباي" بعد، لكنه لم يعد "فريدمان" أيضًا. بعد سنواتٍ من الصعوبات والعراقيل، بدا أن حياته المهنية تستعد للانطلاق كالسهم.

لم تخلع السترة التي ترتديها. امتلأت شمّاعة المعاطف في مدخل الشقة بالكثير من الثياب، حتى كادت تسقط عن الجدار. الملابس المتراكمة فوقها، جعلت الممر ضيقًا بعض الشيء. لا متسع لتعليق السترة الخاصة بها. تحاشت النظر إلى المرآة. دخلتْ المطبخ القذر، العين الصغرى للموقد مشتعلة، فوقها إبريق شاي تبخر الماء منه تمامًا، بجواره فنجان تعلوه مصفاة بها أوراق شاي. سارعت السيدة "باباي" بإطفاء الموقد. كان مفتاحه لزجًا من شدة القذارة. على سطح الموقد المعدني الأبيض، تناثرت بقع جافة ومحترقة من الشوفان وبقايا أطعمة أخرى. لم تعرف كيف تتصرف: هل تنظف المطبخ، أم تتركه كما هو؟

حملتْ السيدة "باباي" الإبريق ووضعته في الحوض، وفتحت عليه الماء البارد، اندفع منه بخار ساخن غطى وجهها. حولت بصرها إلى غرفة الخزين الملحقة بالمطبخ، في ضوئها المعتم شاهدت الرفوف خاوية إلا من برطمان مسطردة جفت محتوياته، وبعض ثمار البطاطس التي بدأت جذورها في النمو، وعدد من حبات البصل الذابلة. في أحد أيام 1963، تسببت هي نفسها في حريق بالشقة. كانت قد نسيت فَصل المكواة من فيشة الكهرباء، أما "باباي" حينها فكان نزيلًا في المستشفى، وكان عليها ألا تتأخر عن عملها في الصليب الأحمر. من العمارة

المجاورة، لمح أحد السكان الدخان الأسود المنبعث من نافذتها، واتصل بالمطافئ. لم يستطع رجال الإطفاء دخول الشقة، ولم يكن من المنطقي أيضًا جَرُّ خرطوم المياه عبر السلم الحلزوني للعمارة، وهكذا انتهى الأمر بتوجيههم للخراطيم إلى نافذة مطبخها! غطى الماء الأرضية الخشبية للشقة، وسالَ جزء من المياه التي اسودت على درجات السلم الحلزوني.. صفق الجيران للمشهد. بعد 15 عامًا، لا يزال باب غرفة الخزين مشوهًا من أثر الحريق، ويبدو سطحه كرغيف من خبز الـ"ماتزو" المليء بالثقوب تم صبغه لإخفاء عيوبه! لكن سطحه غير المستوي لا يزال ظاهرًا تحت طبقات الدهان.

سمعتُ صوتًا من الغرفة الكبيرة، عندها فقط تنبهت إلى أن أحدًا وضع كل الكراسي هناك. لاحظت أن أجمل قطعة أثاث في بيتها؛ أيْ المنضدة الزجاجية بيضاوية الشكل والمستندة على أعمدة إغريقية، قد تم تحريكها من مكانها ووضعها بجوار المكتب الخشبي ذي القوائم الشبيهة بأرجل الأسد إلى جانب المدفأة. داخل دُرج هذا المكتب، وضع "باباي" - حين كان عضوًا في ميليشيا العمال - مسدسه المُرخص ورصاصه المغطى بطبقة من النحاس الأصفر. توزعت في أدراجه الأخرى الأوراق والشهادات العائلية، بالإضافة إلى عدد من الكتيبات. داخل الحُجرة وكأنما في مسرح، وُزِّعت المقاعد مختلفة الأشكال في صفوف على الجانبين. تم لف السجادة الفارسية المهترئة، وإسنادها إلى الحائط. بجوار السجادة، استندت صورة كبيرة بالأبيض والأسود

للابنة الصغرى للسيدة "باباي"، ترتدي فيها بدلة أبيها الرمادية اللامعة، وقميصًا أبيض اللون، وكرافتة ونظارة شمسية كبيرة الحجم. التُقِطَت الصورة لها وهي تؤدي أحد الأدوار المحببة لقلوب المتابعين للعروض الفنية للشقة، وهو مونولوج طويل من فيلم إيطالي شهير، يقوم فيه ضابط شرطة بقتل عشيقته، ثم يُكلَّف بالتحقيق في الجريمة((20)).

قالت السيدة "باباي" لنفسها: "من الأفضل ألا أدخل؛ عليَّ مغادرة هذا المكان فورًا".

كانت الشبابيك الخشبية نصف مغلقة. استوقفها شيء ما، لكنها لم تستطع مواصلة هذا التردد، فاقتربت من الحجرة بخطوات هادئة؛ إنها الحجرة نفسها التي نامت فيها لربع قرن، شهدت فيها أحلك الأوقات. استلقت بمفردها في هذا الجانب أو ذاك على أَسِرَّة متراخية ومهتزة ذات صرير. حين كان "باباي" يعود إلى البيت فجرًا بعد نهاية فقرته الليلية في الإذاعة الهنجارية، أو حين كان يستيقظ من نومه متأوهًا في منتصف الليل، يذهب إليها في ذلك الركن المجاور للمكتب الخشبي الضخم، إن كان يريد منها شيئًا، وغالبًا ما كان يريد منها شيئًا. بسبب قلبه الهائج ومشاعره المتضاربة، كان في احتياجٍ دائم لهذه الأمور حتى لو لم تكن هي في كامل رغبتها بها. طالما أن أصغر اثنين من أطفالهما اللذين يشاركانهما الحجرة، كانا يغطّان في نوم عميق كما يظن، كان يجد الأمر مُلِّحًا، لكنه لم يكن متأكدًا تمامًا من استغراقهما في النوم على الدوام. كانا يمارسان علاقتهما الزوجية في

صمت، وهما يكتمان آهاتهما. الصوت الوحيد المسموع في تلك الدقائق هو صرير الفراش، بعدها يعود "باباي" إلى مكانه. لم يكن لهما أبدًا غرفة خاصة. حين سنحت لهما الفرصة أخيرًا للتمتع بحجرةٍ تضمهما معًا، فضل الاثنان تأجيرها لساكنٍ مقابل مبلغ زهيد يساعدهما في مصروفات المنزل، لكن ما حدث بعدها هو أن المستأجر لم يدفع شيئًا، واضطرا لبذل جهود عدة للتخلص منه. في أحيان أخرى، كان بعض الأقارب ممن يتعرضون لمأزق طارئ أو آخر، ينتقلون لبيتهم للإقامة في إحدى الغرف الصغيرة. عندها، كان إخراج الضيف غير المرغوب فيه من مسكنهم أمرًا بالغ الصعوبة. المكان الوحيد الذي كانت السيدة "باباي" تنام فيه بارتياح هو الأريكة ذات الغطاء الأخضر، التي أحضراها من "لندن"؛ كانت تتحول إلى سرير بحركة بسيطة وكانت مثار دهشة جميع الأهل والأقارب.

صوت ضحكة خافتة. فتى أشقر نصف عارٍ مستلقٍ على مرتبة فوق الأرض؛ لم يكن مستلقيًا تمامًا بل نصف جالس، مستندًا إلى عدد من الوسائد تفصل بين ظهره والحائط. ساقاه الطويلتان المُشعرتان تبرزان من تحت البطانية البدوية، أصابعه تعبث بلطف بأوتار جيتار يسنده إلى بطنه. علت البهجة وجهه فور رؤيته السيدة "باباي". ابتسم لها في شقاوة طفل، وسألها:

- كيف حالكِ سيدتي؟

حين رأت نحوله الشديد، كان أول ما فكرت فيه هو ضرورة إطعامه وتغذيته. لم تجد شيئًا تقوله، فسألته:

- ماذا كنت تعرف؟ "باخ"؟

أضافت:

- هل قدمتم عرضا فنيًا؟((21)).

لم تجرؤ على الاقتراب أكثر؛ ظلت في مكانها. غمرها شعور مفاجئ بإرهاق بالغ، لكنها أحست برغبة ملحة في إعداد بعض الطعام لهذا الشاب الأشعث، صديق ابنها، كما أرادت إعادة المقاعد لأماكنها، وأن تكنس الأرض، وتعيد تسوية ملاءات الأسِرَّة، وأن تقوم بتهوية الشقة، وتنظف السجادة بالمكنسة الكهربائية؛ باختصار، أرادت إعادة النظام لهذا المكان الذي تعمه فوضى مجنونة. كلا، ليس لديها أيُّ طاقة لفعل ذلك. تهاوت بجسدها المنهَك على أقرب كرسي. وضع الفتى الأشقر جيتاره على الأرض، وكأنه يتأهب لحوار طويل معها. تحرك ببطء وثنى جسده فوق المرتبة كي يصل للأرضية الخشبية. لفت ذلك نظر السيدة "باباي"، التي انتبهت للجسد المستلقي جواره تحت الغطاء؛ لم يظهر منه سوى باطن قدميه المتسختين. قال الفتى أخيرًا:

- نعم، كان ذلك "باخ"؛ "الكلافسان المُعَدَّل" The Well- Tempered Klavier.

انحنى من جديد، ليحمل جيتاره. عاجلته السيدة "باباي" بسؤال ثانٍ:

- هل أنتَ من وضع الإبريق على النار؟

تسارعت نبضاتها في انفعال من شدة الضيق؛ لم تجد شيئًا آخر تقوله. بدلًا من أن يجيبها، رفع الفتى التميمة

المطرزة التي تتدلى من خيط جلدي حول رقبته. كانت قد أعطتها له السيدة "باباي"؛ اعتادت أن تمنح أول شخص يقابلها قطعةً من المطرزات فور انتهائها منها. تصوِّر هذه التميمة عصفور الجنة.

قال بمرح:

- لا أزال أحتفظُ بها يا خالة "رِيا"!

عقد حاجبيه، وأضاف بجدية:

- سمعتُ صوت "بيتر" في المطبخ منذ فترة.

- كان عليك أن تطفىء الموقد، على كل حال.

قال بسُرعة:

- حالًا!

وثب من تحت البطانية، وارتدى البنطلون بعجالة؛ كانت سرعته المتعمدة تهدف إلى تشتيت انتباه السيدة "باباي"، وصرفها عن ملاحظة الشخص النائم بجواره. فكرتْ: "مستحيل! لا يُعقَل أن يكون هو المستلقي هناك. حسنًا، ماذا لو كان هو؟ ما الذي يعنيه ذلك؟ ولماذا أفكّر في الأمر من الأساس؟".

هنا، تسارعت نبضاتها بشكل مطرد وبصوت مسموع، كحصانٍ يضرب حوافره في الأرض رغبةً منه في مغادرة الإسطبل. طافت نظراتها المتفحصة الجسد المغطى للشخص النائم، دار في ذهنها سؤال واحد: "ألستَ جائعًا؟" لكنها عوضًا عن ذلك ولدهشتها العظيمة، وجدت نفسها تقول:

- ألا تعرف أين "أوندراش"؟

انبعث صرير من باب الشقة عندما فتح فجأةً. تعالت أصوات متداخلة قادمة من جهة السلم؛ يبدو أنهم مجموعة من الأشخاص جاؤوا معًا. بعد لحظة، ارتفعت ضحكات قوية مصحوبة بحوار ساخن. دخل ثلاثة وأنار أحدهم الضوء؛ لم يكن ابنها بينهم.

حلَّ الظلام.

أشاحت السيدة "باباي" ببصرها عن الشاب. لم تستغرب الحضور المفاجئ للغرباء الثلاثة؛ كلا، كانت قد أمضت حياتها بأكملها على ذلك النحو؛ بإمكان أي أحد أن يدخل بيتها في أيِّ وقت. كان الوضع كذلك في منزل أبويها أيضًا حين كانت طفلة؛ أيًّا مَن كان الزائر، كان يجد طعامًا ورُكنًا يبيتُ فيه سواء أكان متسولة فقيرة، أو وفدًا رفيع المستوى من العرب العابرين في "القُدس" قادمين من "موسكو" أو "تل أبيب"، أو في طريقهم إلى "بيروت". ربطتهم ببعض الضيوف صِلاتُ قرابة بعيدة بعض الشيء، أو خالةٌ أو عمة أو واحد من أبنائهما، أو مستأجر لم يدفع ولا يمكن طرده، أو خليط من الأجانب الأرمن والبريطانيين والفرنسيين والإيطاليين، وربما جارة أتت لاستعارة القليل من المِلح أو الدقيق أو بعض حبات البطاطس، أو جارٌ يحمل لهم بطيخة طازجة، أو ساعي البريد بتلغراف. لكن الحقيقة أنهم لم يستقبلوا أبدًا صديقًا حقيقيًا؛ مجرد معارف؛ إذ لم يكن لهم أصدقاء. كانت هناك زيارات ومناسبات تحمل خصوصية متفردة، مثل تلك الأوقات التي يأتي فيها والدها نائب رئيس

مجلس السلام العالمي، من رحلاته إلى "تل أبيب" أو "موسكو" أو "ستوكهولم"، تعامل معه الجميع باعتباره شيخ القبيلة الحكيم. عند عودته، يجتمع أفراد العائلة بأكملهم حول المائدة الزجاجية المستديرة في الغرفة الخاوية تقريبًا من أي قطع أثاث أخرى.

في تلك المناسبات، تتعرض الأرضية الخشبية للكثير من الدعك خلال عملية التنظيف، إلى أن تصبح لامعة وبراقة، ويرتدي الجميع أفضل ملابسهم استعدادًا للصورة الجماعية. خلال الدقائق التي يتطلبها الاستعداد للصورة، تُدفَن الخلافات الأسرية المعتادة وتُخَبّأ الأسلحة، ويتم التغاضي عن التأنيب واللوم والغيرة، وينصبُّ الاهتمام على كلمة سحرية واحدة، هي "إسرائيل". هل هي محتلة وغازية، أم ضحية للغدر والخيانة؟ معتدية أم مسكينة؟ تبع انقسامَ الحزب الشيوعي إلى اثنين عام 1956، تطورُ المناقشات إلى جدال حماسي شائن يذكر بالحروب الدينية في القرون الوسطى؛ تعاملوا مع المسألة ككارثة كونية، أو كمولد "جمهورية فايمار" الألمانية. تردد اسمان بقوة خلال هذه المناقشات الساخنة: "سنيه" و"ميكونيس" لا غير؛ فقط "سنيه" و"ميكونيس". كانا مؤيدين للانفصال ورمزًا للهرطقة، والخائنين اللذين انقلبا على "موسكو"، ثم بدأت الأسماء العربية في الظهور أيضًا: "إميل حبيبي" و"توفيق طوبي"، "طوبي" و"حبيبي"، "الاتحاد" وجريدة "زو هاديريخ". في تلك اللقاءات، تبادل الأقارب قصاصات صحفية بالعبرية والإنجليزية، ودفعوها في وجوه بعضهم بغيظ وانفعال، وهم يصيحون

بعبارات عن الإمبريالية ومذابح الإبادة. حين أتت حرب الأيام الستة في 1967 وانقطعت العلاقات الدبلوماسية، تضاعفت حدة النقاشات؛ صار الخلاف عميقًا للغاية. ثم ظهر "ساشا" الشيوعي العربي المَرِح، برائحته الحلوة. كان يتردد عليهم عائدًا من غزواته على المخازن، حاملًا لهم صندوقًا من الـ"مارلبورو". كانت السيدة "باباي" المدخنة غير المحترفة، تحرص على إشعال سيجارة فورًا ببساطة ومودة. في تلك الفترة أيضًا، ظهر الأرمني المسيحي الشيوعي تاجر النفط القادم من "بيروت"، الذي واظب حتى آخر أيامه على إرسال بطاقات بريدية من جميع أنحاء العالَم لـ"بروريا" الغالية.

حين يصل الأب شيخ القبيلة الحكيم، تتحد العائلة ولو بشكل مؤقت. يتم إحضار المواليد والأطفال، ويحرص الجميع على التواجد، حتى مَن لا يطيقون بعضهم في الأوقات العادية، يتبادلون الابتسامات في هذه المناسبات.

لم يكن ابنها ضمن الشبان الثلاثة، وكان أكثرهم صخبًا ومرحًا ذا العينين الزرقاوين اللامعتين، الذي يضع على رأسه قبعة بنية اللون يميلها على جبينه ولا يخلعها أبدًا، شفتاه مبتسمتان على الدوام، يبدو كأنه يتذوق كلماته قبل حتى أن يفكر بها، تعكس بشاشته استمتاعه بكل فكرة مسلية تخطر على باله، يضع نظارة طبية سميكة، والكلمات تتدفق من فمه بسهولة ويسر وكأنه يمثل مسرحية من تأليفه. لم يُعِر الشاعر الملتحي ذا الوجه المغطى ببقايا بثور أيَّ اهتمام؛ كان يتكلم فحسب. إن

قاطعه الشاعر بجُملة عاجله هو بتعليق يُسكِته فورًا، لا يخلو من مجاملةٍ لطيفةٍ لشخصه. كان هذان الاثنان: الشاعر الممنوع من نشر أعماله، والمؤلف المفصول من وظيفته الرسمية، أشبه بـ"دون كيخوته" و"سانشو بانزا"، لا يفترقان أبدًا. حامَ حولهما الشخص الثالث؛ بدا واضحًا أنه ليس من معارفهما المقرَّبين، يبدو أنه تعرف إليهما في شقةٍ أخرى أو في بار؛ ربما في "نادي الفنانين الشباب" مثلًا. هناك الكثير من هذه النوعية، ممن يمضون ليلهم في الانتقال من حفل إلى آخر دون دعوة؛ يأتون فجأة ويغادرون في أية لحظة دون أن ينتبه لهم معظم الحاضرين((22)).

فور رؤيته للسيدة "باباي"، ركع الشاب ذو القبعة البنية على ركبتيه، وقال بابتسامة عريضة:

- آه! وردة "الخليل"!

بأداءٍ مسرحي، لثم يد السيدة "باباي" بحميمية وإعجاب صادق. أينما دخلت السيدة "باباي"، أضفت شيئًا من الجاذبية على أجواء المكان، شَعَّ بريق الجمال من ملامحها رغم إحساسها بالتعب والإنهاك. انبعث جمال مشابه من كل ركن في هذه الشقة العتيقة التي تعمها الفوضى.. من الأثاث، والصُوَر، والمزهريات الزجاجية، واللوحات المطرزة، ومستنسخات الأعمال الفنية الشهيرة، والكتب. كانت هذه الأمور مجتمعة هي السبب الرئيس في انجذاب هؤلاء الشباب من أصدقاء أبنائها ومعارفهم للمكان؛ أما العروض التي تقدمها أصغر بناتها بشعرها الأحمر النحاسي وصوتها الرنان واستعدادها

الدائم لخوض أيِّ مغامرة، فلم تكن سوى حجة يدخلون بها الشقة، لكن ابنتها غير موجودة في هذا الوقت.

قال الشاعر وهو يفتش بعينيه عن مقعد يجلس عليه:

- هاي "بروريا"!

في هذا الوقت من اليوم، يفضل الجلوس على الوقوف لكنه لم يعثر على كرسي حوله، فاكتفى بإشعال سيجارة لنفسه.

السيدة "باباي" التي تقدس الفنون حد العبادة، كانت تقدر هؤلاء الشباب لحبهم للفن، ولأنهم أصدقاء أبنائها فإنهم في نظرها مجموعة من الملائكة كصغارها تمامًا. كما أن عملها كممرضة لسنوات طويلة، جعلها تتقبل جميع الناس دون أدنى تفرقة. الأهم هو حبها للمرح والنكات الجيدة. رمقتْ الضيف الثالث بتساؤلٍ صامت، لكنه لم يقل شيئًا. ردت تحية الكاتب:

- أنت لا تعرف "الخليل" أصلًا!

قالت ذلك بصوتٍ مشوب بالحزن.

أضافت:

- إنها بلدة عربية محتلة.

شعر الشاب بالحرج والندم.

قال بسرعة:

- آسف، آسف!

كان على وشك قول المزيد، لكنه أدرك حساسية الأمر بالنسبة لها، فآثر الصمت.

سألتهم:

- "بيتر"؟

- سيأتي عما قليل؛ لقد التقى بعض الإيطاليين في الطريق.

تدخل الشاعِر مصححًا:

- إنجليز.

قال الشاب ذو القبعة:

- عفوًا! نعم، التقى بعض الإنجليز؛ لا فرق، لكنهم إيطاليون، إنهم هنا على مقربةٍ من المبنى، يغنون.

كرر الشاعر:

- إنجليز.

سحق عُقب سيجارته وأشعل أخرى جديدة وأضاف:

- لم يقابلهم هنا، بل في محطة قطار "ديلي".

- لا بأس؛ إنجليز. إنهم إيطاليون لكن لا مشكلة. إننا هنا من أجل أخته الصُغرى؛ لدينا شيء مهم نخبرها إياه، هل هي هنا؟

دون أن ينتظر الإجابة، تناول شوكة وراح يلتهم طبق مكرونة تركه أحدهم ممتلئًا؛ طبق غداء مهجور يتوسط مائدة الطعام الخالية من الكراسي. أعلن بفمٍ ممتلئ بالطعام:

- كونهم يتحدثون الإنجليزية لا يعني أبدًا أنهم إنجليز! من الممكن أن يكونوا إيطاليين على فكرة!

أجابه الشاعر معترضًا:

- الإيطاليون لا يتحدثون الإنجليزية أساسًا!

- حسنًا، أنت تعرف كل شيء أكثر من أيٍّ أحد آخر، ومع ذلك فإنهم إيطاليون. هل تعرف أن لدينا دكانًا هنا يبيع جبنة "بارميزان" حقيقية؟

جلس بغتةً على طرف طاولة الطعام، وتفاجأ هو نفسه بما فعله. التصق شيء من صلصة الطماطم على طرف أنفه. استطرد ببعض الغرور:

- هذا من الأمور التي أنوي تسجيلها في اليوميات التي أنوي إصدارها؛ "بارميزان" معتق، "بارميزان" صلب كالصخر، "بارميزان" برائحة خلابة، "بارميزان" من "أومبريا" و"توسكانا"! هذه الجبنة المستخدمة هنا في المكرونة هي "ترابيستا"، إنها نسختنا من جبنة "بورت سالو". عمومًا، في واقعنا الاشتراكي فإن الـ"ترابيستا" هي الـ"بارميزان"!

أضاف بصوت مرتفع:

- لكن هذا غير مهم، نعفو عنك، أيًّا من كنتَ يا صانع هذه المكرونة اللزجة! أيها الجاهل بأمور الطبخ القادم من "بِست"!

تحدث الشاب ذو القبعة البنية بقدر غير قليل من الغرور والاستعلاء. بعد أن مسح كل ما في الطبق، أخرج من جيب معطفه نصف زجاجة من النبيذ الأحمر، ووضعها على سطح الطاولة، انتزع سدادتها الفلينية بأسنانه، تناول كأسًا كان في الأساس برطمان مستردة، تخلص من

السائل غريب الشكل الذي كان به، وصب لنفسه بعض النبيذ. أعلن دون أن يسأله أحد:

- أكره الشرب من الزجاجة مباشرةً.

ابتلع المشروب، وقال باشمئزاز:

- خمر بلغاري! بشع!

أطفأ الشاعر سيجارته في طبق، وانحنى أمام السيدة "باباي" كـ"جنتلمان" حقيقي، وقال لها قبل أن يختفي خلف أحد الأبواب:

- معذرةً.

كانوا يقفون في موقعٍ غريب من وسط الشقة. في نهاية الستينيات وبرغبة من السيدة "باباي"، تم هدم الحوائط التي تتوسط المسكن. دبرت المصاريف من النقود القليلة التي ادَّخرتها، ومن المبالغ التي استعارتها من جميع معارفها، فتخلصوا بذلك من الممر الضيق المعتم طوال ساعات اليوم، وخلقوا مكانه مساحة فسيحة. بهدم تلك الحوائط، لم يعد المرحاض وسلة الغسيل مخفيين، وكذلك جزء من الحمَّام. عند الانتهاء من تلك الإصلاحات، بدت الشقة عارية وخاوية وتخلصت من أجوائها الغامضة القديمة. أصبحت تتكون من صالة رحبة تحيط بها حجرة كبيرة، واثنتين أصغر مساحةً، بالإضافة إلى حمَّامين أحدهما مرحاض فقط والآخر للاستحمام، كما أزالوا جزءًا من المطبخ أيضًا، فكانت النتيجة مساحة إضافية جذابة وضعوا فيها طاولة الطعام؛ ولكن لأنه لم يتبقَ معهم أيُّ مبلغ مالي؛ فلم يكن من الممكن تغيير

أرضية المطبخ المغطاة ببلاط حجري أخضر وأبيض، بقطع الـ"باركيه" الخشبية كباقي المسكن، فظلت كما هي. نتج عن ذلك فرق من عدة سنتمترات بين الصالة ومدخل المطبخ، بدا أشبه بخشبة مسرح. عندما يقرر أحدهم إعلان نبأ مهم، أو إن شعر بتجاهل وانشغال الآخرين - وهو أمر متكرر في الفوضى والازدحام المعتادين - كان يقف في هذه البقعة ويتحدث بصوت مرتفع ليلفت انتباه الجميع. بقيت آثار الجدران المُزالة كنتوءات وندبات على أرضيات الشقة. بَنى الحائط الجديد للمطبخ عامل سكران، وانتهى الأمر بجدار مائل يمنح من ينظر إليه إحساسًا بأن المكان يتهاوى، أو أن الشقة تتمايل كما حدث خلال زلزال "بودابست" في 1956.

في الجدار الواقع بجوار المطبخ، جزءٌ حجري بارز هو المدخنة؛ لا يزال بها ثقب مفتوح مكان أنبوب الموقد، تم سده بورق الجرائد. كان هذا هو الموقع القديم للموقد الحديدي العتيق. في الخمسينيات، كان يتم إشعاله بالفحم الذي يُحتَفَظ به في السندرة، ويجلس الأطفال حوله على مقاعد صغيرة صنعها لهم خالهم، فيما تتم عملية تنظيف رؤوسهم من القمل وحشرات الشعر فينتشر الشعور بالحرقان في فروات رؤوسهم، وتفوح خصلاتهم برائحة الكيروسين، وعندما يحل الظلام ينسحبون إلى أسِرتهم بأجسادٍ مرتعشة وأسنان تصطك من شدة البرد فيستلقون عليها، ويتغطون بألحفة محشوة بريش الأوز. عندما تنقطع الكهرباء، وكان ذلك أمرًا معتادًا ومتكررًا، يشعلون مصابيح زيتية؛ عاشوا كالبدو الرُحّل ينتقلون

من غرفة إلى ثانية في الشقة التي تضيق بهم يومًا تلو الآخر. للبنتين الغرفة التي تقع على الزاوية، وللولدين تلك التي تجاور المدخل. للأبوين أكبر الحجرات، أو هذا ما كان يُفترَض أن يكون عليه الوضع قبل أن يبدأ الجميع في تبديل الحجرات واستخدامها كيفما اتُفِق. في أحد الأيام، قرر "باباي" مصادرة إحدى الغرفتين الصغيرتين، والاستيلاء عليها لاستخدامه الخاصّ. أراد أن يعمل وأن يؤلف رواية عظيمة للغاية، وأن يترجم بهدوء كتبًا عن تاريخ الصين وعن السيرة الذاتية لـ"بول روبيسون".

هكذا، يتضح أن الشقة كانت على الدوام ومنذ البداية، مكانًا يعجُّ بالفوضى.

في أحد الأيام، ظن شخص ما أن ما سيقوم به أمر في منتهى الطرافة، ولذلك كتب حرفين كبيرين على باب المرحاض: WC؛ لإيقاف سيل الأسئلة المتكررة عن مكانه من قِبَل الضيوف الآخرين.

خلف هذا الباب تحديدًا اختفى الشاعر؛ تجشأ مراتٍ عديدة كوحشٍ كاسِر. أعقب ذلك تنهدات وتأوهات تنم عن ارتياحه. أحاط السكون بالشقة؛ لم يُسمَع فيه سوى الأصوات القادمة من المرحاض. الشاب ذو القبعة البنية والذي لا يزال يجلس فوق طاولة الطعام، انفجر في قهقهات طويلة.

تعرضت الأبواب الخشبية لخزَانات الملابس المبنية في الجدران إلى الاعوجاج، لم تعد تغلَق جيدًا. هاجمت ذرات الغبار الثياب والملاءات الموضوعة بإهمال فوق رفوفها التي أصبحت مائلة بمرور الوقت. لم تعد السيدة "باباي"

تقيم هنا منذ فترةٍ طويلة. كانت قد سردت ماضيها النضالي على الجهات المختصة، وطالبتهم بمنحها شقةمن ثلاث حجرات في أحد الأبراج السكنية في الطرفالآخَر من المدينة((23)). مَن يأتي يأتي، ومَن يذهبيذهب.

خلال وقت قصير، وصل نحو خمسة ضيوف آخرين، لكن "بيتر" لم يكن بينهم. أرادت التحدث معه بشأن جواز سفره؛ سيسافر ولداها إلى أرض الأجداد؛ أمرٌ مُعَقّد. أما ابنتها، فقد صادَرَت السُلُطات جواز سفرها عقب رحلة قامت بها؛ اعتبرتها الجهات المختصَّة غير قانونية. عقب ذلك، استوقفها رجال الشرطة في إحدى الليالي للتفتيش، وحين رفضت الإجابة على أسئلتهم أو إعطائهم بطاقتها الشخصية، قاموا بِلَوْي ذراعها متسببين لها في رضوض. تعين على السيدة "باباي" استخراج جواز سفر جديد لها، من خلال وساطة المجلس المحلي للحزب، لكن مكتب الجوازات أصدر لاحقًا أمرًا بسحب الجواز منها من جديد. كان عليها أن تخاطبهم شخصيًا؛ إنها لا تستوعب عدم فهمهم لأبعاد المسألة.

في ذات الوقت، وعلى بعد ثمانمائة متر من الشقة على الجهة الأخرى من التل الذي تقع عليه القلعة، تابعتْ عينا الابن الأصغر للسيدة "باباي" الفتاة البولندية

الشقراء الشبيهة بـ"فينوس" في لوحة "بوتيتشيلي".
استلقى الاثنان على سرير خشبي من طراز الباروك بمرتبة متراخية. الفوضى تعم الفراش. كانا في الدور العلوي من مسكن من طابقين لا يُقفَل بابه أبدًا، تمامًا كما في منزل "فورجاتش". يمكن لأي أحد أن يدخل هذا البيت، ويقتطع لنفسه شريحة من رغيف الخبز الموجود على الدوام على طاولة المطبخ. هنا أيضا ينتشر نوع من الفوضى الفنية: ملابس أطفال منشورة على حبل مشدود، وروايات بأغلفة وصفحات مهترئة تناقلتها آلاف الأيدي، وفناجين ببقايا شاي، برطمان من مربى الخوخ دون غطاء بملعقة مغموسة داخله، مطفئة مليئة بأعقاب السجائر فوق مكتب من الخشب المُطعَّم بسطحٍ ملأته الخدوش والشقوق، تستند إحدى قوائمه المكسورة على قالب طوب، ساعة ضخمة عُلِّقَت بجوارها لافتة من شارع باريسي، أسطوانات "موتسارت" و"شُوبرت" مبعثرة في كل مكان، مجموعات مؤلفات "ماركس" و"إنجلز" موضوعة فوق خزانة الملابس، صور عائلية ورسوم بأيدي أطفال موزعة في جميع الأركان، كريات زجاجية على الأرض، بقايا شموع تلطخ سطح البيانو، كرسي بظهر طويل وذراع واحد سليم والآخر مكسور، أريكة من طراز الباروك، ومقاعد معدنية قابلة للطَيِّ.

مجموعات المعارف والأصدقاء التي تلتقي في هذا البيت، هي نفسها تقريبًا التي تجتمع في الشقة الأخرى، كما تذكر التقارير((24)). عادةً ما يتقابلون بالصدفة أكثر من مرة في الليلة الواحدة. فيما عدا واحدٍ أو اثنين،

تُغلِق معظم الأماكن العامة أبوابها بحلول الساعة العاشرة مساءً.

دون الدخول في تفاصيل حجرات هذا البيت، نعود إلى الفراش حيث يتلخص الحوار بينهما في سؤالٍ يكرره الشاب على الفتاة:

- نعم أم لا ؟ نعم أم لا ؟

في إشارةٍ لرغبته في ممارسة الجنس معها من جديد. اكتفت الفتاة بالضحك، ثم غابا في قبلة طويلة للغاية. نهدا الفتاة متباعدان قليلًا. أخرجت بعض الماريجوانا من حقيبة جلدية حمراء تعلقها حول رقبتها دخناها معًا. شعر الشاب بحشرجةٍ في حنجرته بسببها، وهاجمته نوبة سعال.. هذا كل شيء. رنَّ التليفون عدة مرات لكنهما تجاهلاه. قاما بتسوية الملاءة تحت جسديهما وجذبا البطانية الخشنة فوقهما، تركهما النوم. حين لم يجدا شيئًا أفضل يفعلانه، أطفآ النور. ارتفع صرير السُلَّم الخشبي المؤدي للطابق الثاني.

قبل يومين، التقط الابن الأكبر للسيدة "باباي" فتاة بولندية من محطة قطارات "كاسيل هيل"، بعد عشر دقائق كانت تجلس داخل الشقة الواقعة أسفل التل، بين ثلاثة وجوه سعيدة وضاحكة. راحوا يعرضون عليها الطعام والشراب، ويتأملون في هذه المتشردة النضرة كزهرة نَدية. بحلول المساء، صارت من ساكني الشقة؛ مُنِحَت غرفة خاصة بها لأن الابن الأكبر للسيدة "باباي" كان مضطرًا للسفر في الليلة ذاتها، ما أتاح حجرة خاوية. ترك الشابة في رعاية أخيه وأخته لحين عودته، وكأنه يترك حقيبة

في أمانات محطة قطار! ها قد عاد ولم يجدها؛ هزت أخته كتفيها بلا مبالاة، واختفى شقيقه تمامًا. راح يبحث عنها في الشوارع والطرقات ويسأل الناس عنها، إلى أن دلّه حَدْسُه إلى فتح باب هذه الشقة الكئيبة، وصعد إلى الطابق العلوي حيث قابله هذا المشهد: الاثنان عاريان تمامًا وتغطيهما بطانية واحدة.

على أعلى درجة في السلم، توقف عن الحركة. توجه نحو إحدى الأرائك، وانهار فوقها وانغمس في بكاء قوي شاعِرًا بارتياحٍ عميق لما رآه؛ كان أكثر حساسية ممايتخيله الناس. لابنها هذا حكاية تدخل ضمن "الماضيالنضالي" الذي تشير إليه عند الحديث عن حياتهاوزوجها((25)). سارعت باللجوء إلى أعلى سُلطة تعرفهافي عالَم الثقافة، "جيورجي آكزيل"، لكن باءت كلمحاولاتها بالفشل. لم يدرك الأخ الأكبر أبدًا أن الفضلفي التغيُّر الذي طرأ على شقيقه الأصغر، والذي تعرضدومًا للسخرية والاستهزاء من الآخرين بسبب علاقتهالمضطربة بالجنس اللطيف، يعود حصريًا لأختهماالصغيرة الأكثر حكمة ووعيًا منهما. هناك تحفظات علىسلوكها وتصرفاتها ربما، لكنها تبقى أخت رائعة((26)).

واصل الزُوَّار توافدهم على شقة شارع "آتيلا"، حيث تصرفوا بعفوية وبساطة؛ جلبوا المقاعد من الغرفة الكبيرة وتجمعوا حول طاولة الطعام. أحضر بعضهم شيئًا من الطعام معه، أو زجاجات النبيذ. فوق الكرسي الكبيرالذي تكاد الـ"سُوسَت" المعدنية تبرز منه، جلس الشاعرقليل الكلام وبجانبه زجاجة الـ"فودكا". الواقع أن أحدًا

من الجالسين حول الطاولة لم يتمكن من رؤية شيء منه أكثر من عينيه السوداوين، وذلك بعد أن تفتَّق ذهن أحدهم في إحدى المرات عن فكرة قَطع قوائم الكرسي بالمنشار! أخرج الشاعِر من جيبه كأسًا صغيرة للغاية.

لم يتم الإعلان عن عرض مسرحي لتلك الليلة، لكن ذلك لا يعني أبدًا عدم إمكانية تقديم واحد في أية لحظة، فتواجد الجمهور سبب كافٍ للتمثيل. قد يحدث شيء، وقد لا يحدث أيُّ شيء بتاتًا. أيُّ تمثيل مُرتَجَل يصلح ليكون عرضًا أمام هذا الجَمْع. عادةً ما يحتل الشقة نحو عشرين أو ثلاثين زائرًا؛ شبان ومُسِنّون بشعر أشيب أو رؤوس صلعاء، مثقفون ينتمون لجيل الـ"بِيت"، وفنانون بوهيميون، وتلاميذ المدارس الثانوية، ومتَّهَمون خرجوا من السجون حديثًا، وروائيون نُشِرَت أعمالهم في الغرب، وممثلون ومخرجون، وطالبات جامعيات، بالإضافة إلى سيدات مهووسات بالدين كل واحدة منهن أم لعدة أطفال، يكسبن رزقهن من العمل كـ"موديلات" عاريات لطلاب كلية الفنون البصرية. يتوزع الزوّار بين الغُرَف، أو يتجمعون حول طاولة الطعام لمناقشة الأوضاع والأحداث المختلفة مثل: قرارات الحزب، وتصرفات جهاز الشرطة، والحديث حول كتاب ممنوع تم تهريبه لداخل البلد، أو تحليل أفلام "بيرجمان". قد تدور عدة مناقشات مختلفة في الوقت ذاته دون انقطاع، قد تُولَد أعظم مشاعر الغرام في الفترة الممتدة بين منتصف الليل والفجر، وقد تنشب أقوى الخلافات بغتةً ثم تخمد فجأة. فتاتان تقرآن بصوت مرتفع خطابًا وصل بطريقة سرية من "باريس"((27)).

فتىً يحمل كاميرا وهو يتجول في أنحاء الشقة ويلتقط صورًا عدة من زوايا مختلفة بحرصٍ بالغٍ، حتى تظهر جميعها في سيمترية واحدة.

الجدير بالذِكر، أن أحدًا من أصحاب الشقة الأصليين لم يكن موجودًا فيها، لكن هذه الحقيقة لم تهم أيًّا من الحاضرين.

كان الوقت قد تخطى منتصف الليل، والفتى قد وقف تحت ضوء القمر أمام البناية في شارع "آتيلا"، محيطًا بذراعه خصر البنت البولندية النحيل. صفَّر الشاب من مكانه على أمل أن يسمعه أحد داخل الشقة، ويلقي له بمفتاح البوابة الخارجية للعمارة. بين الحين والآخر، كان يتوقف عن التصفير ويهمس بلطف في أذن الفتاة الحالمة، وكأنه دليلها السياحي. قادها إلى إحدى نوافذ القبو، والتي لزجاجها سطح خشن غير مصقول. انحنيا معًا لرؤية أفضل؛ بدا المكان في الداخل كزنزانة أو غرفة تعذيب.

داخل الشقة العلوية، لم يسمع أحد نداءات الولد وصفيره بسبب الصخب والضجيج. في الخارج، عمَّ هدوء شديد طرقات منطقة "تابان" لم يقطعه سوى صوت سيارة تقترب؛ السيارة الوحيدة التي تجوب شارع "آتيلا" في هذه الساعة تابعةٌ للشرطة، تباطأت عند الاقتراب منهما لكنها أكملت طريقها بعد قليل. قد يطل أحد الجيران من نافذته ويطردهما في أية لحظة.

يحدقان في نافذة القبو المُظلِم. يقول الولد للبنت:

- كانت هذه غرفة الغسيل؛ كانت ماما تغسل ثيابنا

بيديها مرة واحدة في الأسبوع في هذا المكان.

رفع رأسه إلى أعلى البناية، وأضاف:

- انظري! في الحرب العالمية الثانية اصطدمت طائرة بهذا المبنى وعلقت به! كثيرًا ما كنتُ أحلم بهذه الواقعة. كان قائدها شاب ألماني انطلق بها من "فيينا"، وتمَّ إطلاق النار عليه قُبيل وصوله إلى ما يُعرَف بـ"حقل الدم" القريب من هنا. توافد الناس من كل مكان في البلدة لرؤية الطيارة العالقة؛ يا له من منظر!

في 5 فبراير 1945 قبل أسبوع واحد من الاستيلاء على قلعة "بودا"، اقتحمت طيارة من طراز SF-230 العمارة السكنية الواقعة بجوار ثكنة الجنود. لدهشة السكان البالغة، ظل ذيل الطائرة وجزء من هيكلها عالقين في المبنى لوقتٍ طويل. حين خَفَّت الغارات، وبدأ الناس في مغادرة أقبية مبانيهم والعودة إلى شققهم، صعد سكان العمارة إلى السطح المهدَّم. أحضروا فأسًا كسروا بها مقصورة الطيارة، فتدحرج رأس الطيار الألماني الشاب بين أقدامهم، وكانت يداه لا تزالان تقبضان على مقعد القذف استعدادًا للانطلاق به وإنقاذ نفسه. سرعان ما استحال رعب السكان إلى فرحة غامرة، عندما عثروا داخل قسم التخزين في الطائرة على عدة جِوالات من البطاطس المثلَّجة، كانت في طريقها إلى الجنود الألمان والهنجاريين المدافعين عن القلعة. الطائرة المُعَدَّة في الأساس لحَمل تسعة أفراد، كانت في طريقها إلى معسكر التدريب المعروف بـ"حقل الدم".

"أيا خلجان الظل؛ أيها اللون الأبيض.. لون البخار

والخيام

أيا رماح الأنهار الجليدية المتكبرة ، والملوك البيضاء، والزهور المرتجفة،

أنا، الأرجواني.. لون بصفة الدم.. لون ابتسامة الشفاه الجميلة،

في غضب أو وأنا غارق في نشوة التوبة".

ألقتْ الفتاة بعض الشِّعر بلغتها للشاعر البولندي الشهير "ميسكيييفيتش"، لتثبت للشاب أن لا لغة في العالَم أجمل من البولندية، فأجابها بأجزاء من قصيدة "حروف صوتية" لـ"رامبو"؛ كانت تلك الأبيات هي أول ما خطر بباله حينها. أثناء ذلك، أطلَّ أحدهم من نافذة الشقة وقذف له بالمفتاح، فتلقفه بمهارة.

قبل ذلك بوقت طويل، وصل ضيف تشي تصرفاته بمزيجٍ من المَكر والشعور بالذنب. ارتسمت على شفتيْ الشاب الوسيم ابتسامة ساخرة. في وقتٍ ما، عاش علاقة غرامية مع الشقيقتين "فورجاتش"، ما يعني أنه كان كثير التردد على الشقة حين كان الأبوان لا يزالان يسكنان فيها. ألقى نظرة عابرة على الشاعر الذي عكست جلسته ثقته العالية بنفسه، وراح الأخير يحتسي رشفات محسوبة من شرابه، وواصل إشعال سجائره واحدة تلو أخرى. شعر الشاب صاحب الابتسامة الساخرة بالألفة والحميمية فور صعوده

السلم الحلزوني للعمارة، كما لو أنه في بيت والديه اللذين عانيا من مشكلات حقيقية مع أحدهما الآخر من جهة، ومع جيرانهما عائلةِ "باباي" من جهة أخرى. بينما انشغل الآباء بخلافاتهم، تفرَّغ هو لإعارة أعمال "ماو تسي تونج" للولديْن ولإغواء البنتين. أخذ يتأمل الشاعر الذي جلست إحدى معجباته تحت قدميه، وهي تمسك بين أصابعها بثمرة برتقال، يصعب الحصول عليها عادةً. أومأ له برأسه بهدوء، لكي يلحق به إلى غرفة الفتاتين الواقعة وراء الحمَّام، والمُطلة على شجرة الكستناء الضخمة. في خريف 1956، تهشمت نافذة الحجرة بعد أن اخترقتها شظية حادة انطلقت من حائط القلعة، في اللحظة ذاتها التي انحنى فيها "باباي" لإغلاق الراديو بعد استماعه إلى نشرة الأخبار.

نهض الشاعر من مقعده مترنحًا، حاملًا زجاجة الفودكا وكأسه وسيجارة مشتعلة وطفاية بيد واحدة فقط، وفي تصرف يليق بعرض في سيرك! أشار بيده الأخرى للفتاة التي كانت تتأهب للوقوف، بعدم اللحاق به. داخل الغرفة، ولدهشتهما الشديدة، وجدا مُخرجًا سينمائيًا مفتول العضلات مستلقيًا على الفراش في وضعية "بوذا"، كتمثال قديم مرت عليه قرون عديدة. الفوضى تعم الفراش غير المرتب، وفي مكان الوسادة "سوتيان" مُلقى بإهمال، تعلو السرير لوحة لـ"بوش" يسخر فيها من المسيح تُظهِر وجوهًا شريرة. هناك لوحة أخرى تمثل صورة ذاتية لـ"فان جوخ"، قامت الأخت ذات الشعر الأحمر بتطريزها بخيوط قطنية سميكة. كان المخرج مستغرقًا

في قراءة "نقد العقل الخالِص" لـ"كانط"، بينما راحت أصابعه تعبث في "توكة" شعر نسائية علقت بها بعض الشُعيرات. لم يأبه بوجودهما، ولم يلتفت نحوهما عند دخولهما. تشكك الاثنان في قدرة المخرج على القراءة في العتمة. كان يدندن مع نغمات آلة السيتار الهندي المنبعثة من المُسَجِّل. تعمد الرجلان عدم إشعال الضوء حتى لا يزعجانه، وتوجها نحو النافذة المفتوحة بخطواتٍ خفيفة، وأطلّا منها على الشجرة الكبيرة، وانخرطا في تبادل حديث لا يهم غيرهما حول مطبوعة محظورة يكتبانها باليد وتُمَرَّر من قارئ لآخر. أضاءت مصابيح الغاز شارع "فاراليا".

في تلك الأثناء، كانت السيدة "باباي" قد اختفت فجأة.

داخل الحجرة ذاتها لاحقًا، وعلى إيقاع طبلة فخارية (أحضرها "باباي" معه من إحدى سفرياته للشرق الأوسط؛ من "القاهرة" ربما) وبين سُحُب دخان الـ"ماريجوانا"، التي تزايدت كثافتها بسبب النافذة التي تم إغلاقها لتقليل تسرُّب الضجيج والأصوات المرتفعة، وفي وسط العديد من الوجوه المُشرِقة، رقص الولدان كهنديين أو عربيين والعَرَق الغزير يتساقط منهما. دارا حول أحدهما الآخر في رقصة قبلية غير معروفة، وقد احمرَّ وجهاهما بشدة، فيما راحت أختهما الصغرى تدق الطبلة تحت النافذة بحماس وقوة. في مواجهتها، جلست الفتاة البولندية على الأرض وأسندت ظهرها إلى الحائط، وهي تراقب الشقيقين بنظرات حالِمة. استمر الولدان في رقصتهما بظهرين مشدودين، وأقدام حافية يضربونها على

الأرض بعنف في حركات دائرية.

لم تعثر الأم على أبنائها في تلك الليلة.

---

(17)

ورقة بيانات

معلومات حول الشخص قيد البحث

(يتم ملء البيانات بمعرفة الموظف المختص)

1ـ الاسم الأول ولقب العائلة: ... السيدة مارسيل فورجاتش

2ـ الاسم السابق قبل الزواج: ... بروريا آفي شاؤول

3ـ مكان وتاريخ الميلاد: ... القدس 3 ديسمبر 1922

4ـ اسم الأم: .. يديديا ليا

5ـ التعليم: ... كلّية العلوم الصحية

6ـ الطبقة الاجتماعية: ... النخبة المثقفة

7ـ الجنسية الحالية: ... الهنغارية

8ـ الجنسية الأصلية: ... فلسطينية

9ـ المهنة: ... ربّة منزل

10ـ اسم صاحب العمل (وفقًا للوضع الفعلي): ...

11ـ الأجر الشهري (وفقًا للوضع الفعلي): ...

12ـ العنوان (وفقًا للوضع الفِعلي): ... بودابست، المنطقة 3، 22 شارع كيريك

13ـ الاسم الحركي (تتم الإشارة إليه في حال تغييره): ... السيدة باباي

14ـ سبب التجنيد: ... الوطنية

15ـ تاريخ التجنيد: ... مارس 1975

16ـ المسؤول عن التجنيد: . . . يوزيف ستوكل، ضابط شرطة

17ـ التصنيف (تتم الإشارة إليه في حال تغييره): . . . .

18ـ مجال التوظيف (تتم الإشارة إليه في حال تغييره): . . . المنظمات الصهيونية، إلى جانب الترجمة من العِبرية إلى الإنجليزية.

(18)لم يعد الوضع محتملاً داخل الشقة. يمكنني سماع الراديو في مدخل العمارة وفي الشارع، لأن صوت المذيع يتردد بقوة عبر النوافذ المفتوحة للشقق في الوقت نفسه.

هل آخذ الطفلين معي؛ «بيتر» و«فيرا»؟ نتوجه إلى مدخل العمارة ونجلس أمامه. من مسكن الحارس في القبو يأتينا صوت «إيمري ناج» وهو يلقي خطبته؛ يقول: «إن مصلحة الديمقراطية الشعبية تستدعي تدخل الاتحاد السوفييتي. .» يقترب منا شاب ينتعل حذاءً مغبَّرًا وملابس غير مهندمة، يصغي إلى الراديو بانتباه. أسأله:

ـ مِن «بِست»؟

ـ نعم.

ـ كيف الوضع هناك؟ هل لا يزال أعضاء الثورة المضادة يقاومون؟

ـ نعم، هناك اشتباكات في ميدان «كالفين».

أضاف بسرعة:

ـ هناك دماء في الشوارع.

يقترب منا أربعة أو خمسة شبان، يرتدون ملابس أنيقة ويزينون صدورهم بالشرائط المطوية، يصيحون بحدة:

ـ ليس الوضع كما يقول! أكثر من نصف طلاب الجامعة موجودون هناك، يناضلون في الشوارع!

قلتُ لهم:

ـ عليهم الاستسلام والتخلي عن النضال المسلح، وإلا فإن الاشتباكات ستستمر ولن تنتهي.

ـ ومَن أنت حتى تصدر مثل هذه الأوامر؟

ـ هذا ليس كلامي؛ «إيمري ناج» قال ذلك، لقد سمعتوه بأنفسكم.

ـ فليذهب «إيمري ناج» إلى الجحيم!

ـ حتى الأمس فقط، كنتم تطالبون بأن يكون رئيسًا للوزراء!

ـ لم يعد هنجاريًا؛ إنه يطالب بمساعدة روسية. أما أنت.. هل ترى عمود الإنارة ذاك؟ حسنًا.. سوف نعلقك عليه عما قريب.

أقبض على يديْ «بيتر» و»فيرا» بقوة، حين يسألني أحدهم:

ـ وما الذي تفعله هنا مع هذين الصغيرين، على كل حال؟

الوضع هادئ نسبيًا في حيِّنا «كريستينا-تاون» في «بودا»؛ وحدها الجدران هي التي تتكلم، فقد غطتها مجموعة من الجرافيتي بعبارات شوفينية قاسية. صوت مناهِض للشيوعية؛ صوت مبتذَل يذكر بأيام «الصليب السهم». لا يمكن أن تصدر العبارة الأولى المكتوبة على الجدران إلا عن شخصٍ فاشيٍّ قديم، لكن بقية العبارات بخطوطها المتعرجة كُتِبَت بأيدي أطفال كما يبدو. كان الصغار في سن ما قبل المراهقة، يَخُطُّون شعارات فاشية، ويوزعونها بحرصٍ واهتمام في كل مكان. يجتمع صغار العمارة، ممن لا تتجاوز أعمارهم الثالثة عشر أو الرابعة عشر في مدخل العمارة، لكي يناقشوا بحماس أحدث المستجدات السياسية. تواجد أحدهم في وسط المدينة في الثالث والعشرين متحدثًا بحماس عن الاشتباكات التي رآها، وكيف انتهى به الحال مع آخرين غيره في مخزنٍ للحلوى، وكيف أنهم التهموا ما وصلت إليه أيديهم من حلويات. من الواضح أنه يظن نفسه بطلًا، وأن رفاقه ينصتون إليه بحسرة وحسد.

(19)

٢٧ يوليو، ١٩٤٨، بودابست

حبيبتي «بروري»:

تلقيتُ بالأمس العَرض التالي:

١ـ أن أحل محل «ديسو» في حي المنطقة الخامسة، فقد غادر دون عودة.

٢ـ أن ألتحق بمدرسة الحزب لأربعة أسابيع، لكي أتأهل لوظيفة قائد بالمدرسة لثلاثة أشهر.

٣ـ أن أعمل في قسم الإعلام الصحفي بمكتب رئيس الوزراء.

أخبرني مدير البنك برفضه لتركي العمل معهم؛ قال إنه بحاجة ماسة إليَّ. بعد جدال عنيف معه وافق من حيث المبدأ، شريطة أن تمنحه قيادة الحزب شيوعييْن اثنين مكاني. أرسلني للحزب لأبلغهم شَرطه واتصلَ بـ«روشتا» في الوقت ذاته. حين وصلتُ هناك لأشرح الوضع، لم يسمعوا مبرراتي، وكلفوني مباشرةً بمهام جديدة. رفض «روشتا» الشرط، ومنحني الوظيفة بعد صراع دام سنة كاملة. شعر «فيجي» بالانتصار، وقال مزهوًّا: «هل رأيت الآنَ أنني كنتُ محقًّا؟».

لا توجد أخبار أخرى؛ كل شيء على ما يرام، وأنا أستمتع بوقتي كما في أيام العزوبية، أرجو ألا يزعجكِ ذلك؟

والآن.. إلى موضوع الشقة. بدأتْ معركة الانتقال لمستوى معيشي أرفع. غادر جميع طلابي بسبب الإجازة. أنا مُفلِس؛ أرجو أن يكون لديكِ عدد من «كوبونات» التموين، حتى نتمكن من شراء الفستق على الأقل!

حبي وقبلاتي الكثيرة جدًا.

مارسيل فورجاتش

عضو المكتب الإعلامي في رئاسة الوزراء، والمُحاضِر.

(20)تنتهي سلسلة العروض المقدَّمة في الشقة بأداء منفرد لـ«سوزانا فورجاتش»، مكون من مجموعة من لوحات الأداء الصامت «بانتومايم»، تحمل في طياتها نظرة تشاؤمية؛ تصور اغتراب الإنسان ووحدته، وتعرض جانبًا من العلاقات الجسدية في إطار الحياة الزوجية التي تتحول إلى رتابة آلية. وكما في العروض السابقة، فإن هذا العرض مليء بالإيروسية والعناصر بالغة الجرأة. حظي العرض بإعجاب واستحسان الحاضرين.

(21)دُعِيَ الضيوف لمشاهدة المسرحية التي بدأت في نحو الثامنة والربع، وكما يوحي عنوانها، فإنها عن حياة «باسكال». لعب الدورين الرئيسين كلٌّ من «يانوس زانتوس» و«جيورجي كوزما». النص المليء بالتلاعب بالألفاظ، بالغ الجرأة وبه جوانب عن المثلية الجنسية. العمل أقرب لمسرحيات «الأندر جراوند». حظي العرض بإعجاب جميع الحاضرين.

بعد انتهاء العرض، قاموا بعرض أفلام قصيرة لـ«آجنس هاي»، والتي رآها مرافقي في مناسبة سابقة. لفت العمل الذي يحمل اسم «تيمبو»

الأنظار، لأن أحد الممثلين -وهو مسرحي من «كابوسفار» يُدعى «ميجور»- شريك «ميكلوس هاراتزي».

خلال التصوير، وصلت أم الإخوة «فورجاخ» بصحبة «جوليا فيريس». حين علمت ببرنامج الأمسية، أعلنت أنها تعرف المسرحية بالفعل. يوضح هذا أن العروض قُدِّمَت كالمعتاد.

]...[

قال "بيتر كوفاتش" للشخص الذي أعرفه بأن "ميكلوس إرديليي" يقوم بتنظيم "حركة إبداعية" في 17 يونيو، في 60 "يوزيف بوليفارد" في المنطقة الثامنة من "بودابست"، وأن بوسع أيِّ شخص مهتم الحضور.

التقييم: قام العميل المكلَّف بهذه المهمة بأدائها على أكمل وجه. تميز تقريره بفائدته العظيمة، وعمل على تأكيد وتعزيز المعلومات المتوفرة لدينا من مصادر أخرى.

تلقينا في الأشهر الأخيرة معلومات من مصادر متعددة، تشير إلى أن أعضاء "اليسار الجديد" والجماعات الأناركية في "بودابست" اتخذوا مقارًّا جديدة، منها شقتيْ "يانوس زانتوس" و"سوزانا فورجاتش". قام عميلنا السري بتوفير جدول كامل ومفصل للعروض التي تُقدَّم في هذين الموقعين. بعض الأفراد من الحضور، يخضعون للتحري من جانبنا بسبب أنشطتهم المعادية.

إن الظروف التي تُقدَّم فيها هذه العروض، تؤكد على إيمانهم بأن الوسيلة الأنسب للتعاون فيما بينهم كأفراد ومنظمات هي الأنشطة الـ"فنية". العروض عَدَمية الطابع، وبها جرأة بالغة تتجاوز الحدود المتعارف عليها، ما يشير إلى أزماتهم النفسية. تشير أساليبهم هذه بطريقة غير مباشرة، إلى رفضهم للثقافة الاشتراكية السائدة. إن أعمالهم تمتلئ بروح ما يُعرَف بـ"الثقافة المُضادة" الشائعة في الغرب.

(22)كاتب التقرير: العميل السِري «نيميس».

المُتَلَقِّي: «لايوس سابو»، ضابط شُرطة.

المَوقِع: قريبًا من شقة «سي».

(23)لم أعد أدري إن كان ينبغي أخذ الحالة العقلية العامة للمحارب القديم في الحُسبان.

لكنني أكتب (للمرة الثانية ربما) لأنني لا أريد أن ينتهي بي الحال في مصحة نفسية كما حدث لزوجي. إذا لم يكن باستطاعتكم تلبية ما سأطلبه منكم وتحقيقه عبر سُلطتكم النافذة، فإنني أرجو اعتباره لاغيًا. ليس لي حاجة إلى.. لا داعي لتمرير خطابي هذا إلى مؤسسة أخرى أو وكالة ثانية.. إلخ (السبب، إن كان ذلك ضروريًا) للتعامل مع المسألة.. ألقوا به في سلة المهملات، وانسوا الأمر.

باختصار ١) في ١٩٤٧ وصلتُ وزوجي من «فلسطين»؛ زوجي (المولود في ١٩٢٠) وأنا عضوان قديمان في.. شيوعي قديم (منذ ١٩٤٠) كما انضممتُ أنا أيضًا للحركة (١٩٤٢) (وسام الوطن الاشتراكي وعضو الاتحاد الحزبي.. إلخ).

٢) زوجي: تم إنهاء عمله وطرده من المكتب الإعلامي لرئاسة الوزراء خلال محاكمة «رايك». عانى من البطالة. قال لي الرفيق «سيبيس»: «زوجك ليس كادرًا، فليكن عامل بناء حتى».

٣) في ١٩٥٣، قام مدير دار النشر «سيكرا» بإنهاء عمل زوجي لديهم، لأن حماه يعيش في «إسرائيل» (في ذلك الوقت، جَرَت أحداث محاكمة الأطباء في الاتحاد السوفييتي).. (حماه هو «آفي شاؤول» - الكاتب والشاعر الشيوعي).

٤) الثورة المضادة: كنتُ وزوجي ضمن أوائل مَن قدموا تقاريرهم للحزب، ونتيجةً لذلك، وجد نفسه في خطر مفاجئ. بعد قضاء الجيش على الثورة المضادة، استُدعِيَ زوجي لمكتب رئيس الوزراء للمساعدة في الأعمال الصحفية والدعائية (تردد بصحبة «إيرنو فيرجو» وغيره، على «كيسبيل» وعدد من المصانع الأخرى، لكي يقنع العمال المُضرِبين عن العمل بفض اعتصاماتهم.. إلخ..)

٥) في ١٩٥٧، تم تعيينه في قسم الشؤون الخارجية في صحيفة «ماجيار نيمزيت».

٦) في ١٩٥٠، تم تعيينه مراسلًا لوكالة الأنباء الهنجارية في مكتب «لندن». قُبيل سفرنا لإنجلترا، حضر إلى شقتنا «تيبور كوفيس» - زميل زوجي في الوكالة - معلنًا بأنه الأحق بالسفر، وأن ما منعه فقط هو عدم عضويته بالحزب (علمنا لاحقًا بأنه خلال فترة الثورة المضادّة.. إلخ.. إلخ.. تم التخلي عنه من قِبَل الوكالة). بعدها، حرص «تيبور كوفيس» على إيذاء زوجي في «لندن» من مكانه هنا. لم يتلقَ الرفيق «فورجاتش» أية مساعدة من وكالة الأنباء الهنجارية. في ١٩٦٢، انضم «كوفيس»

إلى الحزب. يتعرض زوجي لضغوط نفسية قوية ومستمرة، بسبب مؤامرات المؤامرات التي تُدَبّر له من مكانٍ بعيد..نعود نحن إلى الوطن، فيذهب «كوفيس» إلى «لندن».

٧) ١٩٦٢: بترشيحٍ من رئاسات الحِزب، تم إرسال زوجي إلى وزارة الخارجية. تنقضي عدة أشهر قبل أن تأتي الإجابة (تلقينا عِدة رسائل رسائل رفض عديدة على مدار سنوات من السيدة «توراي»، مسؤولة شؤون الموظفين في وزارة الخارجية). (لم يذهب زوجي للوزارة بحثًا عن عمل من تلقاء نفسه مطلقًا؛ في كل مرة، كان يذهب بترشيح من كبار القيادات في الحِزب). في ١٩٦٢، قال له الشخص الذي شغل منصب وزير الخارجية حينها، وأنا أنقل كلامه حرفيًا: «أيها الرفيق فورجاتش.. إنَّ والد زوجتك يعيش في إسرائيل، وهذا هو السبب الذي يمنعنا من تعيينك في وظيفة لدينا. إن أعلن - آفي شاؤول - عن رغبته في العودة والاستقرار هنا، يمكننا حينها فقط مناقشة مسألة توظيفك». كان يُفتَرَض بنا تقبل هذه الإهانة الفظيعة، لكننا ببساطة لم نستطع. شعرنا بأننا نتعرض للتصنيف، وبأننا نُعامَل كأفراد غير جديرين بالثقة.. كنّا كذلك بالفعل! منذ تلك اللحظة، لم يعد هناك معنى لأيٍّ شيء. ظل الملف.. لا يزال ملف «مارسيل فورجاتش» موجودًا في قسم شؤون الموظفين بوزارة الخارجية، كل من يلقي نظرة على محتوياته، يظن بأننا أعداء. سوف نعاني من هذا الكابوس الرهيب مرات عديدة إلى نهاية حياتنا، أو إلى أن يضع أحد المسؤولين حدًا لهذا الأمر.

٨) ١٩٦٧: الحرب في الشرق الأوسط. عانى «مارسيل فورجاتش» جرّاء التعبير عن رأيه بوضوح في الراديو الرسمي. دفع ثمن رأيه غاليًا. اتُهِم بمعاداة الساميّة وباستفزاز مشاعر الجماهير. توالت الاتصالات التليفونية المجهولة والخطابات. تلقى سيلًا من المضايقات الشديدة من أنصار الصهيونية، اليهود وغير اليهود. تهامسوا عليه من وراء ظهره. دمّروه ولطّخوا سُمعته، ولا تزال هذه المسألة قائمة حتى اليوم. نفد الصبر تمامًا حين قيل لابني، الطالب الجامعي (لديّ أربعة أبناء): «فورجاتش» رجلٌ موهوب، لكنه سعيًا للحصول على مناصب أعلى، قام بالوشاية عن الناس لدى قيادات الحِزب. مصدر هذه المقولة صحفيون هنجاريون يعملون حاليًا في الولايات المتحدة. لا يمكنني دحض هذه الشائعة، ولستُ مجبرةً على فعل ذلك من الأساس، فتلك نقطةٌ غير مهمّة. بالنسبة لزوجي، كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير. كأنما هاجم عقله ظلامٌ دامِس. أخذناه بعدها إلى عيادة طبيب عيون

من أجل جراحة عاجلة عانى من إعتام عدسة العين قبلها بستة أشهر بالإضافة إلى نوبةٍ قلبية (كان قد تعرّض لنوبةٍ قلبيةٍ قبلها بعامين). عولجت عينه، لكن مشكلاته العقلية لم تستجب للعلاج، واضطر لدخول مصحّة نفسية! لا يزال هناك. لكن حالته غير قابلة للشفاء مطلقًا، ففي عام ١٩٦٢..

تعرض لأزمات كثيرة ومتعددة، في ١٩٤٨ و١٩٥٣ و١٩٦٠ و١٩٦٢ و١٩٦٧، ألقت بثقلها عليه وتركت فيه آثارًا لن تُمحى. يكمن شفاؤه في رأيي في بطريقة واحدة فقط وهي تطبيق العَدل. وإلى أن يتم ذلك..

إلى أن يتم ذلك،

مع تحياتي،

الرفيقة السيدة/ «مارسيل فورجاتش»

حاملة وسام الوطن الاشتراكي

ممرضة متقاعدة

(24)مهمة مراقَبة: يجب تركيز الاهتمام على أنشطة أفراد المجموعات التي تتردد على الشقتين، وزيارة الشقة المذكورة كلما أُتيحت الفرصة لذلك. يجب جمع معلومات تتعلق بسبب زيارة الأفراد للمكان، وعدد المرات التي يذهبون فيها للمنزليْن قيدُ المراقبة. تجنَّبْ اصطحاب أيَّ أحد لهذه المناسبات، إلا في حالة دعوته من قِبَل معارف مشتركين. ملاحظة ردود أفعال المشاركين في الأنشطة المذكورة، الحرص على عدم لفت الأنظار، وتقليد تصرفات الحاضرين.

(25)

عزيزي الرفيق «آكزيل»:

رَسَبَ ابننا «بيتر فورجاتش»، طالب السنة الأولى في كلية الفنون البصرية، في دراسته بقسم النحت، في منتصف السنة الدراسية، وهو ما استدعي فصله من الكلية.

السبب الذي يدفعنا للجوء إليك أيها الرفيق والرغبة في لقائك، هو ما بلغنا من أن درجاته السيئة لم تكن بفعل تقصيره الدراسي، وإنما بسبب

مواقفه السياسية. الحقيقة أن انضمام «بيتر» لهذه الكلية تم عقب نجاحه الباهر في اختبارات القبول. لم يمضِ على بدئه الدراسة سوى شهرين ونصف، وليس من المعقول أن يكون مستواه الفني قد تراجع خلال هذه المدة القصيرة! بل على العكس، شهد له أساتذته بتطور أساليبه الفنية في الفترة الأخيرة.

نمى إلى علمنا أنه سبق هذا التقييم الأكاديمي قيام أعضاء الحزب بإجراء تقييم سياسي للعديد من الطلبة، وهو أمر غير مقبول على الإطلاق، وكان من نتيجته معاقبة الطلاب المتهمين بعدم الولاء بحرمانهم من الدرجات التي يستحقونها. الأسوأ من ذلك، هو عدم إبلاغ ابني وزملائه بالاتهامات الموجهة إليهم، وعدم إبلاغهم بنية فصلهم من الجامعة. هذه - في رأينا - مسألة مرفوضة تمامًا، ولا تتفق مع سياسات ومبادئ حِزبنا، ولا مع الشفافية المطلوبة في النقد الفني وعلم التربية الفنية.

يجب عليَّ التحدث قليلًا عن ابني ومميزاته الفريدة. «بيتر» مجتهد للغاية؛ يستيقظ في الرابعة فجرًا يوميًا، كي يقوم بتوزيع الصُحُف قبل التوجه إلى الجامعة، إذ يدرس ويعمل حتى وقت متأخر من العصر. زوجته الطالبة في قسم النحت أيضًا حامل، نتشارك شقتنا معهما ومع بقية أبنائنا الثلاثة.

علينا أن نذكركم بأن الكثير من أفراد عائلتنا تعرضوا للإبادة خلال سنوات الفاشية، وأننا كنا ضمن أعضاء الحزب الشيوعي السري، ولنا تاريخ نضالي مشهود ضد الفاشية والقمع الإمبريالي. تم اتهامنا بموالاة «رايك» و»تيتو»، كما وُصِمنا بأننا جواسيس إمبرياليون، ونتج عن ذلك فقداننا لوظائفنا وحرمان أبنائنا من استكمال دراستهم الجامعية. تعرضنا لمعاملة عنصرية وللإهمال على مدار سنوات طويلة. لم يكن من السهل علينا شرح أبعاد الوضع لأبنائنا الأربعة، الذين حرصنا على غرس الروح الشيوعية فيهم خلال تربيتنا لهم، رغم كل ما واجهناه، وقد أصبحوا بدورهم من شباب الشيوعيين المخلصين.

خلال الثورة المُضادة، كُنا من ضمن الأشخاص الذين وُضِعَت أسماؤهم على قوائم المطلوبين، لكوننا من قدامى الشيوعيين؛ نحن من أوائل الذين خاضوا صراعًا مع الثورة المُضادة، وساهمنا من خلال الحزب في إعداد وتأسيس ميليشيا العمال. والآن، يبدو أنهم يعاقبوننا من جديد بصفتنا من الشيوعيين القدامى، لا لسببٍ آخر، لكن عقابهم لنا هذه المرة يتم من خلال «بيتر»، وبطرقٍ إدارية ورسمية أكثر.

ليس من اختصاصنا مراجعة قرارات وأحكام مجلس الكلية والحزب، ولكن إن كانوا يؤمنون بأن وجهات النظر قابلة للمناقشة، فينبغي إذًا حل الموقف عن طريق المناقشات والمناظرات، وليس بالعقاب الأكاديمي الذي لن ينتج عنه سوى تدمير حياة شباب في مُقتَبَل العُمر، وحرمانهم من فرصة الدراسة وممارسة الفن والإبداع.

إنّ فكرة المناظرة في الأمور السياسية والفنية، تتوافق تمامًا مع مبادئ حزبنا القائمة على توضيح الموضوعات الأيديولوجية بطريقة تتماشى مع أسس الفن الاشتراكي والنقد والتربية الشيوعية.

من أجل ما سبق، نطالب الرفيق «آكزيل» بالتحقيق في القضية، والتوصل إلى تسوية عادلة.

مع خالص تحياتي الشيوعية..

بودابست، ٢٦ ديسمبر ١٩٧١

(26)

وزارة الداخلية سِرّي للغاية!

موضوع ذو أهمية خاصة!

قسم فرعي مستقل ٣/٣ ـ ٨

مراقبة عناصر المعارضة الداخلية

التقرير اليومي - رقم ١٢٧

بودابست ١٣ يونيو ١٩٧٩

بدأت الخلافات في الظهور في النشرة التي بين الأفراد المشارِكين في إعداد النشرة الدورية غير القانونية، بسبب محتوى بعض الكتابات. تعاملوا بنوعٍ من الحذر والحساسية مع ما يطلقون عليه «مجلس التحرير»، بسبب طلبه من «بيتر فورجاتش» سحب مقاله الأخير الذي يقدم فيه بعض التنازلات من أجل تقريب وجهة النظر بينهم وأحد أقرانه. بسبب موقف مجلس التحرير هذا وقد أعلنت أخته «زوزا فورجاتش» بأنها لن تساهم في إصدار هذه الدورية مستقبلًا.

أدَّى هذا الخلاف أيضًا إلى توصل كل من «فيرينك دانييل» و«بيتر ناداس» إلى قرار ترك النشرة إلى وضع حدٍّ لتعاونهما مع القائمين على

إصدار النشرة.

الخُطة والإجراءات: إعداد تقرير مُفصَّل، ومواصلة التحري السري.

السيدة/ بيلا ميزاروس - ضابطة شرطة

رئيسة قسم فرعي

(27)وزارة الداخلية سري للغاية

قسم ٤/٣ موضوع ذو أهمية خاصة

١٧ نوفمبر ١٩٧٦ المقدِّم: العميل السري «تاماس فيهير»

المستلم: «تيبور كيركوس» ضابط شرطة

المكان: شقة «سي» «بلزاك».

الموضوع: تأسيس «الحركة النسوية الهنجارية»

أخبرني طالب جامعي من معارف أحد أصدقائي، بأن هذا الصيف شهد تكون حركة نسوية داخل «هنجاريا»، تحمل اسم «الحركة النسوية الهنجارية». كانت الوثائق والكُتيِّبات الخاصة بهذه الحركة قد ظهرت للمرة الأولى في «باريس». في الواقع، شهدت أشهر الصيف انشقاق عدد من الأفراد وتخلِّيهم عن الحزب؛ صديقي لا يعرف أسماءهم بالتحديد حتى هذه اللحظة. قام أولئك الأشخاص بكتابة بعض المقالات حول الأمر. في «هنجاريا» (...) وِفقًا له، فإن مؤسِّسة هذه الحركة هي «جوليا فيريس»، وهي طالبة سابقة في قسم الفلسفة. من ضمن الأعضاء أو من القلة النشِطين - وفقًا للفتى مصدرِ الخبر - الطالبةُ «بيروشكا ماركوش»، وهي لا تزال تدرس الفلسفة في كلية الدراسات الإنسانية. هناك أيضًا «زوزا فورجاتش» (...) يمتلك هذا الفتى بعض المعلومات عن برنامجٍ معيّن سيتم تطبيق الحركة الجديدة من خلاله، كان قد أخبر صديقي عنه. يتكون هذا البرنامج من عشر نقاط، أذكر منها التالي: مَن وضعوا البرنامج المقترَح، يؤمنون أن المرأة طبقة منفصلة عن بقية المجتمع، وليست جزءًا من الفئات الاجتماعية الأخرى؛ يرون أن المرأة إحدى الطبقات الأساسية في المجتمعات الراهنة، لكنها ضمن الطبقات التي تتعرض للقمع. هناك عدة نقاط في هذا البرنامج تهتم باستعباد الرجل للمرأة؛ يشيرون إلى أن تطبيق التكنولوجيا لا يغير هذا الوضع القائم، وأن كل ما يفعله هو تقليل حجم الأعمال المنزلية فقط؛ أيْ تغيير الكَمِّ وليس الكيف؛ ما يعني أنه لا يمثِّل حرية حقيقية

للمرأة التي تعمل على تحرير نفسها من تلك القيود. هناك اقتراحات أيضًا بوضع برامج لدفع الرجل لمساعدة المرأة في الأعمال المنزلية. هناك نقطة أشبه ببيان رسمي، تؤكد ضرورة استغلال المرأة لاختلافاتها البيولوجية؛ وأهمها أنها هي التي تنجب الأطفال وليس الرجل. يؤكد البرنامج المقترَح أن نقطة إنجابها للأطفال، لا تحمل في طيَّاتها أية ميزة لها حاليًا، ويجب تغيير ذلك. تشير نقطة أخرى إلى أنه يمكن تطبيق التحرر الاجتماعي الكامل عندما يتوقف الرجل عن استعباد المرأة، وذلك عندما يدرك أن لها حقوقًا كثيرة قابلة للتنفيذ. كما يشيرون إلى أن المرأة تعرضت لقمع طويل بفضل التقاليد السائدة الثابتة منذ قرون عدة. هناك نقاط أخرى في هذا البرنامج تتعلق بوضع الأسرة؛ لديهم رفض قاطع للمفهوم الحالي للأسرة، لكنهم لا يقدمون اقتراحات بديلة لهذا التكوين الذي يشكل نواة المجتمع؛ الواقع أنهم يتهمون الأسرة منذ البداية بأنها أحد أسباب استعباد المرأة.

قُدِّم هذا التقرير على هيئة: أربع نُسَخ

ثلاث ورقات مطبوعة.

التقدير النهائي: جاء تقرير عميلنا السري أكثر شمولًا من المهمة الأصلية التي كُلف بها. تتلخص المعلومات المُستفادة من هذا التقرير في أن «جوليا فيريس» الطالبة السابقة في كلية الدراسات الإنسانية، بالإضافة إلى «زوزا فورجاتش» و«بيروسكا ماركوس»، طالبتيْ السنة الثالثة في قسم تاريخ الفلسفة بكلية الدراسات الإنسانية، عضوات في «الحركة النسوية الهنجارية»، التي تأسست في «هنجاريا» في صيف ١٩٧٦.

تضمن تقريره المعلومات الضرورية عن البرنامج الذي تستند عليه الـ«حركة»، والتي تشير إلى نية المشاركين الاشتراك في أنشطة تخريبية ونشر أفكار هدامة بحجة «تحسين أوضاع المرأة». واعتمادًا على الحجة ذاتها، فإنهم يقومون بالاتصال بجهات أجنبية.

الخطة والإجراءات: أوصي بإرسال نسخة من التقرير لوزارة الداخلية، القسم الفرعي ٣/٣ـ ٤ ـ ب

بودابست ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٧٦

«تيبور كيركوس»، ضابط شرطة

22 شارع "كيريك"

الدور 6 - شقة 35

المنطقة الثالثة - "بودابست"

(1)

أحس الرفيق "يوزيف دورا" بغليان في رأسه.

منذ أن أصبح المسؤول عن السيدة "باباي"، باءت جميع خططه بالفشل، وكذلك كلمات المديح والثناء التيأغدق بها عليها بشكل مبالَغٍ فيه((28)). في كل مرة،تقابل السيدة "باباي" مجهوداته بابتسامة متشككة،مُدركةً بأن قيمة المعلومات التي أمدَّتهم بها لا تزيد عنالصفر بأيِّ حال من الأحوال((29)). كانت تجيبه بشيءمن الدلال:

- لستُ سوى ربَّة منزل تافهة!

الواقع أنها كانت أكثر ثقافةً من الضباط المسؤولين عنها بمراحل؛ (يكفي أنها تبدأ صباحها يوميًا، بالاستماع إلى موسيقى عازف الكمان "يهودي مينوهين"). أسعدها المديح الذي تتلقاه بطبيعة الحال، لكن إحساسها الدائم بالفشل والإحباط في باقي مجالات حياتها، ترك أثرًا عميقًا بالمرارة في داخلها. كان إلحاحها في طلب بعض الأمور ورغبتها في أن يحل أحد ما مشكلاتها العالقة، يُفهَم في بعض الأحيان كوشاية وشكوى، لكنها لم ترَ ذلك مُطلقًا. كانت من أكبر المدافعين عن الحزب وسياساته باقتناعٍ تام، ولذلك فإن طلباتها - في نظرها - ليست أكثر من مجرد دعم ينبغي على الحزب تقديمه لها. لم يكن الحزب - في رأيها - كيانًا غريبًا عنها، بل هو جزء منها، وهو كما تردد: "الربُّ والوطن والأسرة"؛ الحزب بالنسبة لها تجسيد للعظمة، ومع ذلك فإنها مضطرة للدفاع عنه

من الهجوم الدائم الذي يتعرض له. في بعض الأحيان، فاقت أهمية الحزب أهمية أسرتها التي تقدّسها. كانت السيدة "باباي" غارقة في أيديولوجيات الخمسينيات بصرامة غير قابلة للتغيير، وإن كانت تَعيبُ عليها بعض سلبياتها أحيانًا. هي عاشقة لجميع أنواع الفنون، وعلى استعداد دائم لتقديم المساعدة لكل من يواجه أزمة أو مشكلة. أعانت عددًا كبيرًا من الناس، بمن فيهم مَن لا يستحق مساندتها أساسًا. تتكلم عدة لغات، لديها فهم عميق للمشكلات النفسية والجسدية. أتاحَ لها عملها كمترجمة، الاختلاط بأُناس من شتى الطبقات الاجتماعية، من الهنجاريين والأجانب. لاحظ الرفيق "دورا" كل ذلك في السيدة "باباي" واستوعبه تمامًا، لكن أمرًا واحدًا ظل غامضًا بالنسبة له: الازدواجية في شخصيتها؛ التي تجمع بين حساسيتها المُفرِطة ووضوحها واهتمامها البالغ بالفنون وخيالها الرومانسي من جهة، وعقائدها ومبادئها الثابتة غير القابلة للهدم من جهة أخرى؛ هناك فجوة ما داخل هذه العميلة، لكن الرفيق "دورا" عجز عن تحديد عمقها بالضبط.

رغم الاختلاف الواضح بين شخصية كل واحد منهما، إلا إن علاقتهما توطدت في السنة الماضية بشكلٍ ملحوظ بسبب لقاءاتهما المنتظمة على الأغلب. تعاملت السيدة "باباي" بشكل متحفظ فيما يتعلق بموضوعات مُعيَّنة. اضطرت لتناسي جروحٍ عميقة، تعمَّدت عدم التفكير فيها من الأساس، ساهم زواجها المتسرع في تعميقها داخل روحها، لكن تعاونها مع المخابرات، كان بفعل

انبهارها بخطة تجنيدها. صحيح أن الخطة فقدت شيئًا من سحرها وجاذبيتها بمرور الوقت، لكنها ظلت تُذكِّر السيدة "باباي" بجرأتها ومغامراتها في شبابها، خاصة تلك المرتبطة بانضمامها للحركة السِرِّية، وسهرها حتى الفجر في مزارع الزيتون بصحبة ذلك الشاب ذي اللحية تحيط بهما رائحة سحرية؛ هي مزيج من عرَق جسديهما والشذا المنبعث من أشجار البرتقال والكافور، ويتجدد الأريج مع كل اندفاعٍ من جسده داخل جسدها. أما فيما يتعلق بحوارها الذي لا يخلو من نوعٍ من المودة مع الضابط، فقد أصبحت السيدة "باباي" أكثر انفتاحًا وصراحة معه، لدرجة تقترب من الخطر أحيانًا. تحولت علاقتهما إلى ما يشبه الصداقة؛ شاركته همومها الحياتية اليومية وصارحته بتشككها في جدوى الخدمات التي تقدمها لهم. في بادئ الأمر، تشكك "دورا" نفسه في قدراتها وتوجس منها، لكنه جنَّدها في النهاية. في بعض الأحيان، يراوده إحساس قوي بضرورة إنهاء خدماتها؛ كان يشعر بأنه "يسلخ إنسانة على قيد الحياة دون رحمة" كما يقول. في بعض الأوقات، كانت نظراتها المُعَذَّبة تعتصر قلبه. لم يكن بإمكانه الاستمرار في التعامل معها، لكن هذا أساس وظيفته؛ هذا ما يدفعون له شهريًا ليفعله، لا يمكنه إعلان فشله وهزيمته، خصوصًا عقب النجاح الباهر الذي حققه المسؤول السابق عنها الرفيق "بيدِر" في التعامل معها. بدأ الرفيق "دورا" يشعر بأن السيدة "باباي" التي تضحي بالكثير من أجل تنفيذ مَطالِب القِسم الصغيرة، لا تستحق العذاب الذي يفرضونه

عليها((30)). اتصف تقديمها وتحليلها للدارسين في "المعهد العالي للصحافة في "هنجاريا"((31))،وملاحظاتها السريعة حول شخصيات الطلبة القادمين من "نيجيريا"، و"تنزانيا"، و"فلسطين"، و"العراق"،و"الهند"، بمزيج من خفة الظل والقدرة الفريدة على الغوص في أعماقٍ السلوك الإنساني((32)). حتى الآن،لم يدخل أيٌّ صحفي منهم في الفخ، إذ لم يكونوا من النوع الذي يمنح الآخرين ثقته بسهولة((33))، كما أن كل واحد منهم تعامل مع وجوده في "هنجاريا" باعتباره إجازة((34)).

في بعض الأوقات، حرص المقدِّم على التخلص من ارتيابه في السيدة "باباي" فور أن تراوده الشكوك بها، لكن في بداية علاقتهما العملية؛ أيْ في شهر مارس الماضي، وقع في يده خطاب كتبته السيدة "باباي" لرئيس معهد الصحافة سبب له شعورًا بالصدمة والانزعاج. استلم الرفيق "دورا" نسخة من الخطاب، لكنه تعمد إخفاء ذلك عنها. لقد تحسنت حالتها المزاجية منذ ذلك الوقت. فكر الرفيق "دورا" فيها قائلًا لنفسه: "إنها امرأة مزاجية حقًا!".

بالإضافة إلى خبرته الطويلة كمُحَقِّق، كان "دورا" قد تلقى تدريبًا خاصًا يؤهله للتعامل مع مثل هذه الشخصيات. باتَ يُجيد تلقي المشاعر المختلفة والمتقلبة بوجه جامد وتعبيراتٍ باردة، ومع ذلك فقد كافح طويلًا لطرد كلمات ذلك الخطاب من رأسه؛ ظلت تلاحقه في كل

مكان ولأيام متوالية، أثناء استقلاله للترام وخلال قيادته لسيارته، وفي منزله أمام شاشة التليفزيون. فيه؛ أي في ذاك الخطاب، عبَّرت السيدة "باباي" عن تفكيرها في الانتحار، وتحدثت عن خطايا لن تُكفِّر عنها إلا أحزانها. ماذا لو صارحتْ أحدهم بما يحدث، وأفسدتْ بذلك جميع مجهوداتهم التي نفذوها بدأب وإصرار؟ كان بوده إطلاع زوجته على الرسالة، لكنه ممنوع من إشراكها في أيِّ شيء يتعلق بوظيفته؛ وأقصى ما يقوله لها هو إجابة مقتضبة بـ"نعم" عند سؤالها إياه: "يوم صعب في العمل؟".

في الفترة الأخيرة، انقشعت الغيوم تدريجيًا، وبدأت السيدة "باباي" في الانغماس بحماس واضحٍ في حياتها الجديدة كدارسة في معهد الصحافة. مع ذلك، يظل خطاب شهر مارس صرخة حزينة تعبِّر عن حاجتها للمساعدة. ولأنها بطلة الحكاية، يجدر بنا الآن عَرض الخطاب كما كتبته بالضبط:

"هذا الخطاب شخصي لدرجة كبيرة؛ موجَّه إليك.

لا أحتاج لكثيرٍ من الشرح لكي أكرر ثانيةً ما يدور داخل رأسي منذ سنة كاملة؛ إنني مكتئبة جدًّا وفكرة الموت تطاردني بإلحاح، ولا جدوى من ذِكر الأسباب مرّة أخرى لك. إن الشيوعي الذي مَرَّ بالكثير من المشكلات والضغوط، يستطيع بسهولة فَهم أصدقائه وأولئك الذين يشاركونه قناعاته. مجرد إبقاء زوجي سيئ الحظ على قيد الحياة، يستنزف الكثير من طاقتي. إن المذاكرة ومواصلة الدراسة، وكل التركيز الذي يحتاجه الشخص

ليمارس حياته بحيوية، مسائل غير مُجدية بالنسبة لي، إذ بِتُّ أَشبَه بزهرة ذابلة.

الأزهار الذابلة مصيرها صفيحة القمامة؛ هذا مؤلم جدًّا، خاصةً مع إدراكي أن الدراسة والبقاء في حالة من النضارة والحيوية، أمور ليست مستحيلة في واقع الأمر، لكن الظروف العنيدة تجعلها كذلك. لهذه الأسباب، عليَّ توديع المعهد، والتكفير عن اكتئابي (كما نفعل عند ارتكاب الخطايا) في مكان آخر. كم أود أن أغرق، أن أختفي؛ ربما سأنجح في ذلك.

على حد علمي، فإن آخر محاضرة للرفيق "ريف" ستكون في 22 أبريل، يمكنني بعدها الانقطاع عن الدراسة دون إثارة الانتباه.

تحياتي ووداعي كصديقة مخلصة لكم،

"بودابست"، 31 مارس 1983".

أين اختفت الابتسامة اللامعة التي ميَّزتها السنة الماضية يا تُرى؟ وتلك الضحكة الرنَّانة، وحلوى الـ"بروفيترول"، والكريمة الحلوة التي التصقت بطرفيْ شفتيْ السيدة "باباي"؟ أين ذهبت طبيعتها الفنِّية المَرِحة؟ في ذلك الوقت، بدت جميع الأمور سهلة وبسيطة ولطيفة. حينها، سافرت السيدة "باباي" إلى إسرائيل لجمع معلومات حول المؤتمر العالمي الثلاثين للصهيونية؛ لقد مرت سنة كاملة بالضبط على ذلك التاريخ، ولأن اليوم التالي سيوافق عيد ميلاد السيدة "باباي" الواحد والستين، فقد حضر الرفيق "دورا" بباقة

رائعة من الأزهار.

لا يمكن إفساد المسألة هذه المرة.

وضع الرفيق "دورا" مجموعة من الرسائل التي حملها معه فوق الطاولة، وبادرها بسؤال حرص على أن يعكس عدم اكتراثه، وكأنه لا ينتظر إجابة منها:

- هل كانت "بات جيم" هذه مغرمة بأخيكِ حقًّا؟

رمته بنظرة مستفهمة، فقال موضحًا:

- كل شيء موجود هنا.

مُشيرًا إلى ظروف الخطابات القادمة من "كندا" والموجَّهة إليها. ابتسمت السيدة "باباي" ابتسامة رائقة، كما لو كانت صبية في مقتبل العُمر. صبت الماء المغلي فوق شاي "إيرل جراي"، فانبعثت رائحة البرجموت في المكان، سكبت في فنجانه بعض الحليب من كيس بلاستيكي. لا يحب الرفيق "دورا" الشاي، وبخاصة الذي تعده السيدة "باباي"، إذ يكون ثقيلا للغاية عادةً. إن لم يلتقِ بها في مخبز "أنجليكا" أو كافيتيريا مستشفى "كوتفولجيي" حيث يمكنه تناول القهوة، يضطر لقبول فنجان الشاي الذي تقدمه له حين يزورها في بيتها. خلال انتظاره لأن يبرد المشروب قليلًا، راقب السيدة "باباي" بدهشة وهي تتخلى عن جميع قواعد اللباقة واللياقة، وترشف الشاي بصوت مرتفعٍ للغاية. لم تبالِ بتقليب السكر الكثير الذي وضعته في فنجانها، بل راحت تصطاد الحُبيبات البِلُّورية من قعره بالملعقة وتمضغها باستمتاع، وهي تواصل ارتشاف الشاي بصوت

مسموع، وتنفخ الهواء من فمها كأنها تعمل على تبريده من السائل شديد السخونة.

استقبلت نظرات الاستغراب التي وجهها الرفيق "دورا" نحوها، بابتسامة طيبة ومعتَذِرة، وقالت له:

- اعتدتُ هذا في "لندن".

سألها بحَذَر:

- هل يجمع أحد أفراد العائلة الطوابع؟

كان قد لاحظ أن الطرف العلوي من جميع الظروف مقطوع بحرص. ضحكت السيدة "باباي" من قلبها، وأجابته:

- كل مَن في "آريتس" يعشق الطوابع الجميلة بجنون!

تناولت بقايا السكر الأخيرة من قعر فنجانها، وابتلعتها وهي تنظر إليه متوقعة المزيد من الاستفسارات. كرر كلمتها متسائلًا:

- "آريتس"؟

بابتسامة عريضة أجابته:

- "إسرائيل".

"آريتس" كلمة عبرية تعني "الأرض"، وتعني بالتبعية: الوطن والبلد، هذا ما اكتشفه الرفيق "دورا" لاحقًا حين طالع القاموس: هذه هي الكلمة التي يشير بها الإسرائيليون إلى وطنهم عادةً. فكر "دورا" في أن السيدة "باباي" كانت امرأة جميلة دون شَك. تأمّل الحجرة متفحصًا وباحثًا عن المفرش المُطَرَّز الذي أهداها إيَّاه قبل

عام بالضبط، لكنه لم يجد أثرًا له، وفضَّل ألَّا يسألها عنه.

سألها مرة أخرى:

- هل كانت "بات" مُغرَمة بأخيكِ حقًا؟

هكذا بدأتْ جولة جديدة من لعبة القط والفأر؛ كلاهما يحب هذه اللعبة، يتحولان إلى محاربَين رومانيين يتخذ كل منهما موقعه ويراقب الآخر. مع مرور الأعوام، نجحت السيدة "باباي" في الإيحاء بتمتعها بالصراحة. بين الحين والآخر، يضطر الرفيق "دورا" لإلقاء سؤال غير مباشر عليها. نظريًا، هي ليست مضطرة للإجابة على هذه الاستفسارات الملتوية. في تلك اللحظات، يصبح "دورا" متيقظًا أكثر من المعتاد، حتى لا يقوم العميل السري الذي يتعامل معه بالمراوغة. في كل مرة، تفرد السيدة "باباي" أوراقها على الطاولة بوضوحٍ تام، وتلاعبه لعبة "الصراحة الشديدة".. ظاهريًا على الأقل. في تلك الأوقات، تتحدث إلى الرفيق "دورا" بعبارات متحفظة، كما لو كانت شخصًا يجلس على كرسي الاعتراف أمام القسيس((35)).

أما بالنسبة للمقدِّم، فقد التزم الحذر على الدوام، إذ لم يكن متأكدًا من أن ما يسمعه منها صادق تمامًا؛ لم يكن قد سبق له التعامل مع امرأة يهودية من قبل. كثيرًا ما ردد في نفسه: "إن كانت هذه هي أغبى مَن في الأسرة حقًّا، فلا بد أنها عائلة شَرِسة للغاية!".

كانت قد صارحته مرة:

- كنتُ أجمع بين الغباء والجمال.

في بعض الأحيان، كانت السيدة "باباي" تتفوه بعبارات من هذا النوع. في تلك اللحظات، يتعمد المقدِّم "دورا" عدم النظر إليها، محاولًا تجنب الوقوع في فخ كلماتها المخادِعة. كان يدرك تمامًا أن العلاقة بين الضابط المسؤول وعميله السري تتسم بطبيعةٍ أبوية، قائمة على الثقة المتبادَلة والتفاهم. الأساس في عمله هو تكريس السلوكيات العامة والأنظمة المنهجية لخدمة المهمات المطلوب تنفيذها، وانتقاء الكلمات والعبارات التي يخاطب بها عقل العميل السري وعواطفه بحرص بالغ؛ هذا ما تعلَّمه أثناء دراسته وما يطبقه بمهارة في حياته العملية. أما فيما يتعلق بجمال السيدة "باباي"، فإنها لا تزال جذابة جدًّا؛ نعم، لا يمكن إنكار فتنتها. كان يمكن استغلالها - قبل أعوام قليلة فقط - للإيقاع بذلك الكولونيل الإسرائيلي، الذي يُفتَرَض أن علاقة حميمة جمعت بينهما في شبابها، والواقع أن هذه الخطة كانت مطروحة بالفعل، وتمت مناقشة تفاصيلها.

ينبغي عدم إغفال أيِّ وسيلة للهجوم على الهدف؛ هذه هي القاعدة التي تتبعها القيادات العُليا في هذا المجال. لطالما نجحت مهمات بعينها نجاحًا ساحقًا، وكان الأساس فيها فكرة بسيطة من هذا النوع اعتبرها البعض عديمة القيمة. فيما يتعلق بخطة الجَمع بين السيدة "باباي" والكولونيل، فقد تم إجهاضها خلال اجتماع ضم عددًا من المسؤولين، والحقيقة أيضًا أنهم كانوا جميعًا غير متأكدين من استعدادها لاعتبار الجنس جزءًا من وظيفتها. بعد

الاطلاع على ملفاتها، توصل المقدِّم إلى قناعة مفادها أنها ليست بالسذاجة التي تحب أن تصوِّر نفسها بها؛ تميزت بالصلابة والتشبث بآرائها السياسية، ولم تُحرَج أبدًا من إبداء عدم مرونتها. حين طلب منها "دورا" وزملاؤه التظاهر بقبول الرأي الآخَر، لأن ذلك ما ينبغي عليها فعله كاحترافية في حفظ الأسرار، رفضت المبدأ من الأساس بكلمات واضحة وقوية وعينين دامعتين. أوضحوا لها الجانب الدولي والمحلي من عملها، وضرورة مراعاة العلاقات المختلفة فيهما، فأظهرت تفهمًا ملحوظًا وتنازلت قليلًا عن طبيعتها العنيدة، لكنها اعتبرت ذلك نوعًا من الهزيمة. إن المزيج غير المتناسق من الانفتاح والتمسك بالرأي والآراء المتطرفة، هو نقطة ضعف هذهالعميلة السرية((36))، وهي مسألة تُقَلِّل من قيمتهاكمتعاونة مع السُّلُطات.

أجابت عن استفساره أخيرًا:

- نعم، يمكننا قول ذلك؛ حُبٌّ حقيقي.

عَلَتْ ابتسامة كبيرة شفتيْ الرفيق "دورا". أساءت السيدة "باباي" فهم ابتسامته؛ كان قد تذكر فجأة تعريفًا للحب قرأه أثناء دراسته. بحسب ذلك الكتاب، فإن الحب "ما هو إلا مَيل اجتماعي تلونه العواطف". تذكر أيضًا المناقشة الأخيرة التي جمعته بأستاذه المسؤول عن تدريسه أصول العمليات المخابراتية، وقد سأله الأخير بمنتهى الجدية عن الحب، فلم يستطع النطق بكلمة واحدة، إذ انفجر في ضحك طويل. لحسن الحظ، تمتع الأستاذ بروح الدعابة، ولم يتردد في منح "دورا" درجة

الامتياز في مادته.

لم تدرك السيدة "باباي" أن ابتسامته لا علاقة لها بإجابتها، فأضافت بنبرات معتذرة:

- كان أخي في نحو الستين تقريبًا، ولم تكن الفتاة تتجاوز السادسة والعشرين؛ لطالما كان "دون جوان"، لكنه في تلك المرة وقع في الحب فعلًا، حدث كل ذلك داخل "الكيبوتس". هناك، اشتعلت شرارة الحب واستحالتْ حريقًا ضخمًا! إنه الحب من النظرة الأولى. وحدهم مَن يرفضون هذه المشاعر، لا يفهمونها بتاتًا. اختارها أخي لنفسه في اليوم الثاني من لقاء الـ"ميدنادفيم"، ومات بعدها بسنة ونصف.

- لقاء ماذا؟

- أعني المتطوعين.

أضافت:

- كانت زوجته امرأة باردة وقاسية. حين دخل المستشفى، رفضت حتى معاونته في إدخال اللبوس المُسَكِّن، وكنتُ أنا من قام بإدخالها في مؤخرة أخي العزيز. عانى من آلام فظيعة؛ سرطان القولون.

عندما نطقت السيدة "باباي" كلمتيْ "آلام فظيعة"، كانت كمن يهدهد تلك الآلام ويربِّت عليها بلطف. أحس الرفيق "دورا" بأنها تتوق إلى عذاب مماثِل، لكنها كممرضة ذات خبرة طويلة، درست في الجامعة الأمريكية، تستطيع التحدث عن الأمور الجسدية بموضوعية واتزان يثيران الدهشة.

أكملت:

- كانت تلك المشاعر الوليدة نذيرًا يُمَهِّد للمرض. كان أخي رجلًا وسيمًا للغاية، كان صهيونيًا بطبيعة الحال، لكنني لم أغضب منه أبدًا، وتجنبنا الحديث عن السياسة. أحبَّ الجميعَ أخي الكبير؛ الجميع دون استثناء.

دائمًا ما أُعجب الرفيق "دورا" بقدرتها على التعبير عن نفسها بدقة دون التورط في إظهار مشاعر مفرِطة. وحين تتحدث عن نفسها، تختفي لكنتها الثقيلة وتنساب العبارات من فمها بهنجارية سليمة.

كممرضة خبيرة، تدرك السيدة "باباي" ما يحدث داخل الجسد بالضبط حين يحتضر الإنسان. قالت بصوت هادئ:

- يطلِق خبراء عِلم النفس على ذلك تعبير "تورشلوسبانيك".

استطردت قائلة:

- قاما بزيارتي هنا في "بودابست"، تعرفتُّ إلى "بات" حينها.

صاح المقدِّم "دورا" فجأةً:

- أوه! الصورة!

مد يده في جيبه، وأخرج صورة داخل حافظة من البلاستيك.

أضاف:

- كدتُ أنساها.

كانت الصورة لفتاة لا تتمتع بأيٍّ قدر من الجاذبية، في نظر الرفيق "دورا" على الأقل؛ شقراء بأنف كبير بعض الشيء، لكنه أعجب بتعبيرات وجهها التي تنم عن الشجاعة والوضوح. تناولتها السيدة "باباي" منه، وأخرجتها من غلافها البلاستيكي، نظرت إليها بحنان، أسندتها إلى المزهرية التي وضعت فيها الأزهار التي تلقتها للتو، وقالت:

- "بات"، أظن أن المسافة البعيدة بينهما لعبت دورًا.

سألها "دورا" وهو يُخرج دفترًا صغيرًا من جيبه:

- ما اسم تلك الحالة؟ "تورشو.." ماذا؟

- المعنى ببساطة هو الخوف الشديد الذي يؤدي للانغلاق.

أضافت موضحة:

- مثلما يحدث عندما لا يشعر الرجل برغبة جامحة في كل امرأة يلتقيها؛ أعني عندما تنتهي الموسيقى ويحل الصمت.

تأمل الرفيق "دورا" أطراف السجادة تحت قدميه، فاحمرَّ وجه السيدة "باباي"؛ كثيرًا ما تناقش تجارب الآخرين العاطفية والجنسية بوضوحٍ وتفصيل، لكنها حين تتحدث عن نفسها ومشاعرها فإنها تميل للتحفظ. مَن يعرف الدور الذي تلعبه المسافة في التفريق بين الأحبة أكثر منها؟ لكنها في هذه اللحظة تحديدًا، لم تكن تحنُّ إلى "توم"، الجندي الإنجليزي الأحمق الذي لاح في مخيلتها وهو يلبس "مايوه" السباحة على شواطئ

الإسكندرية، وإنما إلى "باباي"؛ رأته في ثيابه الداخلية التي تُظهِر بطنه المغطى بالشعر وهو يقف فوق المقعد في الحمام، وقد لفَّ حول رقبته حبلا ثبته في أنابيب الغاز المحيطة بجوانب السقف، تلك النظرة التي تأملها بها حين اقتحمت عليه الحمام.. كانت قد غادرت عملها متوجهةً إلى المنزل راكضةً بأقصى سرعة، عقب أن ألحت عليها هواجس غامضة.

تنحنح الرفيق "دورا"، ثم قال:

- إنها فتاة ذكية، أليس كذلك؟

صباح ذلك اليوم، قرأ ترجمة سريعة ومختصَرة لخطاباتها قام بها أحد زملائه. يجيد "دورا" الروسية، ويعرف شيئًا من الألمانية التي تعلمها في معسكرات ألمانيا الشرقية، لكن لغته الإنجليزية ضعيفة للغاية، وهو ما هدد مستقبله المهني بعض الشيء. كثيرًا ما ردد على زملائه:

- لا يمكن لأحد خداعي في أي بلد على الإطلاق!

لكن تلك العبارة لم تكن أكثر من مبالغة جوفاء، فلو اضطرته الظروف في مدينة أجنبية للسؤال عن موقع محطة القطار بالإنجليزية، لوقف عاجزًا وحائرًا.

شيء ما في هذه الخطابات الطويلة للغاية أشعره بالانزعاج، لكنه لا يستطيع تحديده بالضبط. ربما يتوجب عليه قراءتها من جديد بتأنٍ واهتمام. قال للسيدة "باباي":

- أخبريني يا رفيقة، هل تعتقدين حقًا أنها صادقة فيما تقوله حول علاقتها بالطبقة العليا من الساسة الكنديين؟

أحست السيدة "باباي" بتوتر شديد، وأجابت بسرعة:

- "بات" لا تكذب عليَّ مطلقًا.

تمنت لو أن الحديث اتخذ مسارًا آخَر، لكنها عجزت عن تغييره، فذلك امتياز يتمتع به المقدِّم وحده. صحيح أنهما لم يناقشا المسألة أبدًا، لكن كلاهما يدرك بأن الرفيق "دورا" هو رئيسها في العمل، وهو الوحيد صاحب القرارات في هذه العلاقة. كلاهما مضطر لحساب خطواته قبل الإقدام على تنفيذها؛ إنها لعبة بين شخصين تجمعهما قناعات مشتركة.

أُدخِل "باباي" إلى المستشفى من جديد. أتاح لهما غيابه اللقاء في مسكن السيدة "باباي" التي تزور زوجها بانتظام في "ليبوتميزو"، مستشفى الأمراض النفسية الضخم في "بودا"، حيث تتأكد من ممارسته للتمارين الرياضية المطلوبة. هناك، تجعله يستلقي على ظهره رغم تذمره، وتعينه على تحريك عضلاته. تتسبب الأدوية المضادة للاكتئاب في انسدادات معوية، وتجعله يعاني من الإمساك، أما الأدوية التي يتناولها لعلاج عينيه، فإن لها آثارًا جانبية تؤذي قلبه. على كل حال، فإن مزيج الشلل الرعاش والمرض العقلي صعب للغاية. لم يكن بإمكان الرفيق "دورا" تخيُّل الجهود الكبيرة التي يستدعيها إبقاء "باباي" على قيد الحياة. عجز أيضًا عن تخيّل الحياة مع إنسان مجنون. داخل هذه الشقة الصغيرة في الطابق الثاني، ينبغي إبقاء الأنوار مضاءة طوال اليوم، حتى خلال ساعات الصباح وبخاصة في نهار ديسمبر هذا. توزعت في الشقة قطع من الأثاث القبيح، الذي تمنحه

الحكومة لساكني هذه المنازل.

علق "دورا" على إجابتها:

- حسنًا، ولكن هل تعتقدين أن "تروداي" سيتزوجها؟

قالت مصححة:

- "ترودو"؛ "بيير ترودو". "بات" لا تكذب عليَّ مطلقًا. ليس بإمكانها فعل ذلك؛ لعائلتها علاقات كثيرة وهامة.

تنهد "دورا"، وقال:

- تبدو الحكاية غامضة بالنسبة لي.

لكن الحقيقة هي أنه لم يكن يرغب في التحدث عن هذا الأمر. ناقش مع اثنين من زملائه موضوع هذه الخطابات وتبادلوا قراءتها، واتفقوا في النهاية على أن الفتاة الكندية كَنز ثمين ينبغي الحصول عليه، إن كانت صادقة في ادعاءاتها. يمكنهم إرسال السيدة "باباي" لزيارتها، وبعدها يقررون ما ينبغي فعله.

هذا تحديدًا هو جوهر المشكلة، لكنه لم يأتِ لهذا السبب أيضًا؛ كان متيقنًا من أن السيدة "باباي" أعطتهم تلك الخطابات لكي يقرروا السماح لها بالسفر، وتتاح لها بذلك فرصة زيارة ابنتها في "نيويورك"، لا مشكلة في ذلك على الإطلاق. كانت الابنة تحت المراقبة أثناء وجودها في "بودابست". إنها تستغل علاقتها بالمعارضة، خلال وجودها بالخارج. يمكن للسيدة "باباي" تزويدهم بمعلومات هامة عن هذه المسألة دون شك، لكن الأهم من كل ذلك حاليًا هو تلك

المدعوة "بات جيم"، والتي يُفتَرَض أن رئيس الوزراء الكندي يرغب في الزواج بها، تلك الفتاة التي تتردد على المستشفيات طوال الوقت، وتعتمد في حياتها على الحبوب المنوِّمة، والتي تمضي ساعات يومها في البكاء على حبها الضائع؛ شقيق السيدة "باباي". كان الرفيق "دورا" متأكدًا من أن المسألة بأكملها ستنتهي بفشل ذريع، لكنه لا يستطيع قول ذلك صراحة.

كان قد اطلع على ملفات الفتاة التي اقترحتها السيدة "باباي" وأمدتهم بمعلومات عنها، لم يكن في ملفاتها أي شيء هام. اقترحت السيدة "باباي" عدة أسماء أخرى، منها قريبتها الشابة التي تعيش في "ميلانو"، دعتها إلى "بودابست" مع زوجها الإيراني، فجاءا إلى العاصمة وغادراها سريعًا؛ لا شيء. اقترحت بعد ذلك زوج إحدى قريباتها؛ بدا خيارًا موفقًا في بادىء الأمر، فهو مهندس ذو ماضٍ مشبوه، لا يتوقف عن الكذب أبدًا، يعاني من مشكلات مالية، ولديه علاقات سرية متعددة مع نساء كثيرات. إنه الهدف المثالي لأي وكالة استخبارات، لكن جميع محاولات إقناعه بزيارة "هنجاريا" باءت بالفشل، رغم أن السيدة "باباي" بذلت جهودًا كبيرة لتحقيق الأمر دون جدوى. كان يعمل في وزارة الداخلية حين فر من البلاد في 1956، وباتَ يخشى العودة إليها رغم المحاولات المختلفة لطمأنته، ظل يماطل ويسوِّف، وفي كل مرة تصدقه السيدة "باباي" وتمنحه كامل ثقتها. اللحظة الأكثر إمتاعًا في حكايته، هو اكتشافهم عدم حصولة على شهادة جامعية! لم تصدق السيدة "باباي"

ذلك، وسعت جاهدةً للبحث عن شهادته.

كانت المخابرات المضادة سترحب بإصدار شهادة زائفة له، لو قبل الحضور لاستلامها منهم بنفسه، لكنه لم يكن يفكر في ذلك من الأساس. كان يتمنى أن تصدر شهادة باسمه دون تكبده عناء استلامها! عندها سيتمكن رسميًا وقانونيًا، من تصميم تلك الشقق القبيحة التي يعدُّها حاليًا لأبناء الطبقة المتوسطة الدُنيا في الأحياء الجديدة من "تل أبيب". كما اقترحت السيدة "باباي" تلك المُجَنَّدة التي تعمل في مطار "تل أبيب". ما حدث هو أن الفتاة قامت بخرق القوانين التي تفرضها طبيعة عملها، وتبادلت حديثًا مع السيدة "باباي" وتجاوبت مع ثرثرتها. كل من يقابل السيدة "باباي" يمنحها كامل ثقته باطمئنان، حتى مجنَّدات المطار اللاتي يقمن بتفتيش حقائبها! أسَرَّت المُجَنّدة للسيدة "باباي" بأن إحدى عجائز عائلتها ممن نجوا من معسكر "أوشفيتز"، تقيم حاليًا في مدينة "ميشكولتس" الهنجارية. طلبت من السيدة "باباي" أن تكون وسيطًا للتواصل السري مع قريبتها، وأعطتها عنوان المرأة العجوز، لكنهم حين توصلوا للأخيرة، كانت قد فارقت الحياة. ثم كان هناك ابن السيدة "باباي" الذي اقترحته عليهم بنفسها، أو أنها لم تعارض الفكرة على الأقل، لكنه بعد زيارته لهم لم يظهر ثانيةً. كان بإمكانهم استدراجه، لكن الرفيق "بيدر" عارض الفكرة. بعد ذلك، ظهر ذلك الرجل البائس الداعي للسلام الذي يمقت وطنه المختار، ففيه تعرَّض للإهانة مرة تلو الأخرى، بسبب مواقفه الرافضة للخدمة العسكرية، كما منع بناته من

الالتحاق بالجيش. لو أنه أتى إلى "هنجاريا"، لما عرفوا كيفية التعامل مع آرائه التقليدية، والمتصلبة، والرافضة للحرب والعنف؛ إنه إنسانٌ منبوذٌ من العالَم بأسره، يعاني من الارتياب ويصعب إفساده.

الشخص الوحيد الذي اتفق الجميع على أهميته، هو الكولونيل الإسرائيلي، الحبيب القديم للسيدة "باباي". عند لقائها به هذه المرة، حرصت السيدة "باباي" على التزين ووضع المكياج، وهو أمر لا يسمح به إرهاقها الدائم. أحست شقيقتها التي رافقتها إلى فيلّا الكولونيل، بالسعادة لاهتمامها بمظهرها، لكنها في الوقت ذاته حارَت في تفسير المسألة. لا تزال تتذكر الكولونيل في شبابه وهو يطارد أختها من مكانٍ لآخر، صار رجلًا مهمًّا وغنيًا الآن. ما زاد من حيرتها هو عدم لقاء أختها به في زياراتها السابقة، والتي كانت تحرص فيها على مقابلة رفاقها القدامى فقط. على كل حال، استقبل الكولونيل ضيفتيه الجميلتين بالترحاب، مستعيدًا عالمًا قديمًا جمعه بهما. بعد عشاء فاخر من أطباق عديدة، وأمام شاشة التليفزيون، عبَّر الكولونيل عن رأيه في الساسة الإسرائيليين منتقدًا إيّاهم، لكنه حين بدأ في توجيه أسئلة حادة اللهجة إلى السيدة "باباي" حول 1956 و"آلكسندر سولجينيتسين"، أمسى الحوار فاترًا، وسرعان ما توقف تمامًا. لم يكن بوسع السيدة "باباي" الكذب. في الحالات العادية، يُكافأ الصادق على صدقه، لكن في هذا الموقف تحديدًا كان الصدق خطأً وخطيئة.

نجحت السيدة "باباي" في استدراج شخص واحد، هو

"زاريتسكي" الروسي المثير للجدل المعارِض للسوفييت، والذي يعمل موظفًا في "معهد فايتسمان". كان يساعد اليهود على الهجرة إلى "إسرائيل". كان من العجيب أن يمنح جزءًا من وقته للسيدة "باباي". في نهاية الأمر، تولى الروس الإشراف على قضيته. كان ذلك بمثابة منح السيدة "باباي" نجمة ذهبية تقديرًا لجهودها.

أما بالنسبة للفتاة الكندية، فإنها تقف على حافة الجنون. رغم الطول غير الطبيعي لخطاباتها، إلا إنها تتكون من عبارات موجزة، يمكن اختصارها كالتالي: الفتاة ذات الثقافة المتميزة باتت امرأة مجنونة، لا تتوقف عن النواح والشكوى وابتلاع المُسَكِّنات. تلاشت أحلامها في تأليف رواية أدبية وكتابة مسرحية وإعداد رسالة عِلمية، ولم تعد سوى ذكريات بعيدة. تركَّزت طموحاتها الآن في أن تصبح زوجة لرئيس الوزراء الكندي.

تساءل المقدِّم "دورا" في سِره: "تُرى، هل كُتِب الجنون على كل من يحيط بالسيدة باباي؟".

قال لها:

- أشكركِ على الشاي اللذيذ.

قال ذلك بصوتٍ هادئ، كأنه يستعد للمغادرة. وقف وصافحها، ثم زرَّر معطفه الثقيل، وتأهب للخروج من باب الشقة. هناك، رأى رجلًا مُسِنًّا يستند بذراعيه على عكاز معدني بأربعة أرجل، ويقف ثابتًا في مكانه دون أن يتقدم خطوة. بدا كما لو أن أحدًا نسيه هناك. التفت نحو السيدة "باباي" كأنما خطرت له فكرة مُباغِتة، شعر بالزهو لهذه

المناورة الذكية التي خطّط لها. سألها وكأنه لا يعرف الإجابة:

- أين كنتِ تسكنين أنتِ وزوجكِ قبل الانتقال لهذه الشقة؟

أجابته بحذَر، وهي تستعد للجولة الجديدة من لعبة الشطرنج المستمرة دومًا بينهما:

- في شارع "كيريك".

انتابها إحساس هائل بالتوتر. مهما بدت أسئلة الرفيق "دورا" بريئة وتلقائية، فإنها تخفي وراءها على الدوام بُعدًا أعمق لا تدركه. تعلمتْ أن تُبقي تعبيرات وجهها مُحايدة. أضافت:

- بجوار المدرسة.

- ما رقم منزلكم السابق؟

- 22.

استقام المُقدِّم في وقفته، واستدار داخلًا الشقة ثانيةً. أغلق الباب وراءه.

- هل يمكنني الجلوس؟

- سأحضِّر المزيد من الشاي.

- كلا، لا بأس؛ أنا على عجلةٍ من أمري.

تبادل الاثنان نظرات طويلة، قطعها الرفيق "دورا" أخيرًا بالقول:

- أشعر بالحَرَج.

ردَّت السيدة "باباي" محاولةً طمأنته:

- لا عليك؛ لا أجد سببًا لذلك.

- حسنًا، إنه مأزق وقع فيه أحد زملائي؛ إنها مشكلة تقنية. أخبريني.. هل يمكن رؤية بقالة شارع "جينتيندري" من أيٍّ من نوافذ الشقة هناك؟

- نعم.

- رائع! حسنًا، صديقنا هذا، الذي لم نستطع بعدُ تحديد مواقفه وعلى أيِّ جانب يقف، يسكن في العمارة المواجهة لشقتكم القديمة. نحتاج لمراقبته لبعض الوقت، لكي نعرف ما الذي يخطط له بالضبط داخل بيته.

أصغت السيدة "باباي" بانتباه أكبر؛ إنها تفهم جيدًا معنى مصطلح "صديقنا"؛ هذا ما تعتقده على الأقل، يكفيها هذا.

تردَّد المقدِّم بعض الشيء؛ ما سوف يقوله الآن غير مقنع بتاتًا، ولكن نظرًا لضيق الوقت لم يتمكن وزملاؤه من حَبك قصة يبررون بها مطلبهم؛ لا بدَّ وأن تكون غبيًا جدًا لكيْ تصدِّق مثل هذه الحكاية الساذجة! مع ذلك، عليه أن يلتزم الحذر بسبب الشخص المَعْنيِّ بالمراقبة. ادَّعت السيدة "باباي" عدم الفهم؛ لعلها لم تفهم فعلًا. أصبحت مباراة الشطرنج أكثر سخونة؛ أضحت هناك لُعبات صغيرة داخل الجولة الرئيسة. طالما أنها تجيد المراوغة لدرجة أنها تبدو جاهلةً بحقيقة الأمر، فذلك يعني شيئًا واحدًا فقط: إنها تفهم الوضع على حقيقته تمامًا. لو أنها أظهرت فهمها للمسألة، لكانت عكس ذلك

على الأغلب. كِلا الاحتماليْن قائم على كل حال، وهذا هو الوضع المثالي: أن تقدم المساعدة دون أن تفهم أبعاد المسألة. لا بأس أيضًا إن كانت تدّعي عدم الفهم؛ سيكون الأمر كارثيًا لو أفشت السر.

رسم الرفيق "دورا" على ملامحه تعبيرات تنمُّ عن القلق، وقال:

- هناك شقة في..

قاطعته السيدة "باباي":

- في العمارة رقم 22؟

- كلا.. لا.. لم يكن هذا ما أعنيه؛ كما قلت، في الجهة المقابلة بالضبط، على الجانب الآخر من الشارع، هناك تلك الشقة التي تجري داخلها أحداث معينة منذ بعض الوقت؛ إنها أحداث تسبب لنا الإزعاج، ونودُّ أن نحدد طبيعتها بدقة.

- في الطابق الثالث؟

دون لحظة تفكير، أجابها المقدِّم:

- نعم، إنها في الثالث؛ لماذا؟

هتفت السيدة "باباي":

- كنتُ أعلم ذلك! كان زوجي أول من لاحظ ذلك، لكنني لم أهتم بالمسألة حينها، لأنه.. كيف أشرح لك هذا! مصاب بالهَوَس؛ إنه يعتقد بأنه مراقَب وكنتُ أقول له بأنه ما من أحد يراقبه. قال بأن هناك كاميرا ترصد تحركاته من الجهة المقابلة للشقة، وأن عدستها مصوَّبة

تجاه نافذتنا. أخبرته بأن الفكرة بلهاء من الأساس؛ لماذا يهتم أحد بمراقبتنا؟ ما السبب في ذلك؟ شرحتُ له بأن مرضه يصوِّر له ذلك، إذ إنه يعاني من عُقدة الاضطهاد، فوعدني بألا يردِد ذلك الكلام ثانيةً. في الليلة ذاتها، جافاني النوم، تمعنتُ في تلك النافذة؛ ستائرها الثقيلة مُسدَلة على الدوام، عادةً ما يكون أصحابها غير موجودين، حين يتواجدون داخلها، يقومون بإنارة جميع الأضواء طوال ساعات الليل؛ مَن يمكنه تحمُّل هذه التكاليف المالية؟ لكنني رميتُ الفكرة من رأسي؛ أعني طردتُها من رأسي. في إحدى الليالي، في الرابعة فجرًا تحديدًا، لاحظتُ توقف سيارة أمام العمارة، تكرر الأمر عدة مرات، أخرج رجل رأسه من النافذة وصاح بلغة لم أتبينها.

أحسَّ المُقدِّم بانتصار رائع، كما يحدث حين تُلاعب أحدًا الكوتشينه، فيخبرك عن الأوراق التي يحملها دون أن يقصد ذلك أو يفطن له. هذا أغرب ما في السيدة "باباي"؛ تجلس في صمت كئيب للغاية دون أن تنطق كلمة واحدة، ثم تنطلق فجأة في الحديث بعينين لامعتين؛ تجرُّ فكرة عبقرية خلف أخرى. في تلك اللحظات، تبدو كتلميذة ترفع يدها بحماس حتى تكاد تسقط عن مقعدها، لكي تجيب على أسئلة المُعلِّم. قال لها مؤكدًا:

- نعم، بالضبط؛ تلك هي الشقة التي أقصدها.

- من العجيب أن ستائرها مُسدَلة على الدوام!

- أذكر أن ابنكِ الأصغر لا يزال يقيم في مسكنكم القديم في شارع "كيريك".. هل لا تزالين تملكين مفتاحًا لها؟

امتقع وجه السيدة "باباي"؛ هذا مستحيل، إنه نقطة ضعفها الوحيدة، لا يمكنها فعل ذلك.. عقدت حاجبيها بانزعاج. فكَّر المُقَدِّم: "اطرق الحديد وهو ساخن!"؛ عاجلها بالقول:

- كل ما نحتاجه هو نحو ثلث ساعة تقريبًا.

امتد بينهما صمت كثيف. قالت السيدة "باباي" أخيرًا:

- لا أظن أن ابني سيسعد بهذا الشيء؛ هذه ليست المشكلة عمومًا، المشكلة الرئيسة هي تواجده في المنزل أغلب الأوقات، ليس له مواعيد ثابته، ليس لعمله ساعات محددة كالآخرين؛ ينام متأخرًا. حين يذهب مساءً إلى المسرح لأداء وظيفته، فإنه يبقى حتى بداية العرض فقط ثم يسارع بالعودة إلى البيت.

قال الرفيق "دورا" بنبرة هادئة:

- حسنًا، تدركين بالطبع أن ابنكِ يجب ألا يعلم شيئًا عن الأمر؛ الأمر حساس للغاية. إن تعاونكِ معنا سيتيح لنا حل المشكلة التقنية التي نعاني منها سريعًا؛ ستكون مساعدة عظيمة. لا أدري أصلًا كيف فاتتنا هذه الفكرة من قبل!((37)) عمومًا، إن كنتِ تجدين المسألة معقدةوغير عملية، فبإمكاننا التفكير في شيء آخر. هل يمكنكِرسم خارطة توضيحية للشقة؟

ما وصل إلى أُذُنيْ السيدة "باباي" كان أمرًا صارمًا غير قابل للمناقشة. من جانبه، تظاهر المقدِّم "دورا" بعدم ملاحظته لتوترها المتزايد. فتح أزرار معطفه ثم خلعه وألقاه بإهمال فوق أحد السريرين. يجب أن تفهم السيدة

"باباي" أن المسألة في منتهى الجِدِّية، وأنه لا مجال للتراجع الآن، ولو خطوة واحدة. قال لها:

- أنا بحاجة لبعض الشاي؛ الجو في الخارج شديد البرودة.

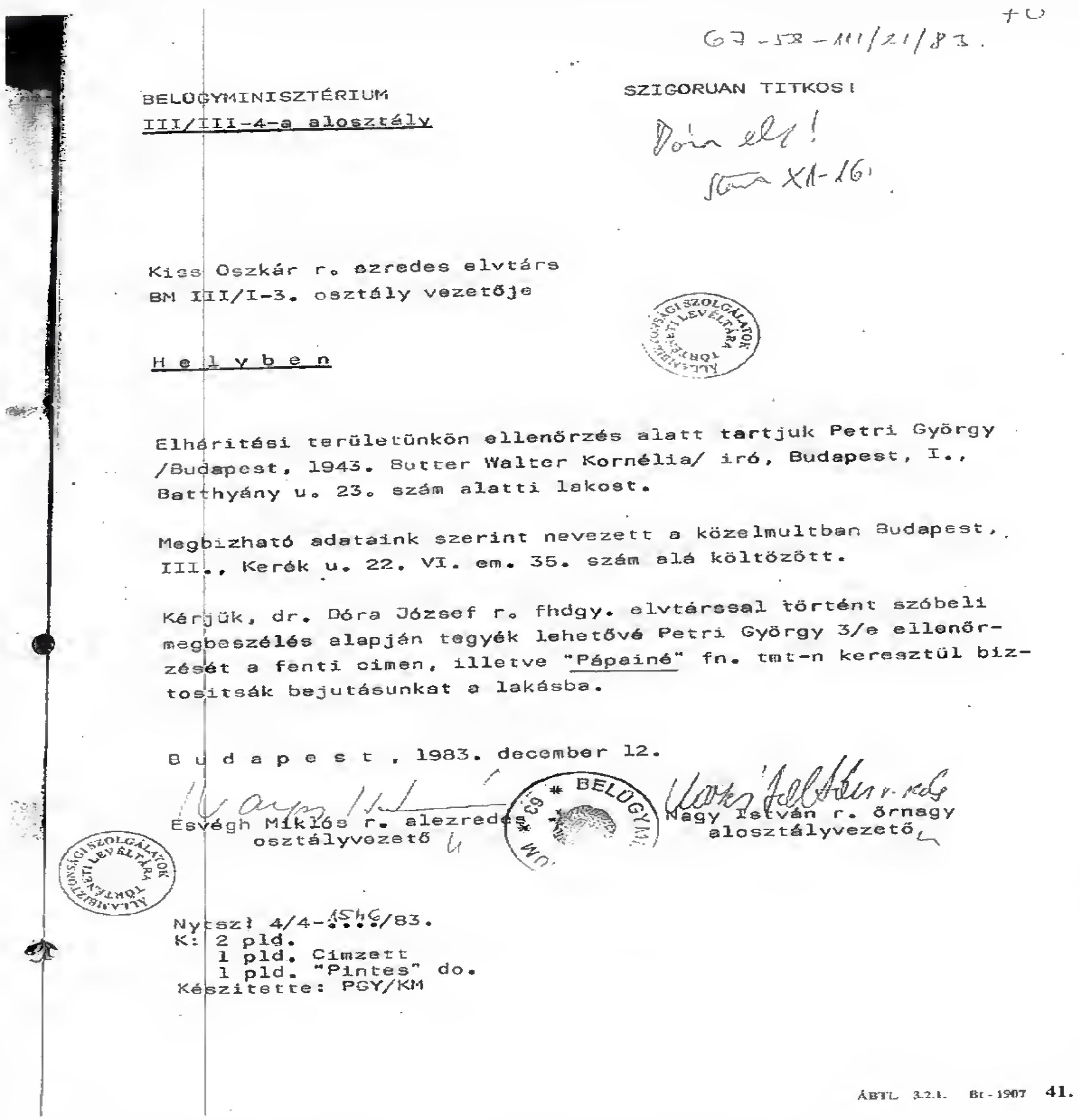

67-58-III/21/83.

BELÜGYMINISZTÉRIUM
III/III-4-a alosztály

SZIGORUAN TITKOS!

Kiss Oszkár r. ezredes elvtárs
BM III/I-3. osztály vezetője

H e l y b e n

Elhárítási területünkön ellenőrzés alatt tartjuk Petri György /Budapest, 1943. Butter Walter Kornélia/ író, Budapest, I., Batthyány u. 23. szám alatti lakost.

Megbizható adataink szerint nevezett a közelmultban Budapest, III., Kerék u. 22. VI. em. 35. szám alá költözött.

Kérjük, dr. Dóra József r. fhdgy. elvtárssal történt szóbeli megbeszélés alapján tegyék lehetővé Petri György 3/e ellenőrzését a fenti cimen, illetve "Pápainé" fn. tmt-n keresztül biztositsák bejutásunkat a lakásba.

B u d a p e s t , 1983. december 12.

Esvégh Miklós r. alezredes
osztályvezető

Nagy István r. őrnagy
alosztályvezető

Nytszi 4/4-1546/83.
K: 2 pld.
1 pld. Cimzett
1 pld. "Pintes" do.
Készitette: PGY/KM

ÁBTL 3.2.1. Bt-1907 41.

- هناك ثلاث غُرَف متجاورة بسيطة للغاية؛ تفتقر إلى أيِّ مظهر للفخامة. يقع الحمَّام ودورة المياه والمطبخ في الجهة المقابلة للغرف، الأولى هي الأكبر، الوسطى أصغر قليلًا تُستخدم كغرفة معيشة، والأخيرة كبيرة أيضًا، وينام

ابني في الأولى. يمكن رؤية المدرسة من نافذة المطبخ.

لاحَ الشرود على وجهها، وتحدثت بعباراتٍ موجَزة ومقتضبة. لم تقم بإعداد الشاي، لكن ذلك لم يزعج المقدِّم. سألها:

- متى يمكنكِ إدخالنا للشقة؟

- لستُ أدري.

- نحن بحاجة إلى معرفة موعد تقريبي على الأقل.

رمقها بنظرة منزعجة.. "ألا تفهم الوضع؟ ألا تدرك أنه ليس لدينا وقت لهذا التنصُّل؟ ألا تعي واجباتها؟".

قالت:

- هناك شيء آخر؛ في بعض الأحيان يقيم أصدقاء ابني في الشقة، إنه كريم مع ضيوفه، وبخاصة إن لم يكن لديهم مكان يبيتون فيه، إنه لا يستأذنني أو يخبرني قبلها، وهو غير مضطر لفعل ذلك طبعًا.

- هل هناك مَن يقيم في الشقة حاليًا؟

- ليس لديَّ أيُّ فكرة، لكن ذلك وارد بطبيعة الحال.

فكر المقدِّم في ضيق: "كان يمكنها الإجابة بنعم أو لا". ألقى عليها نظرة مُستاءة، فنظرت إليه بدورها وأحست فجأة برعب شديد؛ ما الذي يعرفه الرفيق "دورا" عن ابنها؟ ليس لديها فكرة. في لقائها الأخير به، صارحته بأمورٍ كثيرة؛ أخبرته بالسعادة التي ستشعر بها إن ارتبط ابنها، وعن شوقها لحفيد منه، لديها حفيدان بالفعل، لكنها ترغب في رؤية طفله هو! لم يكن عليها

الثرثرة بكل ذلك. تدرك الآن بأن المقدِّم أحسَّ بالأسى الذي يغلف كلماتها؛ تشعر بالخزي والحرج الآن. لن يترددوا في تقطيع ابنها إلى أشلاء إن رغبوا في ذلك. بإمكانهم إحالة حياته جحيمًا بمنتهى البساطة. أحست السيدة "باباي" بالاختناق؛ لا أوكسجين في الحجرة، إنها على مشارف أزمة ربو. بدأت تتنفس بصعوبة، أخذ صدرها الكبير في الارتفاع والهبوط، أحسَّت بكف صغيرها بين أصابعها؛ مولودِها الذي كان موشكًا على الموت، ألصقت خدها بوجهه الناعم، ثبتت نظرتها على عدسة كاميرا "باباي" في ذلك النهار الربيعي تحت قلعة "بودا"، ومنحته ابتسامة صافية. مالَ رأسها قليلًا، فانتبهت من شرودها ونظرت إلى المقدِّم للحظات، ثم تحدثت بصوت ضعيف كبنت صغيرة:

- ربما استطعت إيجاد عُذر يستدعي إبعاد ابني عن الشقة لبعض الوقت.

أجابها:

- هاتِ ما لديك.

تعمد أن يقول ذلك بمزيجٍ من الاستياء الواضح، وبعض التعاطف.

ردت:

- سوف تعود ابنتي من "موسكو" لقضاء الكريسماس معنا..

فكر المقدِّم: "هؤلاء اليهود ونظرتهم المتفائلة إلى الجانب المُشرِق للحياة، أينما ذهبوا! هذه العائلة ورحلاتها

إلى نيويورك وموسكو وتل أبيب!". تمنى لو استطاع زيارة "نيويورك". نجح في إخفاء ابتسامة السخرية التي أوشكت على الظهور، لو كان ثملًا لظهرت ابتسامته حتمًا، كما يحدث في بعض الأحيان. حقيقة الأمر أن في شخصيته جانب حَسود خفي، رغم حبه لما تحتويه وظيفته من مغامرات وأسرار ومؤامرات، تمنحه شعورًا بأنه إله حين يتأمل المارة في الشوارع، إلا إنه كان يشعر بكراهية تجاه نفسه بسبب الوظيفة ذاتها التي تحطم روحه شيئًا فشيئًا. الواقع أنه لم يكن منتبهًا لهذه المشاعر المتضاربة، وحده الإحساس المتزايد بالضجر هو الذي يذكره بأن هناك شيئًا ينقص حياته.

استطردت السيدة "باباي":

- ما يعني أنه يتوجب عليَّ تنظيف الشقة قبل وصولها. حين أقوم بالتنظيف، يهرب ابني من البيت على الفور.

- عظيم! أهنِّئكِ على هذه الخطة الرائعة. عندها، سوف تقومين بإدخال رجالنا إلى شقتكم لبضع دقائق.

- ولكن يجب أن يلتزموا بالحضور في موعدهم بالضبط.

قال وهو يهم بالوقوف:

- مواعيدهم في دقة مواعيد الموت ذاته!

سألته بشيء من الانكسار:

- ألن تشرب المزيد من الشاي إذًا؟

عوضًا عن إجابة سؤالها، قال الرفيق "دورا":

- سوف نقوم بمراجعة كافة التفاصيل مرة أخرى قبل تنفيذ الخطة. نلتقي هنا بعد ثلاثة أيام.

أضاف:

- إنهم بانتظاري. لقد طالَ حوارنا أكثر مما يجب.

كان الاستياء ظاهرًا بوضوح في صوته.

---

(28) فيما يتعلق بالتقارير المطلوبة منها، قدمتْ ثماني قطع من المعلومات السياسية؛ رأى القسم 6 أنها قيِّمة ومفيدة.

(29) خلال اللقاءات القادمة، سنتمكن من تحديد أسباب ضعف محتوى التقارير السياسية التي تقدمها السيدة "باباي"، وفي إطار توجيهها لما نرغب منها تحقيقه، سوف نعمل على تعليمها إصدار أحكام أكثر موضوعية في المجال السياسي.

(30) إن الانطباع الذي تتركه السيدة "باباي" لدى الآخرين، يتلخص في كونها مُرهَقة ومُتعَبة ومكسورة، والحقيقة أن المشكلات التي تسردها تفسر مظهرها هذا. مع ذلك، فإنها تتلقى المهمات التي تُكلَّف بها بسعادة. ذكَرَت بأن المعهد سيتيح لها التعرف على الأشخاص الذين نراقبهم بشكل أفضل.

(31) ذكرت السيدة "باباي" بأن "روفَس خوزا" يستدين على الدوام مبالغ مالية كبيرة من زملائه في المعهد، وأن وجهات نظره مقبولة تمامًا.

(32) هو عضو في حزب يشهد تطورًا ملحوظًا، ويتصرف على نحو متفتح وليس بشكلٍ قَبَلي. يحرص على إخفاء انتمائه وولائه الشديد للحزب في مكان عمله وفي المقالات التي يكتبها، لأن الصحفي في "نيجيريا" - حسبما يقول - يجب أن يتصف بحياد تام. إنه مسيحي متدين للغاية، وقد شاهد مسرحية "آلام المسيح" مرتين في "تشيكشوميو"، وتحدث عنها من منظور ديني فقط.

قال بأنه سعد بالعرض، لأنه دليل على توافر الحرية الدينية في بلد اشتراكي. أراد الحصول على بعض الصور الفوتوغرافية من العرض، لاستخدامها في مقاله عن المسرحية عند عودته لبلاده. تدينه عميق للغاية، وهو يؤمن بالجحيم وبيوم القيامة؛ الواقع أن جميع تصرفاته تعكس إيمانه الشديد. شقيقته الكبرى تدرس حاليًا في "روما"، إنها ممرضة متخصصة في التغذية (؟) أراد "آلاووود" السفر إلى هناك لرؤيتها.

(33) تشعر السيدة "باباي" بأن الطلبة يعتبرونها من موظفي المعهد لا زميلة لهم، وأن ذلك هو السبب في معاملتهم المتحفظة معها والتي كانت أكثر انفتاحًا في بداية الأمر؛ تسبب هذا التحفظ في تقليل نشاطها المتعاوِن مع الجهات المختصة.

ما زاد الوضع سوءًا هو اضطراراها للعناية بزوجها أكثر فأكثر، نظرًا لتدهور حالته المستمر. يشكل هذا الجانب من حياتها عبئًا كبيرًا عليها؛ صار الزوج يخشى خروجها من البيت، ويتملكه هاجس دائم بأنها ستتعرض للاعتقال من قِبَل السُّلُطات فور مغادرتها المنزل. تفاقمت حالة البارانويا التي يعاني منها، حتى أنه أصبح يفتح باب الشقة فجأة ناظرًا يمنة ويسرة للتأكد أن لا أحد يراقبهما.

(34) في نظر الطلاب، لم يكن المعهد يؤدي الدور المطلوب منه على الوجه الأكمل، فالمحاضرات تبعث على الملل. كانوا يمضون الوقت بين المحاضرات في قراءة الصُحُف وكتابة الرسائل.

(35) عند وصولي، هنَّأتُ السيدة "باباي"، وقدمتُ لها باقة أزهار بمناسبة عيد ميلادها؛ أسعدها ذلك جدًّا. حديثنا عن الإجازات، جرَّنا للتحدث عن أولادها.

إنها منزعجة للغاية من أن أحدًا منهم لم يتبع خُطاها وزوجها في العمل السياسي القائم على اعتناق المبادئ الماركسية اللينينية. حاولتْ تحليل أسلوبها في تربية وتنشئة أبنائها، لأنها تعجز عن فهم لجوئهم إلى مبادئ وأفكار مغايرة، ونفورهم التام من السياسة.

من جانبي، حاولتُ تهدئة السيدة "باباي" بتذكيرها بالإنجازات العديدة لأبنائها، كما ضربتُ لها مَثَلًا بالطبيب غير الماركسي الناجح في عمله هنا في "هنجاريا" الاشتراكية؛ إنه مكسب للنظام الصحي الاشتراكي

وإنجازاته مفيدة جدًا لمجتمعنا.

(36) رغم الآراء السياسية غير العادلة للسيدة "باباي"، إلا إن تقديرها للأمور يتسم بالاتزان. لا تزال متأثرة بأبيها الذي يواصل نشاطه السياسي على الرغم من حالته الصحية المتدهورة.

(37)

وزارة الداخلية سري للغاية

قسم الفرعي رقم ٣/٣ ـ ٤ ـ أ عناية الرفيق «دورا»

الرفيق «أوسكار كيس»، ضابط شُرطة

رئيس قسم ٣/ ١ ـ ٣

مذكرة داخلية

في إطار نشاط المخابرات المضادّة، نُبقي الكاتب «جيورجي بيتري» (المولود في «بودابست» ١٩٤٣، اسم الأم: «كورنيليا بَتِر والتر») المقيم في ٢٣ شارع «باثاني»، المنطقة الأولى، «بودابست»، تحت المراقبة.

وفقًا لمصادرنا المعتَمدة، قام المذكور مؤخرًا بالانتقال إلى عنوان جديد هو ٢٢ شارع «كيريك»، الدور السادس شقة ٣٥، المنطقة الثالثة، «بودابست».

استنادًا إلى حوارنا الشفوي مع ضابط الشرطة المقدِّم د. «يوزيف دورا»، فإننا نطلب أن تتم مراقبة «جيورجي بيتري» التابع لـ٣/إي، خلال تواجده في العنوان المذكور أعلاه، على أن تكون عميلتنا السيدة «باباي» هي مدخلنا لهذه الشقة.

«بودابست» ـ ١٢ ديسمبر ١٩٨٣

الملازم العقيد/ «ميكلوس إيسفيج» النقيب/ «إستيفان ناجي»،

رئيس قسم نائب رئيس قسم

(2)

دقة القلب.

لم تعرف إن كان ينبغي عليها الضغط على جرس الباب، أم الدخول مباشرةً بمفتاحها.

حاولت الاتصال بابنها قبل ذهابها، لكنه لم يرد على التليفون؛ ربما كان ذلك أفضل.

صاح ابنها فور رؤيتها:

- ماما!

كان قد غادر غرفته متمهلًا، حين سمع صوت المفتاح وهو يدور في الباب. وقف أمامها مشعثًا بملابسه الداخلية. سألها:

- في هذه الساعة المبكرة؟

تبادلا نظرة طويلة. لكلٍ منهما عينا الآخر، لاحظ شيئًا مختلفًا في عينيها، لكنه لم يدرك ما هو؛ لا شك أن مكروهًا وقع لأبيه أو لإحدى شقيقتيه، مشكلة فظيعة لا بد من حَلّها في التو، يجب إنقاذ أحد أفراد الأسرة.

- لماذا تحملين دلوًا في يدكِ؟

فهم الموقف فورًا، فصاح:

- يا إلهي!

وقفت أمه في مدخل الشقة، في الدور السادس من المبنى وهي تحمل دلوًا. سألته ببرود:

- هل لديك دلوٌ هنا؟

- كيف لي أن أعلم!

- حسنٌ إذًا! هذا هو سبب جلبه معي!

تنحى الولد جانبًا مُفسِحًا لها المكان. أدخلتْ معها هواء شديد البرودة. اتجهت إلى المطبخ، وجدت بقايا أطعمة مختلفة تعود لعدة أيام فوق الطاولة. تنهدت وقالت بتأفف:

- يا لها من فوضى!

دون أن تخلع معطفها جلست على أحد الكراسي، ووضعت بجوارها على الأرض كيسًا كانت تحمله بيدها الأخرى، يحتوي على عدد من المعلبات وبعض الأطعمة.

- لا تقولي بأنكِ تنوين التنظيف الآن؟

- هذا تمامًا ما أنوي فعله.

- فكرةٌ سيئة؛ كل مَن بالداخل نائم.

- لديك ضيوف مرة أخرى؟

- "جيورجي" و"مايا". تعالي، سأعد لكِ بعض الشاي.

- أنا متعجلة.

تلاحقت الأفكار في رأسها بسرعة فائقة. حاولت استعادة حوارها مع الضابط المسؤول عنها)(38)(.

- سوف تصل أختك غدًا؛ لا يمكننا استقبالها وسط هذه الفوضى.

اختفى الولد داخل حجرته، ثم عاد بعد قليل. راقب

أمه المستغرقة في تفكير عميق، ثم جلس بجانبها على الأريكة - السرير العتيقة ذات اللون الأخضر، التي أحضروها معهم من "إنجلترا" قبل عشرين سنة، كان ينبغي التخلص منها منذ عدة أعوام. كانت تجسيدًا للابتكار والأناقة في ذلك الوقت! لطالما أثارت انبهار وإعجاب كل مَن يزورهم من الأقارب. في ظهرها فجوات مُعَدَّة لتخزين الملاءات والمفارش. لم يعد النوم ممكنًا على مرتبتها المتهالكة، تراخت الأحزمة الجلدية المحيطة بالمرتبة، لكن أحدًا لم يطاوعه قلبه على التخلص من هذا الإرث العائلي. ينطبق الوضع ذاته على المقعدين المهترئين اللذين يكوِّنان بقية هذا الطقم الأخضر. حين اشتروا هذه الأريكة، كان الولد لا يزال صغيرًا، وبإمكانه الاختباء داخل المساحة المخصصة للملاءات، وإن لم يكن الأمر سهلًا وقتها. قبل لحظات من وصول أمه، كان على وشك ارتداء "روب" ضخم من قماش البشكير المخطط بالأزرق والأبيض، أكبر منه بمقاسين على الأقل، لدرجة أنه يلامس الأرض من شدة طوله، حين يقوم بالرسم يضطر إلى تشمير الكُمَّين. اشتروه لأبيه في تلك الأيام التي كان "باباي" لا يزال فيها ممتلئ الجسد، بوزن يقارب 115 كيلو. في تلك الأيام كانت نكتة "باباي" المفضلة هي أنه عضو في "نادي الخصيتين غير المرئيتين"، لأنه إن لم ينظر لانعكاس صورته على المرآة (وهنا يصدر أصواتًا تشبه دق الطبول لإعلان خبر هام) فإنه لن يتمكن من رؤيتهما لفرط بدانته! تكوَّن النادي من عضوين فقط: "باباي" وأحد أصدقائه المعدودين. حسنًا.. "المعدودون" هنا نوعٌ من المبالغة؛ يمكننا إعادة صياغة

الجملة لتصبح كالتالي: "باباي وصديقه الوحيد". الحقيقة التي يجهلها "باباي" هي أن هذا الصديق، الذي كان زميلًا له لبعض الوقت، لم يكتفِ بكتابة الأخبار وصياغتها في إطار وظيفته، بل حرص على كتابة تقارير عنه هو أيضًا! ولكن للإنصاف، كانت تقاريره حول "باباي" إيجابية للغاية، وركزت على خفة ظله الواضحة، وميله لإطلاق النكت وتأليفها منذ صغره، وتأسيسه لنادي "الخصيتين غير المرئيتين".

الواقع أن الجميع كان يجد "باباي" رجلًا مَرِحًا، خفيف الظل.

حاول الولد الاقتراب من أمه واحتضانها، لكنها شدت جسمها في توتر بالغ. قال لها:

- لا يزالون نيامًا.

تحجرت ملامحها في قلق، وغارت تجاعيد وجهها؛ أنفها المعقوف قليلًا في أناقة، صار أشبه بمنقار حاد بغتةً.. زمت شفتيها. فكر الولد: "المسكينة! تعاني من الكثير من القلق؛ لديها دائمًا ما يثير قلقها وتوترها". قالت:

- عليك أن تذهب لزيارته في المستشفى، قُم بمعاونته في أداء التمارين الرياضية، ساعده في الاغتسال؛ إنهم لا يغسلون جسده، لم تعد لديّ طاقة لفعل كل ذلك.

أضافت بصوت هامس، كأنما تتحدث لنفسها:

- آين لي كوتش..

قالتها بالعِبرية. في لحظات الضعف والإرهاق والخوف،

يتحول لسانها إلى العِبرية تلقائيًا دون أن تلاحظ ذلك مرة. عقب سنتين من هذا الموقف، ستكون على فراش الموت في المستشفى في سُبات دائم بفِعل جرعات المورفين، استيقظتْ منه مرة واحدة، اعتدلت في جلستها وفتحت عينيها، ثم عادت إلى غيبوبتها من جديد. لاحقًا، بعد أن لفوا جسدها بملاءة وأخذوها إلى ثلاجة الموتى، عاد الولد إلى حجرتها لاسترداد أغراضها وحاجياتها من المنضدة المجاورة لفراشها. قالت له زميلتها في الغرفة بأنها - ومن باب التسلية فقط - قامت ليلًا بالصراخ بصوت مرتفع بالآية التوراتية "اسمع يا إسرائيل.."، وأن السيدة "باباي" جلست من فورها بعينين مفتوحتين، رغم أنها كانت قد تُوفيت بالفعل.

انبعثت من المطبخ أصوات أطباق، قامت السيدة "باباي" كلبؤة تحمي صغارها من مكانها فورًا، واندفعت نحو المطبخ. صاحت في الفتاة الشابة الواقفة هناك:

- اتركي ذلك، اتركيه!

التفتت الفتاة نحوها بابتسامة معتذِرة:

- عُدنا في ساعة متأخرة البارحة، آسفة لأننا تركنا المطبخ على هذا الحال. سأنتهي في دقيقة واحدة.

ألانت ابتسامتها البريئة قلب السيدة "باباي". راحت الفتاة تعمل بسرعة وهدوء. نظرًا لصغر مساحة المطبخ، لم تستطع السيدة "باباي" تجاوزها للوصول إلى الحوض. قالت البنت:

- سأعد بعض القهوة خلال لحظات.

أجابتها السيدة "باباي":

- لا داعٍ لذلك.

من بعيد، ارتفع صوت مبحوح:

- هذا الثلج اللعين ثانيةً!

خرج الشاعر من الغرفة الثالثة حافي القدمين، مرتديًا بنطلونه فقط. بدت عظام صدره النحيل ناتئة ومشوهة، كتفاه قويتان تبرز العضلات منهما. راح يحك ذقنه، ثم مد ذراعه وبدأ يحك ظهره. توقف بجسده القصير أمام الباب الذي يفصل الغرفة الخلفية عن حجرة المعيشة. قال:

- كنت أفكر في طهي شوربة عظام الغزال إن لم يكن لديكم مانع، ليس هنا بطبيعة الحال، وإنما في بيت "آديليجيت". أين ذهبت تلك الحمقاء القبيحة؟

مد ذراعه اليسرى، ليهرش الجانب الأيمن من ظهره، كانت طريقته هذه مألوفة لكل من يعرفه. واصل حك جسده، وبدا مستمتعًا للغاية. أضاف:

- لديها المال المطلوب.

قال الولد وقد سال لعابه:

- حقًا؟ شوربة غزال؟

- اتفقتُ مع جزار ميدان "باتثياني" على أن يحتفظ لي ببعض عظام الغزلان. علينا أن نمر عليه قبل الساعة الرابعة. سأشوي رِيَش خنزير أيضًا، وأحضِّر بعض البطاطس المهروسة مع جوزة الطيب، والبازلاء بالزبدة والبقدونس؛ هذا أقصى ما يمكنني طهوه. يمكن للفتيات

إعداد المزيد من الأطباق.. بعض المخبوزات ربما، لأنني أجهل أيَّ شيء عنها؛ المخبوزات فن رفيع!

- كيف يمكننا طهو كل ذلك هنا؟

- ليس هنا، بل في "آديليجيت"؛ الموقد هناك جيد. قبل كل ذلك، سنشرب قليلًا في بار "سوان". نصعد بعدها إلى بيت "آديليجيت". أين تلك الفتاة الهزيلة؟

كان اجتماع هيئة التحرير الذي يُعقَد أسبوعيًا، مقدَّسًا بالنسبة للشاعر؛ ربما يؤجل أعماله الأخرى ولقاءاته لأيام عديدة قد تمتد لأسابيع. في بعض الأحيان، لم يكن يهتم بالذهاب لمواعيده من الأساس، لكنه لم يتأخر أبدًا عن اجتماعه بهيئة تحرير "بيجيلو" المنسوخة يدويًا. اتسم موعده معهم بالدقة، كما لو كان ساعة "بيج بِن" مثلًا! كان يراجع النُسَخ بعناية تامة، تشمل حتى علامات الترقيم، ويدون ملاحظاته بخط فائق الرقة والنعومة.

منذ نحو ستة أشهر، توجد في "آديليجيت" في تلال "بودا"، مقطورة سفر (كارافان) تابعة لهيئة إصلاح الطرق؛ من نافذتها الضيقة يلتقط موظفو وزارة الداخلية صورًا فوتوغرافية لكل مَن يدخل المنزل الذي تتم فيه مراجعة نُسَخ "بيجيلو". لم يهتم أحد منهم بإخفاء هويته أو مهمته، لدرجة أن زوار المنزل كانوا يمازحونهم بالتلويح لهم بأيديهم بحماس؛ كان هؤلاء الجواسيس أضحوكة الجميع، رغم حرصهم على تكسير جزء من الطريق لتبرير وجودهم في المكان.

- أين سجائري؟

قال الشاعر، وكرر سؤاله عن الفتاة مرة أخرى:

- وأين تلك القردة الصغيرة؟

- "مايا"؟ إنها في المطبخ مع أمي.

- سأذهب وأرتدي ثيابي إذًا.

قال الولد:

- سيتساقط الثلج في الكريسماس، سيكون "كريسماس أبيض" كما يقولون، ألستَ سعيدًا؟

التفت الشاعر إلى الشاب:

- كلا؛ لن يكون هناك ثلج، أنت لا تفهم شيئًا.

قال ذلك واختفى داخل الحجرة الصغيرة؛ تلك الحجرة التي شهد فيها الولد العديد من المشاهد الأسرية، أبرز ما علق بذاكرته منها منظر أمه وهي تضرب أبيه بقبضة يدها في لكمات متتالية، لمقاومته الشديدة لها وهي تحاول تركيب الحقنة الشرجية له، وذلك الماء الدهني وهو ينسكب ويسيل على الفراش، تذكر كيف أسرع بالدخول ركضًا وأمسكَ بأبيه، وكيف راح الأخير يتلوى على الملاءة الرطبة كوحش جريح.

رغم منظره غير المتناسق، إلا إن الشاعر كان يحب التأنّق؛ يفضل ارتداء سترة سوداء، وقميصًا أبيض مكويًا بعناية، وكرافتة رمادية اللون. وسط لعنات خافتة، أخرج من إحدى حقائبه كرافتة رمادية مخططة بالبنفسجي.

بمزيج من الدهشة والإعجاب، راقبتْ السيدة "باباي" الفتاة الشابة وهي تعيد تنظيف وترتيب المطبخ. أحسّت

بانعدام قدرتها على الحركة، فظلت جالسة في هدوء تنصت إلى هسيس القهوة وهي تغلي فوق الموقد. مسحت "مايا" الطاولة البلاستيكية، بحركة واحدة سريعة وصاحت:

- فليأتِ أحدكما لإلقاء القمامة.

قام الولد، الذي كان يوشك على البدء في تدوين أحداث اليوم السابق على الآلة الكاتبة، من مكانه باستسلام. أمسك بصندوق القمامة، وخرج به إلى حادور النفايات المخصص للتخلص من الفضلات المنزلية، أفرغ فيه محتويات الصندوق ثم عاد به للداخل. في حجرة المعيشة، اصطفت أربعة فناجين من القهوة الساخنة فوق المنضدة الصغيرة، وتصاعد منها بخار دافئ. وقف الشاعر في المطبخ ممتدحًا السيدة "باباي" التي ارتفعت ضحكاتها.

حين فرغت الشقة أخيرًا ولم يبقَ فيها غيرها، أقفلت السيدة "باباي" الباب بحرص، وتركت المفتاح في ثقبه. بدأت بتفتيش غرفة ابنها. على الأرض بجوار السرير وأكوام الكتب الكثيرة، عثرت على عدد من "بيجيلو"، أخذته بسرعة وخبأته بين الكتب الموجودة داخل الدولاب ذي الأبواب الزجاجية. أدركتْ بعدها أن ذلك غير مُجدٍ، وأنه لا يزال بالإمكان رؤيته، فأخذت العدد وتوجهت إلى

المخزن الملحق بالمطبخ. بصعوبة بالغة، أزاحت إحدى حقائب السفر الكبيرة من فوق الرف العلوي. تمتلئ الحقيبة بأشياء لا علاقة لها ببعضها: سِرجٌ بَدَويٌّ، عقود وسلاسل ولآلئ، دوارق نحاسية، صور فوتوغرافية، صحف قديمة تضم مقالات كتبها "باباي"، خيوط تطريز، جَمَل خشبي كبير أحضره "باباي" من القاهرة منذ ثلاثين سنة، طبل مكسور مصنوع من الطين. سارعتْ السيدة "باباي" بِدَسِّ العدد داخل الحقيبة، ثم أغلقت قفليها، وأعادتها مكانها وهي تتنهد في تعبٍ وإرهاق. وقفتْ هناك، بين الغبار والأتربة، تصارع من أجل التقاط أنفاسها وقد غمرها شعور بالمرارة. عادت إلى حجرة ابنها. فزعت بشدة حين وقع نظرها على قصاصة ورقية كتبت عليها بخط يدها بالعربية: "الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك".

التفتت نحو الآلة الكاتبة الـ"كونسل"، وجدت بداخلها ورقة تحمل تاريخ اليوم ذاته؛ 20 ديسمبر 1983، وبعض العبارات القليلة، سحبتها من الآلة ووضعتها مقلوبة فوق الطاولة. تعلم أن ابنها سيقابل ذلك بغضب، لكنها لم تهتم. لاحظت ظرفًا مفتوحًا الكتابة عليه بخط لا تعرفه، ترددت قليلًا لكنها لم تستطع المقاومة، مدت يدها بداخله، وأخرجت رسالة مكتوبة بالفرنسية. سقطتْ من الظرف صورة، تناولتها من على الأرض؛ فتى أسمر بشعرٍ مجعَّد، بدا كما لوكان يحدِّق بها. انتفض جسدها في خوف فأعادت الخطاب والصورة مكانهما بسرعة. أزالت بعض الكتب من فوق الرف، ثم أعادت وضعهم بطريقة

معكوسة، حتى لا تظهر كعوب أغلفتهم وعناوينهم، توجهت إلى غرفة الضيوف بعد ذلك.

حين انتهت، جلست فوق الأريكة الخضراء ووضعت التليفون على الطاولة الصغيرة أمامها. ارتدت نظارتها، وبدأت تقلب صفحات مفكرتها الصغيرة، وقد تزايد انزعاجها وتوترها. المفكرة قديمة ومهترئة، وقد سقط غلافها منذ زمن، بعض الصفحات غير ثابتة وتوشك على التمزق. في بادئ الأمر، حرصت على تسجيل أسماء معارفها بها حسب الترتيب الأبجدي لأسمائهم، ثم توقفت عن ذلك، وباتت تكتب الأسماء الجديدة كيفما اتُفِق. بين الحين والآخر، تضع بين الصفحات قصاصات تضم وصفات طعام، وبعض بطاقات العمل. امتلأت الصفحات بعلامات تعجّب، وملاحظات، وأسماء أدوية، وعناوين لم تعد موجودة، وكلمات عِبرية، وبعض العبارات الإنجليزية، وعدد من الأبيات الشِعرية، كُتِبَت بأخطاء إملائية أحيانًا. "الأحمر المُلَطَّخ بالعار يجري في جسدي.. آلاف الإبَر توخز عقلي". لم تهتم بلصق الصفحات المتساقطة في مكانها الصحيح. تأملتْ المفكرة في يأس، ووبخت نفسها على إهمالها. هزت رأسها في ضيق، وتساءلت عن إمكانية العثور على شيء في فوضى هذه الصفحات.

تنهدت من جديد حين رأت الاسم ورقم التليفون اللذين تبحث عنهما، أخذتْ نفسًا عميقًا واتصلت به.

(38) ذكر الرفيق «بيدير» (المسؤول السابق عن السيدة «باباي») أن شقّتها تقع في الحيّ، واقترح أن نطلب منها المساعدة لحلّ مشكلتنا. حلّت المشكلة عن طريق تزويدنا بالعنوان، وكإجابةٍ عن سؤالي، أخبرتنا أن النافذة تطلّ على شارع «زنتاندرييه».

سعدتُ لسماع ذلك، وسألتها إن كانت تطلّ أيضًا على محل البقالة في شارع «زنتاندرييه».

عندها، سألتنا السيدة «باباي»، بدهشة، أليست شقة الطابق الثالث المواجهة للمبنى الذي يسكنونه هي التي نرغب في مراقبتها؟ تجنّبتُ الردّ على سؤالها، بطرقٍ ملتوية، فقالت إن هناك شقة أنيقة، متناسقة الأثاث، لفتت نظرها في ذلك المبنى، منذ انتقالها للحيّ، لأن ستائرها مسدله على الدوام. لم يدخلها أو يقطنها أحد منذ فترة طويلة، وأن صاحبها مسافر للخارج، على الأرجح.

بعدها، سألتها بعض الأسئلة بخصوص مساحة وتقسيمة شقتها، وعادات ساكنيها. جاوبت السيدة «باباي» على أسئلتي كلها، وأضافت أن ابنها «أوندراش» يعيش في الشقة، ولأنه دائمًا بها، فهي لا تعرف متى تصبح الشقة فارغة.

وكحل لهذه المعضلة، اقترحت أن تخبر ابنها بأنها تريد تنظيف الشقة يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٨٣، وهو ما يعني أن ابنها بالتأكيد لن يكون موجودًا في هذا اليوم. وافقت على اقتراحها، لكنني سألتها ما إذا كان برنامج المسرح يحتوي عروضًا يومية، وما إذا كان ابنها يذهب لمشاهدتها.

أجابتني بأنها على حد علمها فإن ابنها لا يكمل أي عرض للنهاية، فهو لا يحضر سوى بداية العرض ثم يعود إلى الشقة. العقبة الأخرة هي أنه دائمًا ما يسمح لمعارفه وأصدقائه بالبقاء في الشقة دون إعلامها بهذا.

في النهاية اتفقنا على أنها ستبلغنا في حالة ترك ابنها الشقة وأن لا أحد آخر بها، فعليها أن تبلغنا بذلك وأن تضمن دخولنا السلس للشقة.

وأن عليها أن تضع في اعتبارها أننا يمكننا أن نعمل بالشقة أثناء تنظيفها لها في الـ 20 من ديسمبر 1983.

أخبرت السيدة "باباي" بعيدًا عن مسمع الآخرين أنه لن يكون لائقًا أن يعرف ابنها أو أي أحد مما يقيمون في الشقة بأمرنا، لأن الأمر حساس للغاية؛ لذلك فاتباع قواعد الحذر والأمان أساسي وجوهري في عملنا.

قالت السيدة "باباي" إنها تتفهم ما أقول، وأكدت أن أبناءها لا يعلمون شيئًا عن طبيعة عملها، وأنهم لن يعلموا عنه شيئًا في المستقبل، لأنهم لديهم معتقدات وطريقة تفكير تختلفان عن والديهما.

في نهاية لقائي بها، تحدثنا عن الحرب الأهلية الفلسطينية واتفقنا على أن السيدة "باباي" ستتصل بنا لتبلغنا ما إن تصبح الشقة خالية.

انتهى لقاؤنا الساعة 11:45، وقد تكلّف مبلغ قدره 122 فورينت.

التقييم: في بداية اللقاء، أصبح واضحًا أن السيدة "باباي" تحب أبناءها كثيرًا، وأنها قد تفعل أي شيء من أجلهم. فهي مدركة تمامًا لأخطائهم الأيديولوجية وأنها تسعى للتخلص منها، ولكن قُوبلت لكل مساعيها بالفشل.

بالعودة إلى ما ذُكر من حقائق بالأعلى، يمكننا أن نتوصل إلى أن السيدة "باباي" لم تكن لتوافق على مساعدتنا لولا القصة التي حبكناها وأقنعناها بها. وفي هذه الحالة، كانت قصة مراقبة الشقة المقابلة لشقتها - وهي شقة جذبت انتباهها أيضًا - لكي نضع أجهزة التنصت في شقتها.

توصية: أوصي بإبلاغ القسم 3/3-5 عن احتمالية الاختراق التكنيكي.

(3)

بعد عشر دقائق، رن جرس الـ"إنتركوم"، كانت السيدة "باباي" مستعدة تمامًا وتقف بجوار الجهاز عند مدخل الشقة. رفعت السماعة على الفور بقوة بالغة، وكأنها مسألة حياة أو موت. حيَّاها صوت ذكوري مهذَّب. هتفت:

- مساء الخير!

واصلت صياحها:

- الطابق السادس، على يمين المصعد.

رد الصوت المهذب بإجابة غير متوقعة:

- نعلم ذلك.

فتحت الباب على اتساعه للرجال الذين يرتدون "أفرول" عمال. يغطي الأول رأسه بـ"بيريه" ويحمل حقيبة أجهزة يدوية، يضع الثاني قبعة "بيسبول"، بينما يحمل الثالث حقيبة سفر سوداء صغيرة الحجم، لم يدخلوا على الفور، بل راحوا يضربون الأرض بأقدامهم بشكل متكرر وصوت مرتفع. ليس هناك ممسحة أرجل أمام الباب، حاولوا التخلص من الثلج العالق بأحذيتهم على المشمَّع المهترئ للأرضية. راح الرجل الأول ذو الـ"بيريه" يركل الجدار الخارجي للشقة المصبوغَ بدهان زيتي أخضر، ليخلص زوجيْ الـ"بُوت" من الثلج المختلط بالطين. قالت لهم:

- تفضلوا بالدخول، ادخلوا من فضلكم، لا يهم؛ سوف أنظف المكان على كل حال.

كررت ذلك بصوت أعلى مما يجب على الأرجح، خشية

أن يلمح الجيران زوارها. عادةً ما يحضر عمال شركة الغاز والسباكون بمفردهم؛ لا يأتون ثلاثة معًا على هذا النحو. نظرتْ إليهم السيدة "باباي" بمزيجٍ من الثقة والارتياب، لم تعرف إن بدت لهم ودودة أم مسيطِرة!

سألها الرجل ذو الشارب، الذي يبدو أنه هو المسؤول عن العملية:

- أي واحدة هي؟

قادتهم السيدة "باباي" إلى الحجرة الوسطى أو غرفة الجلوس، وأشارت من النافذة وتحدثت بنبرات جادة وحازمة:

- الطابق الثاني.

للحظةٍ سريعة، تبادل الرجال نظرات حائرة وقد نسوا الحكاية التي تم تلقينهم إياها ذلك الصباح، للتغطية على الهدف الرئيس من هذه الزيارة. في المكتب، سأل الرجل ذو الشارب الضابط "ميرز":

- أليس بإمكاننا تنفيذ المهمة دون وجودها؟

- دخول البيت دون وجودها مخاطرة كبيرة؛ لا ندري متى سيعود أصحاب الشقة، كما أن وضع المسكن تحت المراقبة الدائمة يعد إضاعة للوقت والمال. السيدة "باباي" مصدر ثقة، والأهم من ذلك هو أنها تجهل السبب الحقيقي لزيارتكم. على كل حال، خذوا معكم كاميرا، التقطوا صورًا لتلك الشقة المزعومة إلى جانب شقة "باباي" بالطبع، حتى نعرف حجرات الأخيرة بالضبط. إن شاهدتم مطبوعات غير قانونية، صوروها

أيضًا. لديكم نصف ساعة فقط؛ انتهوا فيها من تركيب أجهزتكم في الحجرات الثلاث. مراقبة هذه الشقق أمر مزعج للغاية.

أجابه بصوت مُرهَق:

- لا مشكلة.

أمامه ثلاث مهام من النوعية نفسها خلال النهار.

سألته السيدة "باباي" بحماس:

- أتريد القهوة؟

حاولت أن تتصرف بشكل طبيعي، رغم الرجفة التي سَرَت في جسدها؛ أرادت الإبقاء على ملامح وجهها ساكنة ومحايدة. صححت سؤالها على الفور:

- أعني؛ أتريدون القهوة؟

أضافت، تشرح لهم:

- هناك، في الطابق الثاني من ذلك المبنى؛ الشقة ذات الستائر المُسدَلة.

تعجبت قليلًا للحيرة التي علت وجوه الرجال الواقفين في منتصف الحجرة. تشاغل أحدهم بالنظر إلى السجادة المليئة بالألوان، والتي تغطي جدارًا كاملًا من الغرفة الضيقة، تصوِّر السجادة منظرًا يضم نساء يضعن سِلالًا فوق رؤوسهن، وتحمل بعضهن أطفالًا رُضعًا في طريقهن إلى نبع ماء. في السجادة أيضًا، رجال يسندون مناجل ومعاول على أكتافهم، متجهين إلى تكسير حجارة الأرض الموعودة. علَّقت السيدة "باباي":

- إنها "جوبلان"، أمي التي صنعتْها.

أطلق الرجل ذو الـ"بيريه" أصواتًا تنم عن إعجابه الشديد بالعمل، وقد لمعت عيناه بمودة. اقترب من السجادة وبدأ يلمسها بأصابعه، ثم أعلن وقد أمالَ رأسه قليلًا:

- جميلة.

ارتجف جسدها قليلًا، لكنها لم تعرف لماذا! لسببٍ ما، أحسّت بأن قلبها يتفتّت. وضع الرجل ذو الشارب حقيبته على الأرض بجوار المدفأة الرمادية، أخرج منها كاميرا "نيكون"، وبحركاتٍ بطيئة ثبّت داخلها فيلم تصوير. من وراء الستارة الصفراء، بدأ في التقاط بعض الصور للمبنى المقابل عبر الشارع؛ هذا ما بدا أنه يفعله على كل حال.

لم يكن إهدار فيلم تصوير على هذا النحو أمرًا مقبولًا.

أعلن الرجل الثالث فجأة، منتزعًا السيدة "باباي" من شرودها:

- أرغب في بعض القهوة.

سار وراءها إلى المطبخ، تابعها وهي تشعل الموقد، تأمَّل المكان حوله مُعلِّقًا:

- ليس كبيرًا..

قالت السيدة "باباي" بنبراتٍ معتذرة:

- لسوء الحظ، ليس لدينا هنا سوى القهوة سريعة التحضير.

أجابها بتهذيب، وهو يواصل تفحص المكان:

- ممتاز.

- مع حليب؟

- كلا، دون حليب.

أضاف بمرَح:

- ودون قطعة سكر واحدة أيضًا!

تأملت السيدة "باباي" الممرضة المتمرسة وجهه، بدا مُعتَلًّا بعض الشيء؛ بشرته منتفخة قليلًا وتحيط الهالات البنفسجية عينيه، الواقع أنه كان يعمل لورديات طويلة، يمتد بعضها لساعة متأخرة من الليل، لكنه معتاد على ذلك. قالت له، مُحذِّرةً بلُطف:

- تناول القهوة السادة على معدة خاوية أمر سيِّئ.

هز رأسه بنفاد صبر، وبعض التهديد الصامت، أعقب ذلك بابتسامة باردة تجمدت فوق شفتيه. وقفت السيدة "باباي" أمام الموقد لبعض الوقت، ثم جلست فوق مقعد صغير داخل المطبخ. حاولت التنصت على الأصوات الخافتة المُبْهَمة القادمة من الحجرة الأخرى. سرعان ما أطل الرجل ذو الـ"بيريه" بوجهه فوق كتف زميله الواقف أمام مدخل المطبخ، وقال للسيدة "باباي":

- بعد إذنكِ يا رفيقة، هل يمكنني استخدام التليفون؟

أومأتْ برأسها. سألها:

- أين مكانه؟

- داخل حجرة ابني.

- شكرًا. سوف أدفع لكِ ثمن المكالمة.

- كلا، كلا، لا داعي لذلك من فضلك، ليس الأمر كأنك ستتصل بـ"أمريكا" مثلًا!

غلبها الندم الشديد فور مغادرة تلك الكلمة لشفتيها. غلى الماء فوق الموقد. كان كل ما ترغب فيه في تلك اللحظة هو تجاوز الرجل الذي يسد مدخل المطبخ، والعبور إلى باب الشقة؛ لكنها ظلت في مكانها، وقد غاب عن ذهنها للحظة عابرة سببُ وجودها أمام الموقد. قال الرجل مُنَبِّهًا إيَّاها:

- الماء يغلي.

لاحظتْ حينها فقط أنه يعض عود كبريت بأسنانه، وأنه ينقله في فمه من جهة لأخرى. قالت معتذرة:

- قد تكون القهوة ثقيلة جدًا.

ضحك الرجل، ومد يده نحو الفنجان وقال:

- الأهم هو أنها تضر صحّتكِ سيدتي، نعم؛ أهم شيء هو أنها ضارة.

(4)

يقف داخل البانيو بجسدٍ شديد الهُزال، أشبهُ بعنكبوتٍ انقلب على ظهره ويحاول المقاومة واستعادة توازنه. التدفئة لا تعمل، برد ورطوبة، تغطي الحمَّام الكبير رائحة خانقة، يتسلل ضوء ضعيف من نافذة مرتفعة يفشل في تبديد الأسى الذي يُغرِق المكان. في بعض الأحيان، يتملك الغضب "باباي"، فيعمد إلى ضرب جبهة ابنه بجبهته في حنق وقوة، يكتفي الولد بالتحديق به معاتبًا، فيتوقف ويهدأ بعض الشيء؛ يفكر الابن: "أنا كمُرَوِّض حيوانات". أكياس القسطرة مُعَلَّقة على رفوفٍ مجاوِرة، القصريات الخزفية مصفوفة بمحاذاة الحائط، أما تلك المصنوعة من الزجاج فجُمِعَت في أحد الأركان، وقد لطختها رغوة البول التي جفت عليها. وانبعثت منها روائح فضلات مرضى السُكَّري، والمصابين بالشلل، ومَن تعرضوا لبَتر أطرافهم حديثًا.

وقف الأب نصف الميت، أمام ابنه داخل البانيو؛ شعر جسده الكثيف يبدو كديدان تتلوى ببطء بعد أن بلله الماء. صناديق خشبية عميقة تمتلئ بالملاءات والأغطية المتسخة. تستند إلى الحائط مرتبة ممزقة، تغطيها بقع البول والدم، وتجاورها مجموعة عكازات تغطيها طبقات من القذارة. بجانب البانيو، كرسي معدني بذراعين مَلْحُومَيْن تقشَّر طلاؤه الأبيض، وضعوه للنزلاء الذين تستدعي حالتهم "حمَّام مقعدة"، لكنه بدا أقرب لآلة تعذيب من القرون الوسطى.

يفرك الابن جسد الرجل المُسِن بالصابون بعناية؛ يُصَبِّن ظهره وفخذيه وذراعيه وإبطيه وأصابعه وأذنيه، تلك الأذنان المطاطيتان الصغيرتان. هذا الكائن المتملِّص، المرتعش.. هذا الرجل المكسور إلى نصفين ليس سوى والده، جاء من صُلبه، يصعب تخيُّل أنه كان بذرة هذا الشيء. سمع "باباي" صوتًا خافتًا، تلفّتَ حوله مذعورًا، غطى عضوه المختون بيدين مرتجفتين، كان عضوه قد تلاشى وأوشك على الاختفاء بسبب البرودة الشديدة.

فُتِح باب مصدرًا صريرًا مرتفعًا، دخل منه شخص وسار في الممر المؤدي للحمَّام. يضم الممر مجموعة من الكبائن بأبواب نصفية، تسمح برؤية دورات المياه من الداخل. سمِعا صفير الشخص الذي دخل، كان يستعد للتبول، تجشّأ، ثم أغلق جميع أبواب دورات المياه الواحد تلو الآخر. انكمش "باباي" في خوف، وكأنه يتلقى ضربة، فقد توازنه إثر ذلك، تلقفه ابنه في الوقت المناسب. رغم نحوله، كان جسده ثقيلًا. قبل عشر دقائق، كان ابنه يدس له في فمه شرائح من لحم الخنزير رخيصة وشديدة الملوحة، أطعمه إيَّاها من الورقة التي لفَّها بها الجزَّار مباشرةً، دون أن يهتم بوضعها في طبق أولًا. خلال ذلك، تشبث الأب بكتفي ابنه بيدين ضعيفتين، كان يهذي بحماس، لكنه تعمّد التماسك بعض الشيء حرصًا على استبقاء ابنه معه.

ها هو يقف الآن داخل البانيو، دون نظارته التي لا يخلعها إلا نادرًا، تأمل ما حوله بنظرات حائرة، عيناه البنيتان تعكسان خوفًا بالغًا، لا توجد كلمات يمكنها

وصف جسد نهشه الخوف. لأسابيع، ظل محتفظًا بفضلاته داخل جسده، تمدَّد بطنه وصار مشدودًا كالطبل، ومستديرًا ككُرة مطاطية. تمتدُّ آثار خياطة أسفل بطنه كجيب جلدي، في موقع جراحة فتاق قديمة؛ بعدها، عضوه الذكري بلونه الغامق المائل للبنفسجي، وشعيرات رمادية مُزرَقَّة. ارتجف جسد ابنه وهو يفكر: "قد أضطر لإعطائه حقنة شرجية اليوم". تأمَّل بشرة أبيه الرقيقة المتهدِّلة، وركبتيه البيضاوين اللامعتين الشبيهتين بالخزف.

ليس لدى الممرضات الوقت الكافي الذي يسمح لهن بتحميم "باباي". انبعثت منه رائحة سُكَّرية نفاذة، رائحة لحم آخذ في التعفن. البانيو العميق يتوسط الحمام الكبير، شيء ما في هذا البانيو يُذَكِّر بفراش متسخ وغير مُرَتّب في فندق رخيص.

رغم رفضه لفكرة أن يقتحم أحدهم الحمام عليهما دون إنذار، فإن إغلاق الباب الذي يفصل الحمام عن كبائن دورات المياه، لم يكن ممكنًا. حين سمع الصوت القادم من الخارج، التفت نحو مصدره تلقائيًا، فأغرقته المياه المنبعثة من الدُش، أثار ذلك غضبه، فراح يفرك ظهر أبيه بالصابون بعنف؛ كأنه يعاقبه على فِعلٍ لا ذنب له فيه.

"تغوُّطٌ عامٌّ وعلني، كما في معسكرات الاعتقال النازية!"، هكذا فكر الابن قبل قليل وهو يدفع والده باتجاه الحمَّام، حين رأى دورات المياه ذات الأبواب النصفية.

صَبَّ في كفه القليل من الشامبو الأصفر اللامع؛ إنه

"دبليو يو تو" الشامبو الشهير الرائج منذ طفولته، وضعه على رأس أبيه الذي لم يعد فيه سوى خصلات قليلة من الشعر الرمادي - للولد شعر كثيف مجعَّد لم يرغب في فقده، كما حدث لوالده.

دخل شخص آخر دورة المياه، حرك الباب لبعض الوقت ثم جلس أخيرًا على قاعدة التواليت، أطلق بعض الريح متبوعًا بآهات، ترددت أصداء كل ما يفعله بين جدران الحمام. ارتدى الابن قفازًا، ليغسل مؤخرة والده الضامرة. يشعر الأب بالحرج من جسده غير المتناسق، لكنه مضطر للاستسلام لقدره.

قبل أن يخلع ثيابه، ابتسم بوهن وقال مقتبسًا عبارة من قصة "بارتلبي النسَّاخ" التي يحبها:

- أفضِّل ألا أفعل ذلك..

بطبيعة الحال، استسلم في نهاية الأمر، لكنه وفي محاولة أخيرة للمقاومة، رفض فَرد ظهره وأبقاه مقوَّسًا، لم يستطع إيقاف ارتعاش يديه. أخيرًا، أخذ الولد بشكيرًا كبيرًا مما توفره المستشفى لنزلائها، وراح يجفف هذا الطفل الضخم.

لاحقًا، جلسا معًا على مقعد خشبي كبير في الحديقة، متدثران حتى رقبتيهما بملابس ثقيلة. ظهرت شمس ديسمبر. واصلا الجلوس لبعض الوقت، وهما يرتجفان قليلًا، ثم عادا إلى جناح الأب داخل المستشفى.

(5)

صباح اليوم التالي ومن جديد، دقَّ المقدِّم "دورا" باب شقة السيدة "باباي" في مساكن المحاربين القدامى)(39)(، كادت موسيقى "كونشرتو آلتيّ كمان لـ"يوهان سيباستيان باخ" تغطي على صوتها وهي تصيح من الداخل:

- تفضل.

كانت تجلس بجوار الفونوجراف في طرف الحُجرة. حوَّلتها أشعة الشمس المخترقة للنافذة الكبيرة إلى ظِلالٍ داكنة. راحت تهز رأسها برفق مع إيقاع الموسيقى، بدا أنها تخيطُ شيئًا أو تطرِّزه؛ تستند نظارتها على طرف أنفها، واصلت غرز إبرتها في قطعة مخمل زرقاء.

توقع الرفيق "دورا" أن توقف السيدة "باباي" جهاز الأسطوانات عندما تراه، لكن هذا لم يحدث؛ ليس هذه المرة، عوضًا عن ذلك، اكتفت بالابتسام ودعته للجلوس، ثم أخبرته بأن الكونشرتو يوشك على الانتهاء. العازفان هما "يهودي مينوهين" و"ديفيد أويستراخ"، لم تكن لديه أدنى فكرة عنهما؛ اتسمت علاقته بالموسيقى بالغرابة. نظريًا، هو ليس ضدها، لكنه أحد أولئك الأشخاص الذين تصيبهم الموسيقى الكلاسيكية بنوع من الاستفزاز وتُفقِدهم الصبر؛ يراها مضيعةً للوقت وتذكيرًا مزعجًا بعهد مضى، لا يجد فيها جمالًا من أيِّ نوع، بل مجموعة من الأصوات المزعجة المتداخلة التي تشبه نَشر النجارين لأخشابهم؛ هذا كل ما في الأمر، وبطبيعة

الحال احتفظ برأيه لنفسه. جلس على أحد الكراسي وهو يوجه نظرات حادة للسيدة "باباي"؛ بدا أنها تتعمد تجاهله، أزعجه ذلك بشدة. لم يكن قد أتى خاوي اليدين هذه المرة((40))؛ أحضر لها كتابًا اختاره بعد تردد كبيرفي اليوم السابق، قال لنفسه حينها: "لا بأس به؛ سيؤدي الغرض"، كانت هديته لا تزال في حقيبته.

سألها سؤالًا روتينيًا:

- هل كان ابنكِ في المنزل؟

في اللحظة ذاتها، توقف مُشَغِّل الأسطوانات، وارتفع ذراع الجهاز عن الأسطوانة محدثًا صوتًا خافتًا. عقب لحظة صمت خاطفة أجابته بحزم وقوة:

- كلا!

صمتَ المقدِّم بدوره مستجمعًا أفكاره؛ هل لا تزال السيدة "باباي" تحت تأثير الموسيقى؟ هز رأسه وقال:

- ألم تتحدثي إليه بعدها؟

- تحدثتُ إليه بالطبع؛ نتكلمُ يوميًا، ابني نعمة في حياتي. ذهب لزيارة والده في المستشفى، عندها ذهبتُ أنا إلى الشقة. جميلة، أليس كذلك؟

كانت تشير إلى الموسيقى التي انتهت للتو، بدا سؤالها روتينيًا وكأنها اعتادت طرحه.

- كيف حال زوجك؟

- كما هو؛ الحال نفسه على الدوام، يكفيني فقط ألا تسوء أوضاعه.

فكر المُقَدِّم: "إنها لا تكذب، حتى لو كانت تكذب، لا يهم. لقد دخل الرجال الشقة، وسوف نرى ما ينتج عن ذلك".

قالت السيدة "باباي" فجأة:

- الجدال لا يتوقف مع أولادي.

كان المُقَدِّم يستعد للمغادرة، عقب أن أغدق عليها بالمديح والثناء لجهودها المُخلِصة خلال العام الماضي (تركز معظم عملها على كتابة تقارير حول طلبة معهد الصحافة، التي لا يستطيع أن يدعي بأنها لم تكن مثيرة للاهتمام) كما حرصت السيدة "باباي" على تنظيم جولات ثقافية لهم (قامت وزارة الداخلية بدفع ثمن التذاكر المسرحية). ناولها الكتاب الذي أحضره لها حول الأعمال الفنية لـ"جيولا ديركوفيتس"، المستوحاة من ثورة الفلاحين التي أشعلها "جيورجي دوجا".

أعلنت السيدة "باباي":

- أود مواصلة عملي، على الرغم من كل المتاعب التي أواجهها فيه.

تأملت الكتاب وهي تفكر في الشخص الذي ستهديه إيَّاه. أضافت:

- أحب الأفارقة جدًّا؛ إنهم أفضل مِنّا، كما أنهم يفهمونني أكثر من الهنجاريين.

استطردت:

- لم أعد أعمل، مر وقت طويل منذ أن طُلِب مني القيام بترجمة أيِّ شيء، كنت أُكَلَّف بالكثير من أعمال الترجمة

سابقًا.

بدا كلامها نوعًا من اللوم والعتاب، أو ربما طلب عمل، لكن المقدِّم "دورا" اكتفى بإيماءة من رأسه دون أن ينطق كلمة واحدة.

واصلت حديثها:

- قيمة معاشي ومعاش زوجي لا تساوي شيئًا في الحقيقة، خاصة أن أسرتنا كبيرة.

ما لم يعرفه المقدِّم هو أن السيدة "باباي" لا تجيد التعامل مع المال بتاتًا، كثيرًا ما كانت تردد بشيء من الاستعلاء:

- المال خرا!

يسألها ابنها مستفسرًا:

- "خرا"؟

- غائط، فضلات؛ المال ليس إلا غائط!

كانت تحب مزج اللغات المختلفة، كما لو أنها "كوكتيل" غريب. كثيرًا ما ابتسمت بمازوخية وهي تقول:

- ليس لديَّ لغة أصيلة؛ لم أعد أجيد العِبرية، ولم أتمكن من تعلم الهنجارية على النحو الصحيح أبدًا.

لم تكن علاقتها الملتبسة بالمال مبنية على الحكاية الدينية المتعلقة بالعِجل الذهبي، وإنما بالإيصالات التي تضم أرقامًا بالدولار والفورينت نظير عملها، والتي تمكِّنها من زيارة والدها الحبيب في تلك الأرض البعيدة.

ظلت ممزَّقة بين وطنين، وعقلين، وخيانتين، إلى أن

انتهت حياتها فجأة.

فهم المقدِّم "دورا" فورًا ما ترمي إليه السيدة "باباي" بحديثها عن انعدام العمل، وعن ضآلة مبلغ معاشها وزوجها، لكنه تعمد عدم إظهار ذلك. سوف يسجّل ذلك في تقريره، ليس بالإمكان منح السيدة "باباي" مبلغًا شهريًا ثابتًا؛ للحصول على ذلك عليها بذل مجهود أكبر، والأهم من ذلك أن عددًا لا بأس به من المسؤولين عنها يشعرون بالانزعاج من مواقف أبنائها وتصرفاتهم. علق أحد زملاء المُقدِّم مرة قائلًا:

- إن أبناء عائلة "باباي" مصممون على الغرق في مستنقع المعارضة.

أشار أحدهم، عقب بضعة كؤوس من الكونياك متحدثًا عنهم:

- تلك القبيلة من اليهود الشيوعيين!

خلف الأبواب المغلقة، وبين أنفسهم وبعضهم بعضًا، شعر المسؤولون بمُتعةٍ مَرَضيةٍ في توجيه الإهانات للشيوعيين، لكن أحدًا منهم لم يجرؤ على كتابة شيء يوحي بهذه الكراهية.

فكر المقدِّم بامتعاض:

"قبل وقت ليس ببعيد، كان هؤلاء المُدَلَّلون يتبعون "ماو"؛ مجموعة غريبة ومنحرفة، يعاني هؤلاء الأولاد من الفراغ، دفعتْ الدولة مبالغ طائلة من أجل تعليمهم، وانتهى الأمر بأن يطالبوا بنظام "الجامعات الطائرة" أو "Flying Unniversities"، كما في "بولندا"! يريدون

حرية بلا أيِّ قيد.. يودون السفر والبقاء في الخارج. تحاول السيدة "باباي" التغطية على عيوبهم وانعدام إخلاصهم. عليها ألا تأخذ المسألة بشكلٍ شخصي، فقد يقضي ذلك على قيمة ما تقدمه من خدمات للشبكة، وهي قيمة ضئيلة على كل حال".

فهمتْ فورًا ما يدور في رأسه، وكأنها تقرأ أفكاره. كسرت لحظة الصمت التي امتدّت بينهما، بأن كررت:

- الجدال لا يتوقف مع أولادي.

أجابها الرفيق "دورا" ببساطة:

- هذا يحدث في جميع العائلات؛ الشباب ينتقدون الأكبر عُمرًا، هذا ما يفعلونه دومًا. يمكنني قَصُّ حكايات عديدة من هذا النوع عن ابنتي.

ما إن نطق بهذه العبارة، حتى غلبه الندم. تحويل مسار الحديث إلى أموره الشخصية، ممنوع منعًا باتًّا؛ ليس من المسموح أبدًا أن يصبح الضابط المسؤول شخصًا عاديًا في أعين عملائه السريين، كلا؛ عليه أن يلتزم الحياد، حتى وهو يحاول خَلق نوع من الألفة مع عميله، إنها قاعدة ذهبية يجب عدم خرقها.. لم يعد بإمكانه التراجع عما قاله للتو.

قالت السيدة "باباي":

- العجيب أنهم كانوا يلتهمون أعمال "ماركس" و"لينين" التهامًا! لعل هذا في حد ذاته هو الخطأ أصلًا.

لم تلحظ السيدة "باباي" المفارقة فيما قالته. تميزت صياغتها لعباراتها بأسلوب تعليمي وتوجيهي، وهو ما بدا

واضحًا حين استطردت:

- أعني أن ثقافتهم المسرحية تصطدم بممارساتهم السياسية اليومية، وهو ما ينتج عنه عدم قدرتهم على الاندماج مع الأوضاع السياسية الراهنة.

أنصت الرفيق "دورا" لشكاوى السيدة "باباي" المُكَرَّرة وهو يفكر: "إنها النغمة القديمة ذاتها، ألا يكفيها أننا لا نملك علاقات دبلوماسية مع اليهود؟ ما الذي تريده أيضًا؟ هل تريدنا أن نلقي بجميع صهاينة هنجاريا في السجون؟ وماذا بعد ذلك؟ حبس جميع الصحفيين؟".

ذلك الصباح، استيقظ مُتعَبًا على صوت رنين المنبه، وتوجه إلى مكتبه ليستمع مباشرةً إلى تقرير شفوي عن تفاصيل عملية الأمس؛ لم ينم إلا قليلًا، ونتج عن كل ذلك ما يشعر به الآن من نفور تجاه السيدة "باباي".

قال في سره باستهزاء:

- أعمال "ماركس" و"لينين"؟ حقًا؟ ماذا عن "ماو" و"الكتاب الأحمر الصغير"؟ أم لعله أتفه من أن يُذكَر؟

التزم الصمت، ولم ينطق كلمة واحدة. واصلت السيدة "باباي" حديثها:

- لم أتناقش معهم منذ مدة، لأنني لا أستطيع إقناعهم بأيِّ شيء على كل حال؛ المناقشات معهم ثمارها قليلة.

أجابها الرفيق "دورا" مُصَحِّحًا:

- غير مُثمِرة.

- آه.. نعم، غير مُثمرة.

ارتشفت آخر قطرات الشاي بالحليب (والذي يزيد فيه الحليب عن الشاي كثيرًا) من فنجانها بصوتٍ مرتفع. أضافت باستفزازٍ متعَمَّد:

- على فكرة، التقيتُ قبل يومين أحد أصدقاء ابني.. "جيورجي بيتري"، هل سمعتَ عنه أيها الرفيق "دورا"؟

كاد الرفيق "دورا" يسمع جرس الإنذار بأذنيه، فتش في ذهنه عن إجابة مناسبة، لكن الأمر لم يكن سهلًا. واصلت السيدة "باباي" كلامها:

- إنه شاعر ممتاز في رأيي.

قامت من مكانها، وأحضرت مجموعته الشِعرية "سقوط مُقَيَّد"، كانت قد وضعت في منتصفه "بوك مارك" من القماش المُطَرَّز. نظر الرفيق "دورا" للكتاب ببرودٍ شديد، لكنه تحاشى لمسه أو التعليق عليه. قالت:

- أخبرني بأن الطلب الذي تقدَّم به مؤخرًا للحصول على جواز سفر، قد قوبل بالرفض.

فكر "دورا": "ما الذي ترمي إليه بالضبط؟ هل تحاول استفزازي؟".

أضافت السيدة "باباي":

- بطبيعة الحال، حين يرفض النظام تقبُّل النقد، فإن الموهوبين يصبحون عرضة للتطرف.

بدأ الحوار يتحول إلى كابوس مزعج. قال الرفيق "دورا" بطريقةٍ رسمية:

- انظري أيتها الرفيقة، لم نعد في العهد الستاليني، ولسنا في القرون الوسطى. إن القيادة تنصت إلى النقد المنطقي، إن لم يكن مُدَمِّرًا أو مُخَرِّبًا، هذا ليس عهد محاكمة " لاسزلو راچك».

أعلنت السيدة «باباي»، بابتسامة لطيفة:

- لديَّ ديوان آخر له.. «يوم الإثنين الأبدي»، لكنه لم يعجبني؛ اللغة فيه تتسم بالفُحش، ولكن بشكلٍ عام فإنني أحب شِعر «بيتري» جدًا، الحقيقة أن هذا الديوان يضم أبياتًا جميلة.

سألها المُقَدِّم، وقد استبد به التوتر:

- أليس هذا أحد إصدارات المُعارَضة؟

تساءل في سره عن الكيفية التي سيصيغ فيها هذا الحوار في تقريره لاحقًا. قال لنفسه: «هل جُنَّت المرأة؟».

تساءل إن كانت الحجرة تحتوي على جهاز تنصت، وإن كانت السيدة "باباي" - وصَعُب عليه تصوُّر ذلك - تخطط للإيقاع به، ربما تحاول إبلاغه بأنها تفهم جيدًا حقيقة ما قاموا به بالأمس. على كل حال، المسألة بأكملها محكوم عليها بالفشل.

ردًا على سؤاله، قالت:

- لا أعرف المُعارَضة، لا أعرف شيئًا محددًا عنها، لكنني لا أظن أنهم بالضرورة أناس غير شرفاء؛ كل ما يقومون به هو الإشارة للجوانب السلبية التي لا تزال موجودة في مجتمعنا، ربما يجب أن يصغي إليهم أحد من أجل تطبيق الإصلاحات المطلوبة على النحو الصحيح.

قال الرفيق "دورا"، وهو يشعر بأنه على وشك إلقاء محاضرة روتينية:

- في رأيي، إن نشاط المعارضة يتلخص في التنقيب عن الأخطاء والسلبيات، لا بغرض بناء الاشتراكية، وإنما بهدف تشويهها وهدمها؛ وهم يفعلون ذلك بتحريض من جهات أجنبية.

التزمت السيدة "باباي" الصمت. كان الرفيق "دورا" متأكدًا من أنه لمح ابتسامة ساخرة، مرت بسرعة خاطفة فوق شفتيها. لمعت عيناها ببريق مَن توصل لفكرة مزعجة. ما لم يعرفه المُقَدِّم طبعًا، هو أنها كانت تأكل في شبابها سمك الرنجة بالشوكولاتة، وهو ما شكل صدمة لعائلتها، من الصعب معرفة ما إذا((41)) كانت قدفعلت ذلك لأنها أحبت الطعم الناتج عنهما معًا فعلًا، أملأنها كانت تجد صدمة أسرتها مضحكة؟

سكتت السيدة "باباي" قليلًا، ثم قالت:

- أرى الأمر بطريقة مختلفة.

بدت وكأنها تتحدث دون أن تحرك شفتيها. أحس الرفيق "دورا" بأنه ربما كان يعاني من الهلوسة، حتى ولو لم تنطق بتلك الكلمات، بدا أن وجهها يقول ذلك. واصلت التحديق في الرفيق "دورا"، الذي احمرَّ وجهه بشدة((42)).

---

(39) في تمام الساعة الثامنة من صباح 21 ديسمبر 1983 في

مساكن "فيرينك روزا"، عقدتُ اجتماعًا مع العميلة السرية السيدة "باباي".

كان الهدف من هذا الاجتماع هو:

- معرفة الآثار المحتملة لما تم تنفيذه في شقة شارع "كيريك".
- تقييم النشاط التعاوني للسيدة "باباي" خلال عام 1983.

(40)قلتُ للسيدة «باباي» بأننا نشكرها جزيل الشُكر على سماحها لنا باستخدام شقتها القديمة، ما أتاح لنا تنفيذ مهمتنا على أكمل وجه.

عقب ذلك، قيّمتُ نشاطها التعاوني معها خلال ١٩٨٣.

شكرتها على التعاون الذي تقدمه لنا، وأهديتها كتابًا تقديرًا لجهودها.

سعدتْ السيدة «باباي» بالهدية، وأبلغتني شُكرها لبقية الرفاق. أعلنت عن أملها في مواصلة التعاون معنا خلال الأعوام القادمة، لإنجاح مهماتنا. في آخر اللقاء، ناقشنا الحالة الصحية لزوجها.

تكلف اللقاء ٢٢٥ فورينت، وانتهى في التاسعة والنصف.

(41) أنشطتهم خارج البرنامج الرسمي:

- حيواتهم الخاصّة
- معارفهم
- طباعهم الشخصية وعاداتهم

معلومات قد تثير الاشتباه بهم:

- وجهات نظرهم السياسية، شهاداتهم العِلمية، مهاراتهم الاحترافية
- شخصياتهم، سلوكهم، اتزانهم
- حالتهم الصحّية

(42)**التقييم**:

استقبلتني السيدة "باباي" بطريقتها اللطيفة المعتادة. وكالعادة، اشتمل حوارنا على مناقشة الأوضاع السياسية، لكن الجدير بالذكر هو أن السيدة "باباي" حرصت هذه المرة على تحويل دفة الحديث إلى مسألة المعارَضة، وانتهى الأمر بتطرقنا لمناقشة علاقتها بـ"جيورجي بيتري".

تُبدي السيدة "باباي" تعاطفًا شديدًا مع نشاط المعارضة، ولا تجد في أفعالهم أيَّ نوايا سيئة.

استمعتْ إلى توضيحي وشرحي، دون أن تُظهِر أيَّ اعتراض، ولكن بدا جَليًا أنها لم تتقبل وجهة نظري.

ساحر الكتب

تُنهي أنشطتها

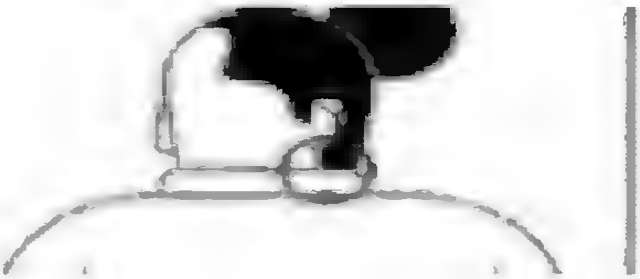

وزارة الداخلية

القسم 3/3-I

عناية الرفيق "ستوكل":

أوافق. حدد الطريقة والهيئة التي يمكننا أن نساعدك بها.

نرجو التزام السرية!((43))

سِرّي للغاية

عناية: الرفيق "دورا"

عناية: الرفيق "كوتشيس"

يبدو أن السيدة "باباي" ستُنهي أنشطتها((44)).

يمكننا سَحب ألف فورينت من حساب "كوتشيس" 10/3، هذا أقل ما يمكننا منحها إيّاه نظير تعاونها معنا بشرف((45))، والخدمات التي قدمتها لنا((46)) عبر عقود من الزمن((47)). يمكننا منحها 2000

فورينت((48)).

يوزيف ستوكل - س 2".

توصية:

أقترح أن نركز في لقائنا القادم بالسيدة "باباي" على علاقتها بالمعارضة.

د. يوزيف دورا - مُقدِّم شرطة".

تقرير

"بودابست" - 1 أكتوبر1985((49))،

في 26 سبتمبر 1985، في تمام الساعة الثانية ظهرًا، عقدتُ اجتماعًا مع العميلة السرية السيدة "باباي" في شقتها الكائنة بمباني "فيرينس روچا".

حددنا الموضوعات التالية لمناقشتها خلال اجتماعنا:

- موضوع ترجمة، بطلب من وزارة الداخلية 1/3-7((50))

- أوضاع السيدة "باباي" وظروفها((51))

عند وصولي، ناولت السيدة "باباي" باقةورود((52)). في بداية حوارنا، قالت السيدة "باباي"بأنها تعاني من سرطان الرئة، وأن هذا سبب تساقطشعرها وانتفاخ وجهها وجسدها((53)).

تتلقى علاجًا دوريًا منتظمًا، ووفقًا لأطبائها فقد نجحوا في منع انتشار السرطان في جسدها)(54)(.

اشتكت السيدة "باباي" من معاناتها من آلام شديدة، وقالت بأن ذلك لم يعد محتمَلًا، وأن زوجها لا يزال في المصحة، لعدم قدرتها على إعادته للبيت والاعتناء به وهي على هذا الحال((55)).

ضمن مشكلاتها أيضًا بالإضافة إلى معاناتها من المرض، هو أن ابنتها التي كانت تعمل في "موسكو" ستعود في نهاية العام وعليها أن تبحث لها عن مسكن يناسبها((56)).

تنوي مقايضة شقة شارع "كيريك" باثنتين أصغر مساحةً منها، لكي تحل مشكلة الإسكان هذه((57)).

حرصتُ بعد ذلك على مناقشة الموضوع الرئيس الذي جئتُ من أجله، ولذلك طلبتُ من السيدة "باباي" إعداد ملخص عن المقالات الموجودة في صفحتين من الجريدة((58)).

وافقتْ السيدة "باباي" على أداء هذه المهمة، وِفقًا لما تسمح به ظروفها الصحية((59)).

اتفقنا على أن يتصل أحدنا بالآخَر تليفونيًا في منتصف أكتوبر.

تكلف اللقاء الذي انتهى في الساعة الخامسة والثلث، مئة فورينت.

التقييم:

تدرك السيدة "باباي" بأنها تعاني من مرض غير قابل للشفاء، ولذلك فإنها تود إنهاء حساباتها مع الدنيا،

وقضاء ما بقي لها من الوقت في العالَم بسلام، وبأقل قدر ممكن من المشكلات((60)).

إنها تعرف بأن حالتها الصحية قد تصبح حرجة في أية لحظة، ولذلك فإنها تنوي المغادرة وسط ظروف مستقرة((61)).

<u>توصية:</u>

أوصي بأن يتم دفع ألف فورينت مقابل الملخص الصحفي والترجمة التي ستقوم بها السيدة "باباي"، على أن يتم ذلك من حساب وزارة الداخلية، قِسم 1/3-7((62)).

د. يوزيف دورا - مقدّم شُرطة".

وزارة الداخلية - سري للغاية

القِسم 1/3-3 - ردًّا على حالة العميلة السرية السيدة "باباي"

مُذَكِّرة:

<u>"بودابست" - 28 ديسمبر 1985</u>

في 27 نوفمبر 1985، تم إدخال السيدة "باباي" المستشفى لسوء حالتها الصحية((63)). توفيت في30 نوفمبر 1985((64)). نرى أن الأفضل لهذه العمليةهو الإبقاء عليها في الأرشيف. تعاونت السيدة "باباي"معنا بداية من عام 1975، وفي سنة 1979 قرر الرفيق "بيدير" ترقيتها إلى رتبة عميل سري.

توصية:

أُوصي بالحفاظ على الملفات والتقارير المتعلقة بها في الأرشيف.

د. يوزيف دورا - مقدّم شرطة".

وزارة الداخلية - سري للغاية

القِسم 1/3-3

ردًّا على مسألة العميلة السرية السيدة "باباي"

بتصريحٍ منّي، أنا الدكتور "كالمان كوتشيس"، عقيد شرطة

رئيس القِسم

بخصوص أرشفة ملفات السيدة "باباي"

توصيات:

"بودابست": 28 ديسمبر 1985

أُوصي بإيداع ملفات تجنيد وسِجِّلات تعاون السيدة "باباي"، التي تحمل رقم ز- 2959 في الأرشيف (وإلغاء جميع الملفات المفتوحة).

الملفات الموجودة لدينا لا تحتوي على أية معلومات عن أفراد ينتمون للمعارضة)(65)(.

- زوجان من الشباشب

- زوج من الأحذية

- 1 روب منزلي

- 1 معطف
- 2 قميص نوم
- أدوات نظافة شخصية
- فِضِّيات
- بطاقة شخصية
- بطاقة مستشفى "كوتفولجيي"
- 1 مُنبِّه
- 1 كوب زجاجي كبير
- 3 كتب ("ألعاب يلعبها الناس"، "ألاعاب يعلبها الناس Games People Play، معنى وأهمية الحكايات الخيالية" The Uses of Enchantment: The Meaning and Importance of Fairy Tales، "توت عنخ آمون Tutankhamun")"
- 3 نظارات
- 2 وسائد صغيرة + 4 ملاءات سرير
- 1 شال صوفي
- 1 إيشارب
- 2 بلوفر
- 1 بنطلون رياضي
- **1 تيشيرت + 5 قطع ملابس داخلية + جورب طويل (كولون) + 2 زوج جوارب عادية**

- 2 فوطة

- 1 طقم أسنان سُفلي

- 1000 فورينت

أَعدَّ القائمة: -----

استلم محتوياتها: "أوندراش فورجاتش"

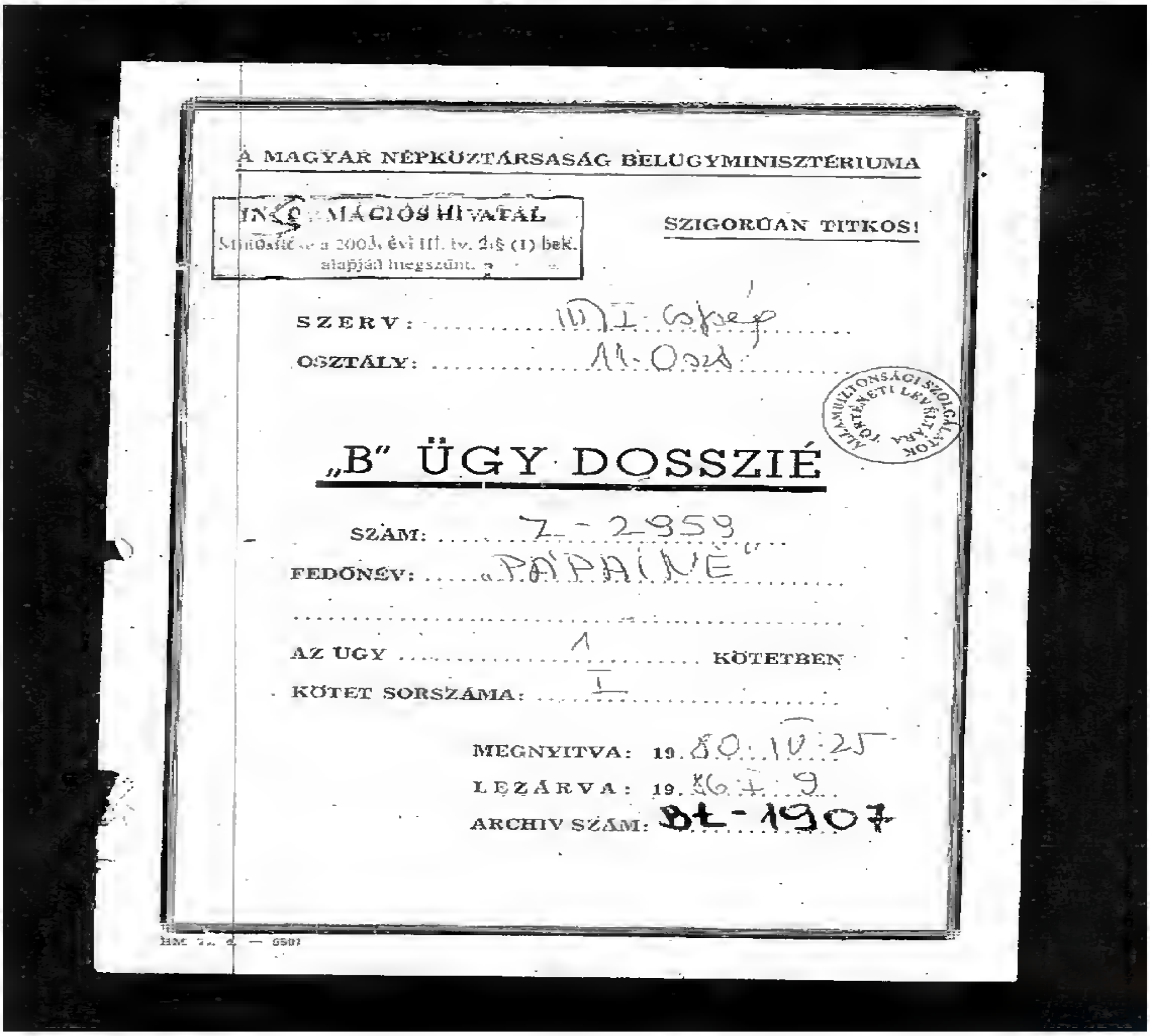
A MAGYAR NÉPKÖZTÁRSASÁG BELÜGYMINISZTÉRIUMA

SZIGORÚAN TITKOS!

SZERV: ....

OSZTÁLY: ....

„B" ÜGY DOSSZIÉ

SZÁM: Z-2959

FEDŐNÉV: „PÁPAINÉ"

AZ ÜGY ....1.... KÖTETBEN

KÖTET SORSZÁMA: I

MEGNYITVA: 19 80. IV. 25

LEZÁRVA: 19 ....

ARCHIV SZÁM: Bt-1907

(43) ما الذي قلته، أيها اللقيط، أيها الفأر؟ «نرجو التزام السرية»؟ وماذا أيضًا تريد أن «تلتزم السرية» فيه مع والدتي؟ ما علاقتك بأمي على أي حال؟ فلتبعد يديك القذرتين عن أمي، وإلا فأنا من سيتعامل معك، أيها اللعين الحقير المتبجح.

(44)ما الذي تُنهيه السيدة «باباي» يا «ستوكل»؟ وماذا تقصد بـ«يبدو أن..»؟ اللعنة عليك!

(45) ما معنى استخدامك لهذه الكلمة؟

(46) "الخدمات" التي قدمتها لكم؟ ما هذا الكلام الفارغ؟

(47) لم يتجاوز الأمر عشر سنوات فقط أيها الغبي! ربما أقل من عشر سنوات أصلًا. دعنا لا نحدد الأرقام الملعونة بدقة!

(48) نكتة سمجة وسخيفة! هل تتعاملون بهذا الرُخص مع أمي العزيزة؟ هل هذا ما تعتقدون أنه كرم؟

(49) هل احتجتَ خمسة أيام كاملة أيها الأحمق كي تكتب هذا؟

(50) منتهى الوقاحة! تطلب من امرأة توشك على الموت أن تؤدي لك عملًا مقابل مبلغ زهيد!

(51) حسنًا.. لا يحق لك بتاتًا أيها الحيوان، أن تتطفل عليها في هذا الموضوع بالذات. وما هذه الطريقة المتحذلقة في الكتابة؟ "أوضاعها وظروفها"؟ حقًا؟ هل تظن نفسك الفيلسوف "فتجنشتاين"؟ الظروف؟ عليك اللعنة!

(52) تعاني أمي من الحساسية المصاحبة لحمى القَش؛ رائحة الورود مُميتة بالنسبة لها، هل ترغب في قتلها؟

(53)أمي! هل سمحتِ لهذا الحقير بدخول غرفتك؟ أمي! كان عليك طرده! قولي له بأنه ابن حرام، منحرف، كريه.

(54) أمي العزيزة، اللطيفة، تدرك أنها تكذب.

(55) اسمعيني يا ماما! فلنناقش المسألة الآن. كم مرة قلتُ لكِ بأن تتركيه في المستشفى؟ كم مرة قلتُ لكِ أن تتركيه في جناح العَزل، وإلا مُتّي أنتِ نفسك بمرضه؟ كم مرة؟ قولي! كم مرة؟ ولا

مرة. لا أستطيع قول ذلك أساسًا، ولو فعلت لكان ذلك دون جدوى؛ أعرف ذلك.

(56) لقد قمتَ بإملاء التقرير على أحد، ولم تكتبه بنفسك، على الأرجح، أيها النَكِرة، ومع ذلك كان بإمكانك إضافة علامات الترقيم.

(57) "مشكلة الإسكان"؟ ما هي هذه المشكلة أصلًا؟ وما الذي تنوين فعله؟ مبادلة الزريبة في تلك العمارة الشعبية بشقتين اثنتين في حجم طابع البريد؟! المسكن الذي تقيمين فيه، حصلتِ عليه فقط بفضل علاقاتك حينئذٍ مع أعضاء الحزب؛ توسلتِ إليهم وسردتِ عليهم ماضيكِ النضالي، مَن الذي تنوين التوسل إليه هذه المرة؟

(58) حتى في ساعاتها الأخيرة تطلبون منها "إعداد ملخص" عن مقالاتكم الصحفية القذرة! ألا يوجد إنسان آخر غيرها في هذه المدينة الملعونة يعرف العِبرية؟

(59) ماما! ما الداعي لذلك؟ من أجل 2000 فورينت؟ اطلبي ذلك مني، وسوف أمنحكِ الألفين فورينت. هاكِ، خذي، المال خراء يا ماما.. خراء!

(60) اذهب للجحيم ولا تعد منه أبدًا؛ أمي لن تسمح لك بالدخول مرة أخرى على كل حال، سوف أمنعها من إدخالك. أمي العزيزة، البلهاء، تلك المرأة الرائعة! من الآن فصاعدًا، لا جدوى من اتصالاتك؛ لن نرفع سماعة التليفون، أؤكد لك ذلك. سوف نمزق التقارير الصغيرة والإيصالات والصُوَر ومواعيد الاجتماعات والتقييمات. من الأفضل أن تهتم ببيتك، فسوف يشهد مشكلات عِدَّة!

(61) لا أعرف شيئًا عن "الظروف المستقرة"، أين وضعتِها؟ فتشتُ عنها دون جدوى، ليست في حقائبكِ، ولا داخل خزانة ملابسك، ولا في الأدراج، ليست موجودة في أيِّ مكان؛ لا شيء سوى تشويش لا نهائي وفوضى يا ماما، لا شيء سوى خواء بارد ومُفزِع يا ماما، فوضى رهيبة، وغبار ومعارك وصراع، وقتال بين

الأخوة والأخوات يا ماما؛ خيانات، لا شيء سوى أكاذيب متتالية يا ماما!

(62) ما الهدف مما تفعلونه؟ جرجرة أمي، تلك الماسة الغالية، في الطين والقذارة؟ لقد تساقط شَعر صاحبة أجمل ابتسامة. يمكنكم سكب السم على زهرتي الجميلة، ما شئتم، لكنكم لن تستطيعوا تلويثها مهما حاولتم يا كلاب! إياكم والاقتراب منها يا حمقى!

(63)أنتم لا تعرفون شيئًا.

(64) السيدة "مارسيل فورجاش"، 30 نوفمبر 1985.

(65) لا أصدق هذا الأمر، لكن القصيدة جاهزة يا أمي.

2

"برووريا" و"مارسيل"

الجلَّاد

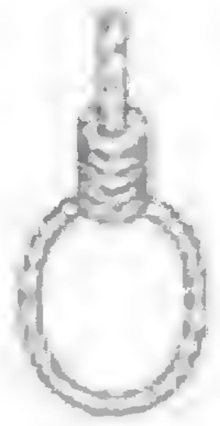

"ناوَلوني حَبلًا
بحثتُ عن شجرة
لم يخبروني أنها دُعابة
وهكذا صرتُ رجلًا مشنوقًا
تهيأتُ لإعدام نفسي
تجسيدًا واقعيًا للعبة "الرجل المشنوق"
مُعَلّقًا من غُصن شديد الخُضرة"

"أفروديت"

"راح يتسكع
داخل السوق المزدحم في "أثينا"
ثم قريبًا من "بافوس"
ضلَّ طريقه.. ابتعد
اختفى الولد الذي تأخرت خطواته
نزل عن المسرح ولَفَّ الطريق
سار تحت الأرض
ربما في "بافوس"
ربما في غير "بافوس"
إنه في "بيرايوس"
هناك في "بيرايوس"
واصل رغبته في التحرر منها
في الانعتاق من جسدها الفاتن
بقسوة
وكأنه لن يبقى بعدها شيء
يستدعي التحدث معها

في الميناء الملطخ بالقار والزيت
حيث تهدهد المياه الرمادية جميع المراكب بحنان
في "ليماسول" ركبا سيارة أجرة
لديهما اثنتا عشرة ساعة قبل الرحيل
المكان الوحيد الذي يستحق المشاهدة في "بيرايوس"
هو معبد الـ"بارثينون".. البعيد.. البعيد
وليس ميناء "بيرايوس" باسمه الجميل
عبر صخب المدينة الكسول القذر
لمح الـ"بارثينون"
فوق تلك القمة خفق قلبه
إنه موجود في الحقيقة ليس في الصُوَر فقط!
أصابته الصاعقة
كما يقولون في الروايات
تسارعت دقات قلبه
كما يقولون في الروايات
رغم أن معبد "بالاس أثينا"
لم يظهر بعد
كانت الأعمدة في بياض الثلج
هناك في "أكروبوليس"
لكن السخام جعلها سوداء
مُهمَلة

خلف الحدود اليوغوسلافية
خلف نقطة تفتيش الجوازات
خلف نقطة الجمارك
الجسد الفاتن
حين بقيا معًا بمفردهما في الشقة
ذات الصُوَر الملونة داخل براويز زجاجية
"جسر إليزابيث".. مبنى البرلمان.. شاطئ "فورد"
على بحيرة "بالاتون"
كانا لا يزالان في بلدهما
رغم عبورهما الحدود
الجسد الفاتن
تخرج الدولارات من جوربها
جورب بُنِّي سميك.. بروليتاري
يتذكر كما لو أن ذلك حدث اليوم
خلعت أمه حذائها بصبرٍ نافد
أنزلت جوربها الأيمن عن ساقها
لحظة غريبة
احمرَّ لها وجهاهما
أمّه بسبب كذبتها
هو بسبب جوربها
رغم أنه يراه يوميًا

كذلك فخذيها اللذين ينتشر عليهما النمش
لم تكن أمه من النوع الخجول
أحيانًا كانت تظهر عاريةً
أمام أولادها . . غير خجلى
من صدرها الكبير أو بشرتها الشاحبة
أو أردافها الجميلة
غير خجلى أمام عائلتها
لا من جمالها الحالي
ولا من آثاره الباقية
ما جعلهما يحمَّران خجلًا
هو المسرحية الكوميدية
التي اضطرت أمه لتمثيلها
المال الذي خبأته من أجل الرحلة المثيرة
ما كان سيوجد
لولا أن أبويه
خبيران في دهاليز المباني الشيوعية وأنظمتها
الصحفي والممرضة
الشيوعيان الجريئان في اجتماعات الحزب
لكن يجب ادِّخار الدولارات وإخفاؤها
عليهما أن يمارسا الغش كالآخرين تمامًا
كان هذا ما دفع والده للجنون لاحقًا

هرَّبَ "مرسيدس" بيضاء عبر الحدود
من أجل كولونيل
من حينها وهو يترقبهم
سيأتون لإلقاء القبض عليه
احمرَّ وجه صاحبة الجسد الفاتن
وهي تخرج الدولارات من جوربها
احمرَّ وجهها وانفجرت في الضحك
ضحكتها.. ضحكة "قوزاقي" فوق ظهر حصانه
يصعد السلم الرخامي في قصر القيصر
ضحكةٌ أقربُ لصهيل
انتصرتْ عليهم.. لديها مال
يحملها على مركب إلى "حيفا" عبر "قبرص"
من "بيرايوس"
إلى أرض الأجداد
من حيث منفاها المختار
يطل أحدهم عليها من الممر
أخذ السائق عشرين دولارًا في ميناء "ليماسول"
الثرثار المهلهل بشاربه الكَثِّ
الذي لا يعرف أكثر من خمسة وعشرين كلمة بالإنجليزية
لمثل هذه الأمور خبَّأت الدولارات في جَوْرَبَيْها
من أجل جولة في الجزيرة

التي قسمها الخط الأخضر
لنصفين
صار الأتراك يونانيين واليونانيون أتراكًا
خمس مرات في هذا الجنون
عشرون دولارًا للأم والابن
لمشاهدة مكان ميلاد "أفروديت"
حتى "ريتشارد قلب الأسد"
مر من هناك بعد وقت طويل
حيث أصابه سهم في كتفه
انتزعه جراح مهمِل أقرب للجزَّار
من داخله
تحول الجرح إلى غرغرينا
حدث كل ذلك داخل قلعة "شالو-شابرول"
لكنه عفا عن الصبي صاحب السهم
الذي كان يثأر لأبيه وأخويه
بين أحضان أمه
أسلم "ريتشارد" الروح
أن تتجاهلها بقسوة
هكذا فعل الولد مع أمه في السوق
حيث طاف نادل شاب بشوش الوجه
ببدلة خضراء وقميص غير مزرر

بفناجين قهوة فوق صينية من البرونز
بخطوات راقصة بين السيارات
بابتسامة عريضة
الأم والابن ينصتان للسائق
يشير هنا ويلوِّح بذراعه هناك
يشرح لهما معالم "بافوس"
و"أفروديت" التي ظهرت من بين أمواج
الشاطئ الصخري البعيد
الذي صار يعج بالسياح
بين أضواء شهر فبراير
يُرسِل "زيفيروس" رياحه الغربية
وتشعر الأم بتوتر وانقباض
الابن يصمم على المُضيِّ في صمته العنيد
يتدثر به داخل الكنيسة المشيدة تحت الأرض
التي تتخللها جذور شجرة "البطم الفلسطيني"
اليهودية العجوز
"آيا سولوموني"
التي تحولت للمسيحية لاحقًا
بَنَت كنيستها حول هذه الشجرة
بعد أن قتل مرتزقة "قلب الأسد"
أبناءَها السبعة

والآن.. يعقد المؤمنون بالخرافات
مناديلهم حول الشجرة
يهبط الولد بمفرده
إلى الكنيسة في القبو
صاحبة الجسد الفاتن غير معنية
بأيقونات القدِّيسين والقناديل
بعد صمت طويل مطَّت شفتيها بانزعاج
أعلنت أخيرًا "أنا مُلحِدة"
صمتُ ابنها سهمٌ اخترق صدرها
هناك.. في عتمة الغروب
بعد السلالم عميقة الدَرَجات
بقي الولد وحيدًا مع الأيقونات
ومذبح عتيق يلفُّه الظلام
بين الجدران المتكلسة بالملح
حيث يتناهى لسمعه خرير جدول قريب
ظلَّ متسمرًا أمام صورة قديس غير معروف
مات ميتة الشهداء
صورة قصَّتها يد تفتقر المهارة
من جريدةٍ ما
ثَنَت الرطوبة أطرافها
المقص لا يزال فوق المنضدة

بجانب رغيف خبز مقسوم لنصفين
تجري قطة بجوار قدميه
الربّ
ظلام صامت وضوء قاتم
لا يزال واقفًا هناك منذ تلك اللحظة
في ذلك الصمت العنيد
الذي أعقب عزلتهما المشتركة
أنفاس "زيفيرُس" الرطبة تقذف بها
فوق أمواج البحر بتأوهاته الصاخبة
وداخل الزَبَد الليِّن
وتحملها إلى جزيرة "قبرص"

مارسيل"

لا تُغَنِّ يا بابا سوف يظنون أنك أبله
هكذا قلتُ له في "فينتشلي رود"
فغضب لدرجة أنه تركني وحيدًا
في الطريق وأنا أصغر من الثامنة
حتى تلك اللحظة كان يمسك بيدي
قبلها بقليل كنا قريبين من بعضنا بشدة
عَبَرنا غمام روائح السمك المقلي والبطاطس
كطائرة روسية تخترق السحاب
وقَصَّ عليّ حكاية العاهرة السَكَندرية
أكثر من مرة
قام المراسل الصحفي
بقصِّ تفاصيل علاقاته النسائية الحميمة
أمام ابنه

امرأة أبنوسية

عاهرة بابلية بأسنان مرجانية

دُرَّةُ الماخور.. كجوهرة "كوهي نور"

يصطف الرجال من أجلها في طوابير

حين جاء دوره

هكذا أخبرني بابا باستمتاع

تمدَّد فوق الفراش المتراخي ذي الهيكل الحديدي

وتابعها بعينيه وهي تخلع ثيابها

انسابت حكاياته عَبْر صخب الشارع

تمامًا كـ"جوستاف فلوبير" في مصر

حين أمضى أسابيع محاولًا فهم شعور النساء

اللاتي ضاجعهن

في ماخورٍ على ضفاف النيل

وقفت تلك الإلهة بجوار الفراش

فهدٌ نوبيٌّ بجَسَدٍ مَرِن

خلعت ثوبها الشفاف

تراقصتْ حلقتان برونزيتان تتدليان من أذنيها

خلعت كل شيء وصارت عارية تمامًا

لا عُريَّ أكثر من ذلك

قال بابا شارحًا

بصوته المُستثار

بفِعل الذكريات المُنحرفة
بأنها كانت حليقة الجسد
لا شعرة واحدة في ذلك الجسد الأسود
الأكثر حلكة من ليلة دامسة الظلام
بشرةٌ كأرضٍ لامعةٍ برّاقة
ليس فيها عشبٍ واحد
تلمحه العين فتستريح
شقٌّ أسودُ صغير
يخبِّئ فَرْجًا ورديًّا
كزهرة أوركيد ساعة الغروب
كان هناك رجل في "ليفربول"
لديه دائرة حمراء حول عضوه
ذهب إلى العيادة
قال له الطبيب الساخر
اغسله.. هذا مجرد أحمر شفاه
أيها الأبله
لم يفعل
ما يتطلبه شرف رجل
عسكري بريطاني مَرّ بالكثير
منذ لحظة استيقاظه يوميًا
هذا ما قاله بابا في "فينتشلي رود"

وهو يطأ الأرض ذات الروائح الأجنبية
في منتصف رحلة حياته
تلك الظهيرة الخريفية في "لندن"
بعد إحدى وعشرين سنة من إغماءته السخيفة
كنتُ قد تجاوزتُ الثامنة
مُهَرِّج "الروَّاد الصغار" لأطفال السفارة
في قاعة "بول روبيسون"
سُميت على اسم المغني الأسود
المنفي في "لندن" حينها
بدأ بابا حكايته قبل عمارتين
من أمام محلات "ماركس آند سبنسر"
حيث تأملنا الألعاب والدمى في الواجهة
لكنه تركني هناك وهو يَكَزُّ على أسنانه
لأنني تجرأتُ وقلتُ له كما ذكرت
لا تُغَنِّ يا بابا سوف يظنون أنك أبله
كيف لي أن أعلم بأن بابا كان جاسوسًا
كان بابا جاسوسًا فظيعًا
و"باباي" كان اسم بابا((66))
ربما لهذا السبب تحديدًا لجأ للغناء
بصوتٍ مرتفعٍ في وسط "فينتشلي رود"
تلك الظهيرة بين المُشاة

ربما كان يدندن بموسيقى مارش إنجليزي
ربما نسي ببساطة أنني معه
لكن فتورًا مفاجئًا قضى على رغبته
داخل ذلك الماخور في الإسكندرية
ملأه الرعب لا الإثارة
حين رأى
ذلك القدر الفظيع من العُري
تفاجأ هو والمرأة أيضًا
التي راحت تلعق طرف فمها
بهدوء فهد نوبي برِّي
يوشك على الهجوم
ثم زرَّر ثيابه العسكرية بإحكام
وفوق رأسه أمالَ قبعته
ذات شعار الإمبراطورية البريطانية
والتاج الإنجليزي فوق
سلاح "مونتجمري" ((67))
ومضى في الطريق وهو يصفِّر
بابا، الجنديُّ الصالح
دفع دون جدال أو تردد
في الإسكندرية ناصعة البياض كالثلج
حين يتكلم ينصت الجميع

لهذا الشخص المرِح ذي الجسد الممتلئ

حين يتكلم يضحك الناس

كان يجمع النكت في مُفَكِّرة((68))

وفيها أيضًا يكتب معلومات أخرى

مثل التصنيع في العراق

أو شيئًا عن العقيد القذافي

الذي استقبله داخل خيمة

كان يكتب بسرعة ويقرأ بسرعة

ويطبعُ بإصبعين اثنين

طباعة باللمس

لم أكن أعرف أن بابا جاسوس

ولا لماذا

لم يصارحني بأي ذكرى

عن أيامه في الإسكندرية((69))

سوى عن محاربة الألمان

الذين لم يكونوا هناك كما هو معروف

وحكاية تحوُّله إلى ساعي بريد عاشق

يسلِّم خطابات أمي

إلى غريمه الأساسي.. الأساسي..

في طرقات الإسكندرية المحترقة بأشعة الشمس

مدينة "كفافيس"

أمواجٌ كالزَبَد في الميناء
يتبادل الرجلان كلمات معدودة
يقول بعض النكات البذيئة ويلوِّح مودعًا
اقتباس من "ستالين" لن يُفهَم بشكلٍ خاطئ
مَن يدري؟
"كفافيس" ميت
يتبادلان نظرات حادة
أتخيَّل المنظر أحيانًا
فتاةٌ تميل صارخةً بمتعة من سيارة "جيب"
وتُفاجأ بشدة حين يتم اغتصابها بعدها بقليل
كان "توم" شيوعيًا وجنديًا وإنجليزيًا وأشقر الشَعر
ومجنونًا بعض الشيء
وحب حياة أمي
حتى وفاتها
"سيزيف" يحمل صخرته
حتى وهو داخل مركب المهاجرين
الولد الوسيم ذو الشعر الخفيف
طالب كلية الحقوق
في بوخارست
عام ألف وتسعمائة وثمانية وثلاثين
إن لم أكن مخطئًا فإنه لم يكمل

فصلًا دراسيًا كاملًا
لا دبلوم ولا أيَّ شهادة
لم ينجح في استكمال شيء
لم أكن أعرف أن بابا جاسوس
وأنه كان فاشلًا في ذلك
لم يستكمل دراسته لاحقًا في القدس
لم يواصل دراسة الكيمياء
اخترع أصباغًا فوسفورية زائفة
وبذلك ألغى دراسته تمامًا
حوَّل ليله نهارًا
عمل بسرية بالغة
يمزج الفوسفور بمواد مجهولة
داخل جامعته التي لم تكن قد اشتهرت
واظب على الاختراع
لا من أجل الحزب
بل من أجل أن تضيء عبارات
"يسقط.." و"الموت لـ.."
فوق الجدران العتيقة للمدينة الخالدة
فقط لو أن تلك الأصباغ كانت مضيئةً فعلًا!
من العجيب أن أنبوبة الاختبار لم تنفجر
في يدك

يا بابا.. يا بابا
ألقوا القبض عليه مرة
وهو يوزع منشورات محرِّضة
لكن تلك قصة أخرى
مرت بجواره سيارة "جيب"
من الجيش الإنجليزي
أمسكوا به من معطفه
لكنه خلعه وانسلَّ هاربًا
واختفى وهو يلهث
لم يُكمِل شيئًا للنهاية
بابا العزيز
شهدت الصالونات الأدبية العديدة في "بوخارست"
زيارة الشاب صاحب العصا الأنيقة
ودبوس الكرافتة المرصع بالماس
"يفجيني" الشاب ذهب لمشاهدة مسرحية
لكنه غادر عقب رفع الستار
في الصالون تحدثت اليهوديات ذوات الشعر الأزرق والأحمر
عن الحرس الحديدي و"مايكل أنجلو"
بحماس
قُلن "طبعًا" بالألمانية وردَّدن "بالتأكيد" بالفرنسية

أخذه الرومانيون مباشرةً إلى المعسكر
في مكانٍ آخر من العالَم اندلعت الحرب
لا حَزم في أنظمة المعسكر المتراخية
المكان أشبه بمأوىً للرهائن
مقر تدريب وإعداد للعساكر
يمكن رشوة حُراسه بسهولة
المتسكع البوهيمي.. الفاسق.. الـ"دون خوان" الصغير
الذي تعشقه عاملات محل تنظيف الملابس
في شارع أ.
يدغدغهن بلسانه المُدَرَّب
إلى أن ينفجرن في الضحك بوجوهٍ مُحْمَرَّة
يعزف أمي بأصابعه كأنها آلة
يعزف جسدها لا روحها
الراعي المُخلِص لبيوت الدعارة
العازف المبدع على تلك الآلة
التي يمتطيها ليلًا دون صوت
قد يصدر صريرٌ عن الأرضية مرة أو اثنتين
قد يئن الفراش القديم تحتهما بين الحين والآخر
كنا في نفس الحجرة مع أبوينا
ننامُ على سريرين يمكن طيُّهما
أختي الصغيرة وأنا

سمحت له صاحبة الماخور مرة
في "ساتو ماري"
قبل امتحاناته النهائية
بالدخول
أمام بوابات مدرسة "إيمينسكو" الثانوية
وعقب امتحانات أداها بشكلٍ سيئ
رسب بابا المسكين في الرياضيات
على مشهد من عشرات أولياء الأمور
كسرت جدتي العصبية مظلتها
فوق رأسه
مزيحةً قبعة المدرسة المطرزة بالفضي
ضربته بقوة بينما راح ابنها يقهقه
إلى أن تدحرجت القبعة في الطين
كانا لا يزالان ينامان متجاوريْن حينها
تستغرق جَدَّتي في قراءة "الجبل السحري"
أو تحل الكلمات المتقاطعة
كم حرفًا يا ترى في "مدموزيل مارسيل"
تستلطفه صاحبة الماخور في "ساتو مار"
تشير له إلى ثقبٍ صغيرٍ في الجدار
تزيح عنه لوحة خليعة تغطيه
تتيح له رؤية ما يفعله السيد "مونتينو"

نائب رئيس البنك التجاري

مع "ليزا".. زنبقة المُروج

شقيقة زميلهم في المدرسة

أخبرني ذلك قبل وقتٍ قصير

من تركه لي في "فينتشلي رود"

لا تغنِّ يا بابا سوف يظنون أنك أبله

التَوَت قسماته من الغيظ

في مثل هذه الأوقات يفقد أعصابه تمامًا

تتلاشى الدنيا بأكملها من حوله

في ميناء "كونستانزا"

لا بل قبل ذلك..

في المحطة الشمالية لـ"بوخارست"

أو "جارا دي نورد"

أركبته أمه قطارًا

ظلت واقفةً في "جارا دي نورد"

تلوِّح بمنديلها لوقتٍ طويل((70))

قبلها.. وزعت هِباتها على الحَرَس

وأصدرت له جواز سفر مزيَّف

جدَّتي العزيزة.. باهرةُ الذكاء

اطمأنت على تهريب بابا من الأخطار

المُريعة

لعل هذا تحديدًا هو

أساس كل المشكلات

ذلك الهروب المدهش

حدث ذلك ثانيةً بشكلٍ عكسي

"سيزيف" الماكر يفر مرتين

حتى من المكان الذي لجأ إليه

تاركًا وراءه آخر أوطانه

مستبدلًا به وطنا ثالث

بدأ من جديد إلى أن عثر على بدايةٍ جديدةٍ تمامًا

هرب من المصاعب مرتين لكنه لم يُنهِ شيئًا أبدًا

يجب أن يتم استبدالك حين تغرق

حلَّت السيدة "باباي" مكان "باباي" ((71))

حلَّت الأميرة "أيلسيستيس" مكان الإله "هاديس"

التُقِطَت الصورة في ميناء "كونستانزا"

وقف هناك بسترته الجلدية الجديدة

مستعدًا للمغامرة

التقطها له مصوِّر جوَّال

بحركاتٍ خفيفة وسريعة

بعد أن ضبط "التعريض"

لن يؤذوا النساء

قالت جدتي في "جارا دي نورد"

كلا .. ليس السيدات((72))

لا تُغَنِّ يا بابا سوف يظنون أنك أبله
قلتُ له في "فينتشلي رود"
في الميناء أدخل المصور يديه
في صندوقٍ خشبي
غرفة مظلمة متنقلة
في ضوء الشمس حدثت المعجزة
في لمح البصر ودون أن ينظر
وبحركات سريعة
أبرز الصورة الفوتوغرافية
بابتسامةٍ رقيقةٍ وغامضة
يحمل فرجارًا غاليًا وكاميرا
أيُّ شيءٍ قد يجلب مالًا
ركب بابا باخرة في "كونستانزا"
بأظافرها البنفسجية مدَّ جدي يده
الشاحبة ووضعها فوق رأس ابنه الموشك على اليُتم
بارك الصغير وهو يحتضر
قفز جدِّي في نهر "سومش" شديد البرودة
تجنبًا للالتحاق بالجيش
ودخَّن مئتيْ سيجارة مرة واحدة
ومات بعدها بعشر سنوات

تشوَّق بابا ليقصَّ عليَّ الحكاية
كان "شهرزاد" أحيانًا
السيد الشاب المُدلَّل
المتقافز فوق صعوبات الحياة بيُسر
في الغرفة المعتمة رجال بملابس حداد
فوق الحائط لوحة زيتية لنول نسيج
في "وُوتش" يعود لجد جده
بجوار الأعمدة بقالةٌ صغيرة
"فريدمان وشُركاه"
"شُركاه" هم من سرقوهم
تلك اليد الثقيلة فوق رأس بابا الصغير
تلك البالونة اللعبة التي تزن طنًا كاملًا
الفطائر التي توزعها "مارجيت"
على الشحاذين المتسكعين بجوار بوابة المقبرة
كي تُقبَل صلاة الحِداد
مباركة والده له
حملها معه أينما ذهب
لكنها لم تستطع حمايته
لم تحمهِ من شيءٍ أبدًا

(66)() 19 يونيو 1975

سوف أتخلص من مخاوفي وإحساسي بالاضطهاد، بدءًا من منتصف ليلة 20 يونيو 1975، إن لم تقم اللجنة بالتفتيش ورائي. لن أكترث من الآن فصاعدًا بأشباح الماضي، وسوف أبني معرفتي على أسُسٍ موضوعية عن طريق "برووريا" ومقترحاتها. أستيقظ في الصباح شاعرًا بالهدوء والبهجة، وأنجز مسؤولياتي اليومية بالهدوء ذاته، دون أن أسمح لخيالاتي وللأشباح الشريرة بالانتصار عليّ. أتقبل النتائج التي أتوصل إليها في المعمل، دون جدل أو تشكك. لن أضطهد نفسي بعد الآن. من أجل إنقاذ نفسي، سوف أكشف عن ماضيَّ، وعن كل ما قمت به في إطار قناعاتي الشيوعية.

الإمضاء: مارسيل فورجاش

لم أغشّ ولم أسرق

19 يونيو 1975 ـ مارسيل فورجاش

(67)لا أدري ما الذي جعلهم يلجأون لإعادة تقييم نشاطي السابق، وإصرارهم على «فضح تعاوني مع كتائب الجنرال «مونتجمري»، في حين أنني أوضحتُ في جميع وثائقي بأنني التحقت بالجيش الإنجليزي بناءً على توجيهات الحِزب الشيوعي الفلسطيني. كنتُ جنديًا في أول التحاقي به، ثم أصبحت رسّام خرائط في قيادة الشرق الأوسط (أدنى رتبة في مخزنٍ للخرائط، لأنني كنتُ ممنوعًا من الترقيات لكوني شيوعيًا) ولم يكن «مونتجمري» هناك أصلًا في ذلك الوقت (١٩٤٤ - ١٩٤٦). أطالب بأن تقوم منظمة الحِزب بالتحقيق في المسألة، ومعرفة مَن الذي يرغب في تشويه سُمعتي والإساءة إليّ.

(68)() لماذا يأكل اليهود لحم الخنزير من الورقة التي كان ملفوفًا بها مباشرةً؟ حتى لا يلوثوا طَبَقًا بطعامٍ مُحَرَّم.

(69) وِفقًا لزوجي "مارسيل فورجاش"، داخل جناحه بمستشفى الأمراض النفسية في شارع "فولجي"، فقد أصيب بمرض الزهري، الذي انتقل إليه عبر وسادة شخص مصاب. انتقلت إليه العدوى في أواخر فبراير 1975، على وجه التقريب. زعم زوجي بأن لجنة خاصة

قررت إصابته بالزهري، للقضاء عليه (لم يستطع إثبات ذلك حتى 12 ديسمبر 1975). أمرت الـ"لجنة" هيئة التمريض بمستشفى شارع "فولجي"، بحقن زوجي بهذا المرض من خلال إبَر طبية، وذلك لإجباره على الاعتراف بعلاقات نسائية متعددة ، وإثبات الجرائم التي ارتكبها...

وعدني زوجي "مارسيل فورجاش"، بأنه إذا كانت نتيجة تحليل "فاسرمان" الخاصة بمرض الزهري سلبية، فسوف يفعل كل ما بوسعه لإنهاء عملية الـ"لجنة"، التي يذكرها دومًا لتبرير مخاوفه. سوف يعمل جاهدًا على أن يكون أكثر اتصالًا بالواقع، معتمدًا على نفسه.

السيدة حرم "مارسيل فورجاش"

12 يوليو 1975

"ألزِم نفسي بإبادة اللجنة، لأنها غير موجودة في الواقع، وإنما في عقلي فقط، وذلك في حال كون نتيجة تحليل "فاسرمان" سلبية".

"مارسيل فورجاش"

(70)منذ أن طار جسدها بعيدًا كخيط دخان

تدثرت المروجُ الألمانية بالرمادي الداكن

(71) تمَّ تجنيدها عقب انتكاس الحالة الصحية والنفسية لزوجها؛ مجرد بديل له.

(72) "منذ أن طار جسدها بعيدًا كخيط دخان

تدثرت المروج الألمانية بالرمادي الداكن"

"بروريا"

حدث ذلك في منتصف رحلتها وهي لا تزال في "أثينا"
كان أمامها يومان لتُبحر في السفينة
قررتْ التجول سَيرًا حتى "بارثينون"
حين اقتربتْ من المعبد المقدس
وتحسستْ خطواتها الحطام والأنقاض
لاحظتْ شخصًا يصورها هي دون غيرها
يمكنني وصفُ ذلك بالتفصيل
ضحىً باردٌ بعض الشيء
ليس في برودة "بودابست" لكنه شتاء "أثينا"
"بورياس" ينفخ رياحه الشمالية دون رحمة
"كايكياس" و"نوتوس" ينفثان في الوجوه
تتقاذفكِ ضرباتهم المتكررة والمتواصلة
يُدخِلونكِ في دوَّاماتٍ فوق تلك التلال
تصفعكِ الريح وتكاد تمزق ثيابك
قد تخطفكِ في أية لحظة وتطير بكِ بعيدًا

تتجنبها الطيور ولا تقترب
شمسُ الإله "هيليوس" تسطع بقوة
رأسكِ يغلي من الغضب والغيظ
الرجل المجهول لا يكتفي بالتقاط صورة واحدة
بل عشرات الصور لأمي
فيها ستلاحظ تعبيرات وجه ماما الحادة
وهي تقترب من المصوِّر
كإعصارٍ كاسِح
تهبط السلالم الرخامية
كالآلهة "أثينا" في سهول "طروادة"
وجهها بالغ الصرامة
عيناها جمراتٌ مشتعلة
كشخصٍ ضُبِطَ متلبِّسًا
آه لِمَ لمْ أركِ على هذه الهيئة ثانيةً
أيتها الآلهة غير الرحيمة؟
كنتِ كـ"أغوئي" حين تجسسوا عليها
وقتلتْ ابنها "بنثيوس" في فورة غضب
أو كـ"ميديا" التي أطلقت ضحكة انتصار
وهي تقطع أبناءها لأشلاء
كانت ماما تخضع لأوامر صارمة
بألا تسمح بحدوث شيءٍ مماثِل((73))

حددت الأوامر سلوكها
عليها الإبلاغ عن أيِّ تصرف مُريب
لكنها حينئذٍ قصت حكايتها بشكلٍ مخالف
الكثير من الصمت وأنصاف الحقائق
ماما العزيزة لم تحكِ هذه الحكاية كما حدثت
حتى لو لم تكن "ماتا هاري"
رغم أن المقارنة ملائمة تمامًا
كما أن "ماتا هاري" لم تنجب أبدًا
بل ولم تكن جاسوسة أصلًا
خطأٌ مُربِكٌ مثل هذا قد يحدث في أية لحظة
لم تكن سوى تِرس صغير داخل عجلة
وهكذا اندفعت أمي بغضبٍ عارم
نحو عميل المخابرات الأمريكية (أو الروسية أو الإسرائيلية أو البريطانية)
مثل "هيرا" زوجة "جوبيتر"
أو "آرتيميس" ممتطيةً حصانها الجامح
وجهها متجهم وحقيبتها تتأرجح على ذراعها
كمحاربة أماوزنية تحمل جعبة سِهامها
كلنا يعلم أنه لم يبقَ من "أكتايون" سوى أشلاء
لكن الصراع هذه المرة انتهى على نحوٍ أفضل
لاحقًا أبدينا دهشتنا من الصُوَر

ومن الملامح المتحجرة للعميل السِرِّي العنيد
كلَّفتها المسألة نحو عشرين دولارًا
لم يتبقَ معها الكثير
من النقود التي منحها إياها الرفاق
كي تلمح المؤامرة الصهيونية
وترسِّخ الاشتراكية
لم تكن بطلة ولم تكن بعيدة
كانت تتأرجح بين وطنين
وبين عقلين وبين خيانتين
"شميتز.. شميتز.. الصغير شميتز
لن تصل حتى إلى أوشفيتز"
حين ظهرتْ الكتابة على الجدران
حين خرج البلد بأكمله إلى الشوارع
وحده ذلك الصوت ظل يرن في أذنيها
عندما هبطتْ من الترام ووطأتْ الرصيف القديم
وقابلتها تلك الكتابة وجهًا لوجه
الحقيقة الهادئة المتماسكة
وقت الغروب قرر أولئك الشُبان البغيضون
شنق بابا على عمود إنارة
لتفوهه بأمورٍ سخيفة في الشارع
لولا أختي الصغيرة التي كان يحملها على ذراعه

بخصلات شعرها الحمراء
ونظراتها الحائرة وأنفها الدقيق الجذاب
أن ترحل ليقينك بانتهاء الحُكم
كما في سِفر "دانيال"
أن تنهض وتسارع بالفرار
أن تهرب إلى أيِّ مكان
تلك حتمًا نهاية منطقية
حاسَّةٌ سابعةٌ خاصة
لدى كل واحد منهما
الممرضة والصحفي
"باباي" والسيدة "باباي"
"فورجاتش" والسيدة "فورجاتش"
"مارسيل" و"بروريا"
تجعلهما يتخذان دومًا قرارات خاطئة
كل قرارًا خاطئًا
الحاجة لاتخاذ قرار أمرٌ سيئ أصلًا
هناك ظروف يستحيل معها
الوصول لقرار جيد
كما هو الوضع وأنا أكتب هذا
كما هي طريقة كتابتي لهذا
الزواج أو عدم الزواج

سوف تندم في الحالتين

أن تذهب أو تبقى

سوف تندم في الحالتين

أن تقاوم كل الجدل المنطقي

أن تبصق على كل كلمة تحذير

أن تفعل ما يُمليه عليك قلبك

مفهومٌ رومانسيٌّ ولا شك

الثائر لا يفكر

بل يذهب ويفعل ما يمليه عليه قلبه

يندفع بجموح لإنقاذ العالَم

ومكان قلبه

شظايا زجاج مهشَّم

فلنخترع خطايانا

إن كنا لا نملك أيًا منها

إنه موهوبٌ للغاية

يعرف متى يلتزم الصمت

وكيف يراقب العالَم بانتباه

هكذا وصفتني لهم

هي التي قالت ذلك عنِّي

حين ظنَّتْ أن بإمكاني

حَمل الراية من بعدها

وأنني سأصبح "باباي" الصغير

لم نناقش المسألة بعدها

وكيف أنها كذبتْ على ضابط التجنيد

أو ربما فعلنا ذلك

آه يا "جسثيماني".. "جسثيماني"

في شقة "بودا" أسفل القلعة

في المخبأ مع العجائز

اللاتي كُنَّ يقبِّلن خدِّي حتى يتفتت بين شفاههن

خلال العاصفة اللعينة في خريف 1956

كانت أمي على عكس البلد بأكملها

متشوقة لغزو الرُوس لنا من جديد

كم مرة وكم مرة

ركبتْ سفينة؟

"سفينة"؟ لا بل مجرد قارب

ادَّخرتْ أجرة ركوبه

من قروشٍ قليلة ومن أكثر من دِيَة((74))

جَمعتها من دولة الحِزب الواحد

بدعمٍ سخيٍ من قِسم 3/1

ركبتْ سفينة

لتتمكن من لَمس الأرض العتيقة

التي تنبعث منها جميع القوى

وينشط فيها صانعو الأساطير((75))

الأرض الوحيدة التي تشعر فيها بالارتياح

الأرض الوحيدة التي تحتضنها بترحاب

الوحيدة التي لا تزال عضوية

فهناك تكونت أعضاؤها

التلال والجبل والرمال البرتقالية على الساحل

كلها أمورٌ ما عادت تراها أو تلحظها

باتت تسجلها كآلةٍ صماء منذ أن أصبحت عميلة سرية

أشجار البرتقال وهي تتزاوج داخل

غلالة من نسيم البحر العَطِر

اليوكاليبتوس وبخور مريم وشقائق النعمان

والدفلة والأوركيد

شجيرات الأزهار الكثيفة أمام المخابئ

شجيرات الياسمين التي جففتها الحرارة الحارقة

الشجارات الحامية والجدل الحاد

الكراهية التي تعشش في جروح القلوب

ومن نقطة البداية من جديد

من الألف إلى الباء

ثم عودة من الباء إلى الألف

وهكذا إلى الأبد

أمي منتشرة دون وطن

أيُّ نوعٍ من البشر هي
هذه الجميلة الفاتنة الباردة
المُبهِجة حتى خلال احتضارها
شيطانية وملائكية معًا
وهي تهوي في آلامٍ
يعجز حتى المورفين عن تخفيفها
كان لِزامًا عليها الاستسلام للموت
شيئًا فشيئًا.. عضوًا عضوًا
تنظر في عينيك
ليس لديها ما تخبئه عنك
هي هَبَّات رياح الكون
تلك المسالِمة المتجاهِلة الفوضوية العنيدة
الحنون الهستيرية الهادئة السارة
المُضطَهَدة ضمن المُضطَهَدين
التي تداوي بلمساتٍ من يديها
وتنظِّف البانيو بالمطهرات
تركبُ طَوفًا صغيرًا رقيقًا
تخترق به أمواجًا طينية
تتعثر في شعاع ضوء
نفثته "كاريبديس" من فمها لتغرقها
هناك على الشاطئ الآخر

وللحظةٍ واحدة..

كَلَّا..

كَلَّا كَلَّا كَلَّا

ولا حتى للحظةٍ واحدة

تلك الروح المُعَذَّبة

ولا حتى للحظة

ولكن ربما في نهاية الأمر

وحين وصلت أخيرًا

إلى الإله الأب بعينيه الزرقاوين

هدأتْ أخيرًا للحظةٍ واحدة

اطمأنت روحها

وصلتْ وجهتها بسلام

صلاةُ "آميدا" في مستوطنة "موديعين عيليت" ((76))

العنوانُ المكتوبُ فوق ظرف الرسالة

يخدرها الألم ويسيل أنفها بفعل حمى القش

الروح البائسة مضطرة لبيع وطنها

تثرثر مع المجندات عند حدود المنطقة المُحَرَّمة

تتسلَّح بالحذر خوفًا من اكتشاف حقيقتها

تتبنى لهجة قبيحة عتيقة متخشبة

يصعب على الآخرين فهمها

لأنها منبوذة تَحِن للعودة
إلى العالَم الذي غادرته
تخطط لرحلاتٍ متكررة
"عملية جدًا" و"ذكية جدًا"
أفكر في المسألة
لا كلمات أخرى تصف ما فعلته
وضعها غامض للغاية لكنه مفهوم بعض الشيء
كيف يمكنني تفسير "بعض الشيء"؟
لم تكن ماكرة أبدًا.. أبدًا
لم تملك دهاء "أوديسيوس"
ولم تسد أذنيها بالشمع كجنوده
كانت تفتتن سريعًا بكل شيء
ربما
قريبًا من القبة الذهبية
التي لم تكن لها يومًا
بأي شكلٍ من الأشكال
ولا حتى كذرة غُبار تتراقص في الضوء
ربما امتلكتها للحظة متناهية القِصَر
وهي تقف بثوبها ناصع البياض
فوق التلال
وتنظر نحو المدينة المُشمِسة

(73)إلى جانب ما سبق، أُوصي بأن يتم تأهيلها وتوجيهها بشكلٍ مُفَصّل فيما يتعلق بأمنها.

(74)

سجل بالمدفوعات في 1978

حِصة العميل السري المصاريف المُطَبَّقة

8 فبراير 1978 8000 فورينت

٨ فبراير ١٩٧٨ ٥٠٠ دولار أمريكي

(75) وضعنا منهجًا لرحلاتها والسلوك الذي ينبغي عليها اتباعه خلال إقامتها في إسرائيل. عليها أن تظهر اهتمامًا واضحًا بالأوضاع السياسية الداخلية في إسرائيل.

نطلب تصريحًا بمنحها عُملة أجنبية، وتقنين المسألة.

(76) 8 شارع "كيريات"، عنوان جدّاي في تل أبيب.

(77)لطالما تعرضتُ للتصنيف. اضطررتُ للتخلص من تلك الأجنحة التي تميز الأذكياء منذ ولادتهم، والاقتراب من كل ما هو عامي وسوقي، أكثر فأكثر. اضطررتُ لتقبُّل الواقع، رغم صعوبة الوضع البالغة. عليَّ أن أنهي هذه السطور بالقول بأنني لم أسعد بشيء طوال سنوات عمري الطويلة، قدر سعادتي عند رؤية القرد الراقص وصاحبه العربي الذي يعزف له على الناي، في أحد الطرقات الضيقة في القدس القديمة وأنا في الثالثة من عُمري.

أحضاني وقبلاتي

«برُو»

بودابست ـ ١٥ أغسطس ١٩٧٦

"بروريا"

تغزل.. تنسج.. تحيك
تحيك.. تغزل.. تنسج
تغرز إبرتها في قَدَرِها
تطعن الوحش الرابض وراء الجبل
التائه بعيدًا خلف البحر
لا أنظر إلى الصورة
أود استعادتها من الذاكرة
من خلف النساء
"سيلا" ذات الرؤوس الستة والأسنان الحادة الكثيرة
التي تضعها في كوب ماء ليلًا
عليّ أن أنظر لها
عليّ أن أذهب وأنظر
القبة الذهبية تسبح تحت السحاب

النساء الصارخات
يركضن باتجاه الوحش "سيلا"
ليحولن انتباهها
عن المستحيل
خيوطٌ ملونة
تواصل عملها بدأب
تجمع الألوان بكل طاقتها
البنت الصغيرة المُطيعة
هناك على بحيرة "طبرية"
في ربيع سنة 25 أو 26
تتعرض للإغواء من رجلٍ بالغ
في قمرة مركب
أدخلها القمرة
عانتْ كي تخبرني
تجرُّها الذكرى فجأةً
على سطح البحيرة
التي سار عليها المسيح
حاولت أن تخبرني شيئًا
لا يمكن قوله
مثل "آراكني" التي حوّلتها "أثينا" الغاضبة
إلى عنكبوت

لأنها غزلت خطايا الإله بشكلٍ أجمل

أو مثل "فيلوميلا" التي قُطِع لسانها

طرَّزت لوحة لأختها

لتخبرها دون كلمات

ما فعله "تيريوس" بها في القُمرة

يغرز أصابعه في خصلات الفتاة بعنف

ويجذبها من شعرها

يقطع لسانها

لا يبقى إلا مَنبَتُه في بلعومها

ينتفض كذيل ثعبان مقطوع

بعد أن يُطفئ "تيريوس" شهوته الجامحة

رغبته

لا يتوقف عن اختراق جسد الفتاة مرة

وأخرى وأخرى

وأخرى

تغزل تنسج تغرز إبرتها ليلة تلو ليلة

تنسج وتخطط لوحتها

تطرز فيها السرطان

تطرز فيها الوحش

إلى أن تصل بإبرتها إلى حِصنٍ صغيرٍ يغمره ضوء القمر

برج حجري

يلمع على نوافذه سَنَا القمر

"بروريا"

على العكس فإن الحقيقة هي
على العكس فإن الوضع هو
على العكس فإن ما حدث هو
على العكس فإن ما أود قوله
على العكس ممَّا كنتُ أؤمن به
على العكس ممَّا خطر ببالي
على العكس ممَّا..
لا تدع عواطفك تغلبك
الوضع ببساطة
وبالرغم من كل شيء
إن كان يحق لي القول
مناقِضٌ تمامًا لكل شيء
فعلى العكس
حتى وهي في القطار
حتى في ذلك الوقت

ليس حتى في ذلك الوقت
وليس على ذلك النحو
ومنذ تلك اللحظة تحديدًا

3

المزيد

"حين أسمعُ القول السائد بأن الذين لا يبالون هم بشكلٍ عام الأكثر سعادة، أتذكر الحكمة الهندية التي تقول: "الجلوس أفضل من الوقوف، والاستلقاء أفضل من الجلوس، لكن الموت هو الأفضل على الإطلاق".

"نيكولا شامفور"

هناك أمور في الحياة لا نفهمها تمامًا إلا إذا حدثت لنا شخصيًا؛ لا سبيل آخر لاستيعابها، قد ننجح في تصور المشاعر المصاحبة لتلك المواقف، إن كنا نتمتع بخيالٍ جريءٍ وجامح، لكننا لن نفهمها ونشعر بها حقًا إلا إذا مررنا نحن أنفسنا بها. ربما نعجز عن تقديم شرح أو تفسير لما حدث، وربما كان الوضع غير قابل للتفسير أصلًا، لأن ذلك يؤدي لقتل التجربة من الأساس أو محوها وطمسها على أقل تقدير.

موتُ أمِّنا مثال على ذلك؛ وفاة الأم حَدَثٌ كَوني. أرسلَ مؤلِّفٌ هنجاري عظيم تلغرافًا لممثلةٍ شهيرةٍ يخبرها فيه بوفاة والدته؛ كتب يقول: "لقد انكسرت آخر حلقة في السلسلة"؛ تُرى ما هي الحلقة التي أشار إليها؟ تلك التي تربطه بالإنسانية؟ تلك التي تمنح حياته معنى؟

ربما يُنبِئك الطبيب بأنك مصاب بالسرطان، أو أن أحدًا من المقرَّبين إليك، شخص تحبه جدًّا؛ صديق أو عشيق مصاب بالمرض الخبيث؛ إنه يخبرك بعددٍ من المعلومات، لكن الحقيقة شيء مغاير تمامًا؛ تظل جالسًا

أمامه، محدِّقًا في الفراغ. قد تتعرض الطائرة التي تركبها للسقوط، عندها فقط ستفهم جيدًا ما يحدث، حتى ولو لم تتمكن من قَصِّ تجربتك لاحقًا على أحد. النسخة الأفضل من هذا النوع من الأمثلة هي أن تكون ضمن ركاب سيارة تحيد بكم عن الطريق في الواحدة صباحًا، ثم تنقلب بكم ثلاث مرات، وتتوقف أخيرًا في حقلٍ يغطِّيه الثلج.. صمتٌ مطبق. يتحرك أحدكم قليلًا، لم يُصَب أحد ولا حتى بخدشٍ صغير، منذ تلك اللحظة، ترى الحياة بمنظورٍ مختلف؛ لستَ مضطرًا لشرح مشاعرك ورؤيتك، لكنك بِتَّ تعرفُ أمرًا كنتَ تجهله حتى تلك اللحظة.

أو فكِّر في الموقف التالي: خالتك الطيبة الذكية، والتي هي في المُجمَل إنسانةٌ رائعةٌ، لطالما لجأتَ إليها طلبًا للنصيحة، تستيقظ صباح أحد الأيام دون أن تتعرف على نفسها؛ عندها فقط، ستدرك ما هو الزهايمر، ابتسامتها تحوي كامل حياتها، جسدها يدل على الإنسانة التي كانت عليها. ظاهريًا، لا شيء يدل على اختفائها؛ لا تزال تمسك كتابًا بيدها كما اعتادت دومًا، لكنها صارت الآن تقرأ الصفحة ذاتها طوال اليوم، لأشهرٍ متتابعة، لا تزال في كامل بهائها، وهي تطالع تحت ضوء مصباح القراءة؛ الجمال ذاته، تضحك بصوتٍ مرتفع، لكنها لم تعد تعرف اسمها، إنها هي، وليست هي، لو كنتَ تعرفها وتحبها، فسوف تفهم الوضع؛ سيعقد الإدراك لسانك، إن لم تكن تعرفها ولم تحبها يومًا، فسوف تشعر فقط بأن الحكاية حزينة ومثيرة للفضول، أشبه بتقريرٍ إخباري من مكانٍ بعيد.

أو فلنضرب مثلًا أكثر وضوحًا؛ في يومٍ جميل من أحد الأيام - حسنًا لم يكن بذلك الجمال أصلًا - تكتشف أن أمك تعرضت للتجنيد (من قِبَل مخابرات النظام الشيوعي). أحد معارفك يكتشف هذه المعلومة بالصدفة، فيتصل بك لإبلاغك إياها. وقع ملفها في يده؛ هكذا تبدأ مثل هذه السيناريوهات، عادةً. التليفون يرن، يفاجئك الخبر ويصيبك بصدمةٍ قوية. تفصيلٌ صغيرٌ بأن 3/1 مختلف عمّا يُعرَف بـ 3/3. تحاول التفكير في المسألة، لكنها لا تهم أحدًا من الأساس، كلا، لا، انتظر لحظة؛ 3/1 ليس مختلفًا عن 3/3، إنهما شيءٌ واحدٌ تقريبًا. كانت أمي جاسوسة، واشية، لم تكن كذلك، بل كانت كذلك، كلا، بلى، حسنًا، حقيقة الأمر أنها لم تكن واشية، لكنها كانت جاسوسة بالفعل؛ ليست جاسوسة حقيقية، ولكن شيئًا يقترب من ذلك؛ ما يمكن أن يُعرَف بـ"زميلة سرية"، مسمارٌ صغير، أو تِرسٌ دقيق في آلةٍ ضخمة؛ لكنه يلعب دورًا في تشغيلها رغم ضآلته. تستعيد مشاعرك التي عشتها مع هذا المسمار أو التِرس، وكل لحظة أمضيتها برفقة هذه الإنسانة التي كانت تمتلك اسمًا حَرَكيًا سِرِّيًا، يتغير كل شيء فجأةً بالنسبة لك، تتبدل قوانين المنظور والجاذبية في دقيقة، ما هذه المفاجأة؟ تدرك فجأة بأن هذه القوانين قابلة للتغيير!

لكن شيئًا من ذلك لا يغير مشاعرك تجاه الأوقات التي أمضيتماها معًا؛ تصبح جميع اللحظات التي جمعتكما مُسالِمة، لا يعود هناك "قبل" أو "بعد"، تتجرد من ذلك، وتحتفظ فقط بتلك الحميمية التي تميز الأوقات

العائلية.. الأسئلة الأولى، والإجازات، والكريسماس، ورَشّ السيدات والفتيات بماء الكولونيا في عيد الفِصح، واليوم الدراسي الأول، والحصول على الشهادات المدرسية، والمزاح والمقالب، والوشايات، والكذبات الطفولية، والمعجزات الصغيرة، والنماذج الورقية لمعبد الـ"باجودا" الصيني، والتنانين التي تتفتح بمجرد وضعها في الماء الساخن، والفرح والحزن، وألعاب الكوتشينه، ومشاعر الحب الوليدة، وارتشاف الشاي بالحليب معًا بصوتٍ مسموع، وساندوتشات التونة بالقشطة الرائبة، وشراء الفطائر المقلية من أكشاك الطعام حول بحيرة "بالاتون"، وقطعة من كريمة اللوز على طرف سكين الكعكة، وكورن فليكس "كيلوجز"، و"كسَّارة البندق" و"بحيرة البجع"، والشجارات الكبيرة، والبكاء لساعات طوال، وحُمَّى القش، و"توماس مان"، والأصوات المتداخلة عند محاولات الدفاع والتبرئة، وزيارات العائلة والأصدقاء، والزكام وآلام الأسنان، والنزهات، وسكبها لقطرات من الزيت الساخن في أذنك ليلًا، وتدليكها لجبهتك، وهدهدتها لصغارها بأغانٍ عِبرية وهنجارية، واكتشاف العالَم، وتأمل صُوَر الألبومات العائلية، والأمسيات الصيفية البديعة حين يملأ أزيز الحشرات الجو، و"شوبرت" و"توسكانيني"، وكل نغمة في كل قطعة موسيقية استمعتما إليها معًا، وكل صوتٍ مهما كان خافتًا، حتى صوت الصمت؛ كل ذلك بات الآن مُشَكِّكًا، صرتَ تتشكك في جمال تلك الأوقات، أصبح كل شيء عاديًا: التفكير المتفتّح، والكرَم، والتضحية بالنفس. هناك أمر ما يلقي بظلاله الثقيلة فوق جميع ذكرياتك؛ أمرٌ

لا يمكنك التحدث عنه.

ولا يمكنك عدم التحدث عنه أيضًا.

"ضمت حجرة المعيشة أشخاصًا من مختلف الأصول والاهتمامات والمِهَن، من سينمائيين، ومخرجِي مسرح، وممثلين، وحِرَفيين، كان الجميع هناك. شكَّل الضيوف صورةً مُصَغَّرةً للمجتمع في ذلك الوقت، وكانوا نموذجًا للتسامح العِرقي والثقافي، مَن الذي خلق هذه الأجواء الأخوية الحميمة الأقربَ للأجواء الجامعية؟ إنها أمُّهم؛ كانت تحافظ على إضفاء نوع من النظام على هذه الجلسات بين الحين والآخَر، عبر تقديم المزيد من الطعام، وغسل الصحون، وتنظيف السجاد، حرصت على عدم التدخل في شؤون الحاضرين بتاتًا، تمتعت بالطاقة والحيوية، وابتعدت تمامًا عن فرض سيطرتها على أحد، هكذا كانت تلك المرأة، مزيج من الرقة والجدية والدأب، حتى يومنا هذا، ما زلتُ عاجزًا عن استيعاب قدرتها على الاهتمام بكل شيء، وكل شخص.

في إحدى المرات، طرَّزت لي شيئًا، تلك معجزةٌ صغيرة، لا بد أنها أمضت شهورًا طويلة في حياكة تلك الخيوط الذهبية والفضية والزرقاء والخضراء والحمراء، التي صورت عصفورًا من نوع "طائر الجنة"، الذي ووفقًا للأساطير، فإنه يمضي حياته في حالة طيران دائمة، ولا يلمس الأرض أبدًا إلا في لحظة موته، هل كانت تلك نظرتها إليَّ؟ أم هل كانت الهدية مجرد محاولة لتخليد نفسها؟ سيبقى هذا لغزًا، إذ كانت امرأة متحفظة تميل للصمت. على الرغم من التزامي في شهاداتي هذه

بالسرية، وعدم الإشارة إلى الناس الذين أكتب عنهم بأسمائهم الكاملة، واكتفائي بالأسماء الأولى أو عدم ذكرها من الأساس، إلا إنني لا أستطيع الوفاء بالتزامي في حالتها تحديدًا، بسبب اسمها الموسيقي القادم من العهد القديم رأسًا: "بروريا آفي شاؤول". شخصيًا، أعتقد أنها السبب في أنني بدأت أقدِّر صفة الرقة؛ كانت يسارية من نوعٍ فريدٍ ومميز، رغم ندرة حديثها عن قناعاتها السياسيةً. في أغلب الأحيان، اعتمدت في كلامها على المفردات اليومية التقليدية البسيطة، الممتزجة بقليلٍ من الشِعر".

بهذه الكلمات وصف "دُونتشي" - صديقي الراحل منذ زمن طويل - أمي. كان ينتمي لطبقةٍ اجتماعيةٍ مغايرةٍ تمامًا لحياتي، ثم أصبح عازف الجيتار الرئيسَ في فرقة "أندرجراوند"، عُرِفَت باسم "يوروبا كيادو".

لـ"بُروريا" معجبون كُثر، ولذلك فإن ما سأكتبه هنا سيشكل إهانةً عظيمةً لهم، سُينهي تصوراتهم المثالية عنها، وسيتسبب في حزنٍ هائلٍ لهم جميعًا. أمنا هي "الزميلة السرية" أو "عميلة الشبكة". بطبيعة الحال، هناك مَن ستعجبهم هذه الحكاية؛ سيقولون: كُنّا نعلم ذلك منذ البداية، نعم، كنا نعرف دون أدنى شك، لنصرخ معلنين هذه المعلومات، فلننخرط في البكاء، لنجلس معًا ونتحدث عن المسألة، لنتحدث عنها ثانيةً، لنتحدث

عنها عشر مرات، مئة مرة، ألف مرة، لنقرأ ملفاتها.. لمَ ينبغي عليَّ قراءة تلك الملفات؟ أحدها عن تجنيدها من قِبَل المخابرات، والآخر عن الأعمال التي نفذتها لهم. لنتعلم لغة جديدة، ومفردات جديدة، لنتعرف عن قرب على ذلك العالَم المثير للاشمئزاز، الذي يجعلنا نرتجف، ونشعر بالقشعريرة تسري في أجسادنا، ويُجمِّد الدم في عروقنا، ويدفعنا للاستيقاظ ليلًا وقد استبد بنا الرعب، عالَمٌ يربكنا ويحيرنا، عالَمٌ لا نعرفه عن كثب، واكتفينا بملاحظته من مسافةٍ بعيدة. لطالما كانوا بالنسبة لنا "الآخَرين"، الآخَرون الذين يسهل إصدار الأحكام الأخلاقية عليهم، الآخرون هم دومًا مَن يصابون بالسرطان، الآخرون هم من يموتون في حوادث السير، ها نحن نصير "الآخرين"، مشكلاتنا وعيوبنا تتغلغل تحت جلودنا، أسوأ من الوشم، لأنها غير مرئية.

ثم هناك أمرٌ سيئ إضافي، فجأةً، ورغم كل شيء، تبدأ في التفكير.. هل هذا بسبب المعاناة؟ بسبب الألم؟ العار؟ لأنني حتى الآن، لا أزال أشعر بحَرَجٍ شديدٍ يهاجمني في لحظات غير متوقعة، ويجعلني أحمرَّ خجلًا، تشعر بأن الوضع استثنائي، لكن الحقيقة المأساوية هي أنه ليس استثنائيًا على الإطلاق. المُحزِن أن الظروف الشخصية تشبه بعضها، إنها عادية وتقليدية للغاية، كلها تقريبًا تبدأ على النحو ذاته، وتنتهي على النحو ذاته. كل حكاية مُشبَعة بلُغةٍ معقَّدة خاصة بالمخابرات والدولة، داخل ملفات متكررة ورتيبة. المسألة بأكملها أشبه بشخصٍ غريبٍ أو مشوَّه، محفوظ داخل برطمان

زجاجي من الفورمالين، الموقف بأكمله يذكِّرني بزيت كبد الحوت؛ ذلك الزيت الذي كانت تجعلنا نشرب ملعقة كبيرة منه، كل ليلة في طفولتنا، كان ابتلاعه إجباريًا.

هذه الأيام، تملأ رائحة الورق القديم الثقيلة حجرتي، دخلتها منذ فترة ليست ببعيدة، وكدت أختنق. عليَّ أن أراجع كل قصاصة من كل خطاب وظرف وملف وألبوم صُوَر وذكرى، جميعها بلا استثناء. ها أنا أجلس وسط تلك الرائحة الثقيلة، نفس الرائحة التي كانت تميز دولاب التسريحة القديم في بيتنا؛ رائحة طفولة، يمكنني تمييزها، الورق القديم، وظروف الخطابات، والجرائد ذات الصفحات المُصفَرَّة، وقصاصات المقالات الصحفية، والأوراق الإعلانية، والبطاقات البريدية، والصور الفوتوغرافية، والبطاقات الشخصية، والشهادات؛ حتى الآن، كانت جميعها متناثرة في البيت في فوضى مهيبة، أطوف في الشقة أجمعها وأحملها إلى غرفتي؛ هذه هي محاولتي الثانية لفهم ما جرى. حدثت المرة الأولى عقب وفاة أمي بعشر سنوات، ونتج عنها رواية سميتها Zehuze، كانت تلك بداية إضفائي شيئًا من النظام على تلك الفوضى المريعة، لكن النظام غير قابل للتحقق.

في الوقت ذاته، وبطريقةٍ ملتوية، كان للوضع المعقد ميزاته كذلك؛ ألقى بضوئهِ الحاد على حكايتك؛ إذ إن اضطرارك لإعادة تقييم جميع المسائل، يدفعك للتفكير بها ووزنها من جديد، وإعادة فحص حياتك بدقة من مسافةٍ بعيدة. لطالما كنتَ منغمسًا داخل حياتك، حتى أنك لم تمتلك الفرصة لاكتشافها وفهمها، لعل هذه هي

الفرصة، لا يهم إن كانت الأولى أو الأخيرة.

خلال اللقاء الذي تم في المقهى، حين كان يُفترَض بي معرفة مَن يكون عضو الأسرة الذي دارت المكالمة التليفونية بشأنه؛ كنتُ متأكدًا - قبل حتى أن أسمع اسمها - أن الشخص المقصود هو أمي، رغم استحالة ذلك (كان مستحيلًا فحسب)، ما الذي جعلني متيقنًا لهذه الدرجة؟ ربما استعادتي لمنظرها حين ترتعش شفتاها، عندما ترغب في مصارحتي بشيء؛ شيء على طرف لسانها، لكنها تقرر عدم البوح به؛ الكلمات الصامتة للأم.

إن كنتُ سأشهد مأساة، فلتكن ضخمة وعاصفة.

سمعتُ إشاعات عن أبي من قبل، لكنني نفضتها عني، كأنها فتات خبز تساقط عليَّ وأنا آكُل، سخرتُ منها؛ ما الذي يدفعهم لتجنيد شيوعيٍ مخلصٍ مثله؟ تجنيد رجل يؤمن إيمانًا عميقًا وراسخًا بالنظام القائم؟ كان يردد المبادئ والشعارات عن قناعة، بينما يرددها زملاؤه لأن هذا ما ينبغي عليهم فعله، رغم تعارضها مع قيمهم الحقيقية؛ زملاؤه الصحفيون ممن اعتقدوا في داخلهم بأنهم أبطال، لمجرد أن لديهم قِيَما مختلفة عما يلقونها على مسامع الآخرين، إنه أحد الأسباب التي جعلت أبي منبوذًا وسط زملائه. لهذا السبب تحديدًا، أعني عرضه لأفكاره الحقيقية وتقديمها للقراء بصراحة، استحق

احترامي، حتى لو لم أكن أنا شخصيًا أشاركه حماسه لها. لم تكن المشكلة في نوعية أفكاره، بل في الطريقة التي أفسدت بها أسلوبه الساخر في الكتابة. لم يكن الشخص الأول الذي جعلت منه مبادئه وقِيَمه إنسانًا غبيًا. حمل عموده في صحيفة "ماجيار نِمزِت" (الأُمَّة الهنجارية) اسم "ما وراء الخبر". في طفولتي، كنتُ أحب الرسم الذي يُظهِر جهاز تليفون فوق هذا العمود، حينما ألمح أحد مقالاته هذه الأيام، فإنني لا أستطيع قراءة حتى فقرة واحدة منه؛ أدركتُ أنها فارغة، مجرد كلمات خاوية!

ما الذي استفادته الدولة من تجنيد شخص مثله؟

كم كنتُ مخطِئًا! تقديرًا لدوره - غير المُشَرِّف - في إشعال ثورة 1956، تمَّت مكافأة بابا في 1960 بتعيينه مراسلًا في وكالة الأنباء الهنجارية بمكتبها في "لندن"، لم تستمر هذه المرحلة من حياته الوظيفية طويلًا، فعقب سنتين من دعم الحزب الكامل له، نجح زملاؤه - أصحاب الخبرة الأكبر - في تحطيمه.

كان قد وقع أوراق تجنيده لخدمة المخابرات، قبيل مغادرته إلى "لندن" مصطحبًا معه أطفاله الأربعة؛ وسيلةٌ ممتازةٌ لإبعاد الشكوك عنه! أربعة أطفال.

محتويات حقائب وصناديق عائلة "فورجاتش":

4 بدلات رجالية

1 معطف رجالي

1 روب حَمَّام رجالي

1 أفرول رجالي

10 قطع ملابس داخلية رجالية

5 بجامة رجالية

10 قميص رجالي

3 زوج أحذية رجالية

6 زوج جوارب

3 معطف نسائي

2 طقم ملابس نسائي

7 فستان نسائي

20 قطعة ملابس داخلية نسائية

10 بلوفر نسائي

5 أزواج أحذية نسائية

5 قميص نوم

6 دمى على هيئة دببة

20 فستان بناتي

6 معاطف أطفال خفيفة

6 معاطف أطفال ثقيلة

10 أكياس بلاستيكية مستعملة

15 فوطة

20 قميص أطفال

40 قطعة ملابس داخلية أطفال

12 زوج أحذية أطفال

10 بنطلون أطفال طويل

6 شورت أطفال

6 تنورة

5 مريلة صغيرة

8 بيجامة أطفال

20 زوج جوارب أطفال

5 شماعة ملابس

2 ملاءة سرير

5 أغطية وسائد

7 مفرش طاولة

5 تنورة

2 قاموس

40 كتاب مدرسي، وأدوات مدرسية

10 روايات أطفال

2 كتاب لتعلم اللغة الإنجليزية

1 كتاب إملاء باللغة الهنجارية

1 لوح رسم مع مسطرة

1 طقم تلوين

1 دمية كبيرة

معزوفات "ميكروكوزموس" على البيانو

1 أوبرا "قصر ذي اللحية الزرقاء"

1 آلة كاتبة ماركة "إيريكا"

1 جهاز صنع قهوة "اسبريسو".

1 مجموعة أدوات خياطة

1 فرشاة ملابس مع الحامل الخاص بها

1 حقيبة أدوات استحمام

1 بطانية صوفية

1 بطانية من الفلانيل الخفيف

1 مفرش سرير

1 طقم أدوات مائدة (6 من كلٍّ من: سكين، ملعقة طعام، ملعقة شاي) من القصدير وليس الفضة

بمعرفة: إدارة التبادل الأجنبي

في: 22 سبتمبر 1960

رقم الترخيص: 5

تاريخ مغادرة "مارسيل فورجاتش": 26 سبتمبر 1960

وكالة الأنباء الهنجارية

بودابست

صرنا نعرف الآن أن تقاريره لم تكن فقط عن المقالات الجديدة، وأنه هو نفسه الشخص المدعو "باباي"، العميل السري فيما عُرِف بـ"محطة لندن". كان بابا هو "باباي"، وهو نفسه مَن دخل مِن الباب "الرفيق فريدمان"، وخرج منه "الرفيق فورجاتش". هل تهمني حقًّا كل تلك الأسماء الحركية التي حملها؟ لن أعرف أبدًا. يظهر اسم "باباي" في هامشٍ لموضوعٍ مُسَلٍّ كتبه المؤرخ "كريستيان أنجفاري" واصفًا "محطة لندن" وانهيارها وتفككها. يقترح هذا الـ"باباي" على رؤسائه خطةً غريبةً بعض الشيء، تُعرَف في عالَم الجاسوسية بـ"فخ العسل": وعدهم بأن يجلب إحدى قريباتنا، وهي فتاة في مقتبل العُمر، كي تعمل على إغواء بروفيسور إنجليزي شاب يعمل مؤرخًا. حتى هذه اللحظة، لا يزال هذا الهامش هو المصدر الوحيد الذي يثبت أن "باباي" كان يعمل جاسوسًا بالفعل، إذ إن الملفات الثلاثة التي تحمل اسم العميل السري "باباي"، اختفت دون أثر. أكتب هذا وأنا أشعر بدماء الصحفي تسري في عروقي، رغم أنني لست صحفيًا في الأصل؛ كانت تلك مهنته هو.

لستُ أدري إن كنتُ أود رؤية تلك الملفات، بل أود ذلك. واقع الأمر أنني تعمدتُ إساءة فهم ذلك الهامش الذي كتبه "أنجفاري". لقد صنعتُ من تلك الحكاية العادية المُمِلَّة ما يشبه أفلام "جيمس بوند"! لم يذكر

الهامش شيئًا عن "فخ العسل"، أنا صاحب هذه الإضافة. بعدها بفترة، توصلتُ إلى التقارير الأصلية، عبر "السجلات التاريخية لأمن الدولة الهنجارية"، والتي يُشار إليها اختصارًا بـ"آبتل"، فيها، قرأتُ أن ضابط شرطة يحمل اسم "إيمري تاكاش" قام بالتحقيق مع بابا (أي "باباي") في شقة تمت الإشارة إليها بـ"الشقة ميم"؛ أيْ "شقة المؤامرات". الأمر الوحيد الذي أزعج الضابط - كما يذكر في الجزء الخاص بالتقييم في نهاية التقرير - هو أن بابا ("باباي") لم يكشف عن عدد من المعلومات إلا عقب دفعه لذلك، كما لو كان كثير النسيان، ذكر أيضًا أن بعض ردود "باباي" على أسئلة كررها عليه كانت متناقضة ومثيرة للحيرة.

تقييم

في سبتمبر 1962، أخبرنا "باباي" شفهيًا عن اللقاء بين "أ. ز." و"ر. هـ."، طلبتُ منه بعدها، عدة مرات، أن يقدم لي تقريرًا مكتوبًا عن المسألة، لكنه كان يعتذر بحجج مختلفة ويتملص من تنفيذ هذه المهمة. هذه المرة، جعلته يدون التقرير خلال اجتماعي به، لكن التقرير المكتوب -مثله مثل الشفهي - لم يكن مكتملًا.

يمكن جعل "باباي" يتولى أمر "ر. هـ."، ولكن نظرًا لصلة القرابة التي تربطه بها، ولمستوى المهام التي نفذها حتى الآن، فإن استمرار تعاونه معنا على هذا النحو صار مثيرًا للتساؤل.

"إيمري تاكاش" - ضابط شرطة"

لم يدرك الضابط المسؤول عنه، أن بابا كان قد بدأ حينها في الانزلاق نحو الهاوية المُظلِمة، وما زاد الأوضاع سوءًا هو إحساسه بالفشل في تنفيذ مهمة "لندن" على الوجه المطلوب. سرعان ما بدأ في "المعاناة من الانهيار العصبي" (هكذا كان يُشار لهذه الأمور حينها). تكررت انهياراته العصبية مرة كل عشر سنوات، في 1953 و1963 و1973، شعرتُ وأنا أطالع هذه التواريخ بأنني أسجل خطوط الطول والعرض لهبوط أبي نحو المرض العقلي. استعدتُ منظره وهو يجلس على المقعد الخشبي العريض في حديقة مستشفى "كورفين" العسكري، الشبيهة بالحدائق العامة، كان قد انتهى من جلسات العلاج بالصدمات الكهربائية، كنتُ أنا في نحو العاشرة، أمسكت أمي بيدي وقادتني نحوه، لم يوجه بابا كلمة واحدة لي على الإطلاق، حدَّق أمامه بنظراتٍ خاوية، وكأنه لم يميزني أصلًا.

في 2004، عندما دخلتُ مبنى الـ"آبتل" (اختيارٌ موفق لاسم يسهل نسيانه!) لأطالب بالتقارير الخاصة بي وبوالديَّ، وكل ما يتعلق بنا، ناولوني ثلاث أو أربع قصاصات تافهة يعلوها ختم أخضر اللون بحروفٍ كبيرةٍ، لـ"السجلات التاريخية لأمن الدولة الهنجارية". لم يحصل معظم من تقدموا بطلباتٍ للحصول على الملفات والتقارير التي تخصهم، سوى على قصاصات شبيهة، كما سمعت. حتى يومنا هذا، حين أذهب إلى غرفة القراءة في مبنى الأرشيف الموجود في "إيوفوس" بقلب "بودابست"، فإنني ألمح المترددين على المبنى يوميًا

لمتابعة الطلبات التي تقدموا بها للحصول على ملفاتهم. ألمح أيضًا الموظفة التي تتحدث إليهم عبر النافذة الزجاجية التي تفصلها عنهم بصبر بالغ، والذي يجعلها أقرب لممرضةٍ في مصحة للأمراض النفسية. معظم من يحصلون على وثائق قليلة، يغمرهم شعور بالارتياح. أنا لم أشعر بالارتياح؛ ما القصاصات التي أعطوني إياها؟ تقرير كتبه عميل لهم عن عبارةٍ قلتها وأنا طالب في كلية الآداب، وبعض الرسائل، نصف جملة، بل إن ما كتبه العميل السري لم يكن اقتباسًا دقيقًا؛ كلام فارغ. في 2004، لم يكن مسموحًا لنا معرفة اسم عميلهم. أعرفه اليوم، لكنني لا أتذكر شكله وملامحه، ولا أدري مَن يكون بالضبط. لم أهتم أصلًا بفتح الظرف الذي أعطوني إياه والإطلاع على محتوياته من أوراقٍ قليلة، كان إحباطي أكبر من أن يُوصَف.

اليوم، أحمل بين يديَّ ملفين كبيرين ممتلئين، إلى جانب اسميْ والديَّ، يظهر اسمي كذلك فيهما أكثر من مرة. أقول "بين يديَّ" مجازًا، فالحقيقة أن الملفين (أحدهما حول تجنيد أمي والآخر خاص بالعمل) لا يزالان محفوظين في غرفة الأبحاث بمبنى شارع "إيوفوس". أتساءل عن السبب الذي جعلهم يمنحونني معلومات قليلة للغاية في 2004؛ إن عدم السماح للناس بالإطلاع على كافة هذه الوثائق القديمة، بدايةً منذ عام 1990 وحتى الآن، يعَدُّ جريمة، جريمة لا تُغتَفَر.

احتوت إحدى الوثائق التي أعطوني إياها في 2004، على معلوماتٍ لا بأس بها. في فترة التأهيل التي أعقبت

وفاة "ستالين" في 1954، تم اصطحاب أبي إلى شارع "جيورسكوسي" في "بودا"، حيث يقع السجن الكبير، ومقر النائب العسكري العام. لاحقًا، سيحكي كم كان خائفًا حين أغلقوا البوابة الحديدية عليه، سيتذكر أن البوابة كانت ساخنة جدًّا، وأنها أحرقت ظهره، كان يحرص على ذِكر المعلومة الأخيرة كل مرة. أظن أنه حمل الخوف الذي انتابه ذلك اليوم معه بقية حياته؛ رغم أنها لم تكن المرة الأولى أو الأخيرة التي يتعرض فيها للخوف بطبيعة الحال. كثيرًا ما شعر بالرعب في السنوات التالية لهذه الحادثة، آخرها في سنة 1973؛ خوفٌ أبدي منذ ذلك الوقت.

في 2004، استلمتُ وثائق رسمية تحمل توقيع أبي أسفل كل صفحة، كان حينها يبلغ الرابعة والثلاثين.

وزارة الداخلية

قسم التحقيقات الرئيسي سري للغاية

شهادة

أقِرُّ أنا، الموقّع أدناه، بالتزامي، وفقًا لقانون العقوبات، بالحفاظ على سرية التحقيقات التي أجريت معي في قسم التحقيقات الرئيس بوزارة الداخلية، وعدم ذِكرها أمام الأفراد الذين لا يحملون صفةً رسمية.

ألتزم بعدم خرقي للشروط الواردة في هذه الشهادة، وفي حال حدوث ذلك فإنني معرض للمحاكمة.

بودابست - 30 يونيو 1954

"جريجوري بيوفسيكس"

ملازم ثانٍ

"مارسيل فورجاتش"

الموقِّع

ذلك التوقيع المليء بالحيوية! وتلك الحروف المستديرة المتشابكة! تصرف المحقق بمنتهى التهذيب، كما هو المتوقَّع في تلك الفترة السياسية، كان موضوعيًا ومتحفظًا؛ يدرك أن ما كان يحدث قبل بضعة أعوام من تعذيب الشهود وضربهم حتى الموت، لم يعد مقبولًا في مرحلة التأهيل السياسي الحالية.

EIIR

The Lord Chamberlain is

commanded by Her Majesty to invite

Monsieur Marcel & Madame Forgács

n Afternoon Party in the Garden of Buckingham Palace

on Thursday, the 11th May, 1961, from 4 to 6 o'clock p.m.

(Weather Permitting)

g Dress or Uniform or Lounge Suit.

وفقًا لرواية بابا لتلك الأحداث، فإنه ليس سوى أحد أبطال "ستاندال" التائهين في أرض المعركة. رغم محاولاته الدرامية المتكررة لسرد القصة وإظهار مدى خوفه عند مروره بتلك التجربة، إلا إنه لم يخبرني أبدًا،

عن سبب التحقيق معه من الأساس! أنا، من جانبي، لم ألِح عليه لمعرفة السبب، لم يخطر ذلك ببالي أصلًا. في الحقيقة، لم نكن نعرف الكلمات التي تلائم مثل هذه الحوارات، رغم أن بابا كان حكّاء بارعًا، وشاعرًا. كتب في إحدى قصائده:

"قطرات المطر الكبيرة
تطرق النوافذ والأبواب
تمهد للخطوات المسائية
لأعدادٍ هائلة من البَشَر
ولا أزال أنا هنا بانتظارك
أسمع فوقي حفيف الأشجار
التي يداعب النسيم أوراقها"

كتبها لـ"كيتي"، قبل وقتٍ قصيرٍ من إحراقها في "أوشفيتز". "كيتي" التي ضُبِطَ متلبسًا معها، حين عاد أبواها للبيت مبكرًا، بعد إلغاء حفل السينما الذي ذهبا إليه. كانت هناك صورة لها أيضًا. "كيتي" في حلبة تزلج، في بلدة "ساتمارنيميتي"، لكنني لا أستطيع العثور عليها الآن.

قبل أعوام قليلة من استدعاء بابا للتحقيق، كان قد تم الحكم على "إندري روشتا" بسنوات كثيرة في السجن، كانت محاكمته بمثابة عَرض جانبي صغير للعروض الكبرى لمحاكمات تلك الفترة. كان "روشتا" الرئيس المباشر لبابا في المكتب الصحفي لرئاسة الوزراء، في الفترة الممتدة بين يونيو 1948 وسبتمبر 1949؛ أيْ قبل

أن يتفرق جميع العاملين في المكتب فجأةً، حتى ذلك التاريخ، كان "روشتا" يعمل تحت إمرة رئيس الوزراء (والديكتاتور) "ماتياش راكوشي"، مثل أبي تمامًا. إليكم حكاية لطيفة: في أحد الأيام، انتهى أبي من ترجمة خطاب لـ"راكوشي". بعدها مباشرةً، اتصل به الرجل مهنِّئًا إياه بحماس على لغته الفرنسية الرائعة. في بادئ الأمر، شعر أبي بالخوف، ثم امتلأ فخرًا بنفسه، وراح يحكي القصة لكل من يقابله.

إذًا، في يونيو 1954، تم استدعاء أبي إلى "جيورسكوسي"، تصرف على نحوٍ لائق نسبيًا، لكن المسألة بأكملها مؤلمة ومحرجة؛ أتخيل تردده وارتباكه وتفكيره في أعذار ومبررات.

- كيف سار التحقيق معك في 1949، فيما يتعلق بـ"إندري روشتا"؟

- أظن أن مَن حقق معي ضابط يُدعى "هورفاث". خلال التحقيق، سألني عن السبب في عدم ملاحظتي لانخراط "روشتا" في نشاطٍ مُعادٍ للوطن. سألني كيف فشلت في ملاحظة أن "روشتا" عدو قام - إلى جانب أشياء أخرى - بإرهاب الصحافة الهنجارية وإفسادها؟ في التحقيق، حثَّني "هورفاث" على الربط بين أنشطة "روشتا" وحقيقة أنه عدو. سألني بعدها إن كنتُ أعلم بأن "روشتا" جاسوس، أجبته بالنفي، فأكد لي أنه جاسوس لصالح جهات أجنبية، وسألني إن كان لديَّ الآن ملاحظات على تصرفاته بعد أن عرفت حقيقته.

كان هذا ملخص شهادتي في 1949 ضد "إندري

روشتا".

تشير الوثائق والسجلات أن مكتب رئيس الوزراء، بمساعدةٍ قويةٍ من أبي، عمل على تدمير الصحافة الهنجارية الحرة في 1949.

- هل كان هناك اتجاه في الإعلام الهنجاري لتحويل محتوى الصُحُف البرجوازية، بموضوعاتها المعتمدة على الإثارة، إلى محتوى قائم على الدعاية والبروباجاندا للأحزاب السياسية والحكومة؟

- ... تحتم علينا إعادة توجيه الصحفيين العاملين في الجرائد البرجوازية، لتغيير أنظمة ومحتوى صحفهم، والانتقال من أخبار الإثارة التي اعتمدوا عليها طويلًا، إلى تقديم آراء الحكومة والحزب.

- كيف ساهم "روشتا" في الخطة المذكورة؟

- اعتمدت طريقة "روشتا" على استدعاء محرري الصحف البرجوازية، أو التحدث إليهم عبر التليفون. في تلك اللقاءات، كان "روشتا" يوجههم إلى الأساليب التي ينبغي عليهم اتباعها، أعني بذلك أيَّ موضوعات يجب عليهم إلقاء الضوء عليها. كانت توجيهات "روشتا" مؤثرة، فقد صارت تلك الصحف تنشر موضوعات عن الزراعة والصناعة، وهي مقالات كان "روشتا" يسلمها لهم كاملةً أحيانًا، أو يُملي عليهم ما ينبغي عليهم كتابته في أحيانٍ أخرى.

- في إطار ما ذُكِر للتو عن نشاط "روشتا"، هل أصبح لهذه الصحف منهجٌ واحد؟ وهل تراجعت أعداد القراء

بسبب التوجهات الجديدة لتلك الصحف؟

- باتَ واضحًا أن جميع الصحف البرجوازية صارت تحمل طابعًا واحدًا. كان المكتب الصحفي لرئيس الوزراء يصدر أوامره لإدارات تلك الجرائد بالتوجيهات اللازمة. على كل حال، أبدى المحررون انزعاجهم من اضطرارهم لإعداد ونشر مقالات وموضوعات تتعلق بالحزب والحكومة. نشروا تلك الموضوعات بلغة جافة، لا يستسيغها القارئ العادي، ونتج عن ذلك تراجع أعداد القراء. لا يمكنني الجزم بأن ذلك كان متعمدًا من جهة "روشتا"، فوفقًا لما سبق أن ذكره هو شخصيًا، فإنه كان على علاقة دائمة بالقيادات العُليا في الحزب، وكان يعتمد في قراراته على الرفاق العاملين في مقار الحزب.

في الواقع، لم تكن قراءة هذا الهراء أمرًا مُسَلِّيًا على الإطلاق.

حدثت واقعة غريبة أخرى، عقب ذلك بأربع سنوات؛ في 26 مايو 1958، رنَّ ضابط تحريات في ملابسٍ مَدَنية، جرس بيتنا في 8 شارع "آتيلا" في "بودا". في تقريره، كتب نائب رئيس القسم الفرعي "هيوجو نيميث"، أنهم أتوا للتحقيق مع أبي، باعتباره عضوًا في ميليشيا العمال، بخصوص جارنا في الشقة الملاصقة لنا. لم تكن شهادة خادمة الجار عن سيدها كافيةً بالنسبة لرجال الشرطة، ولذلك لجأوا إلى والدي وإلى ساكنة أخرى هي "كورنيليا بولاسيك". لا أزال أتذكر ملابس أبي الخاصة بميليشيا العمال ذاتَ اللون الرصاصي؛ بل إنني رأيته بها مرة في مسيرةٍ لعيد العمال في الأول من مايو من العام ذاته

1958. عليَّ أن أعترف بأن مظهره في تلك الثياب لم يكن رائعًا، كان ذلك هو الزي الرسمي الرابع والأخير في حياته؛ الأول هو الملابس الخاصة بمدرسة "ميهاي إيمينيسو" الثانوية في "ساتمارنيميتي"، الثاني هو الملابس العسكرية للجيش الروماني، والتي خَلَت من أي شارة أو علامة، الثالث هو الملابس العسكرية الخاصة بالجيش البريطاني في فلسطين. المثير في المسألة هو احتفاظه بمسدس الخِدمة والرصاص الخاص به داخل دُرج مكتبه، كان ذلك خرقًا للقوانين المُتَّبعة، كما أعتقد. لطالما شعرتُ بالإثارة عند رؤية الرصاص النحاسي مبعثرًا وسط الأوراق. كانت هناك أوامر بالغة الصرامة لنا نحن الصغار، بعدم فتح الدُرج، إلا إنني كثيرًا ما كنتُ أفعل ذلك، وألعب بالرصاص في غياب أبي، كانت تلك القطع النحاسية جميلة حقًّا وثقيلة أيضًا.

لم يكن حارس العمارة السيد "لينارت" واشيًا، على الأرجح. أتذكر أبناءه، كانوا متوحشين ولا يجيدون لعب كرة القدم، كانوا يدفعون بعنف كل مَن في الملعب كالحيوانات، ولأنهم أبناء الحارس ويملكون بالتالي نوعًا من السُلطة، كنا نغض الطرف عن سلوكهم. عاشت أسرة "لينارت" في الشقة رقم 1 في القبو. عندما نلعب لعبة المعارك، كنا نحن الأولاد نجتمع أمام نافذتهم المُطِلَّة على الساحة الداخلية للعمارة. للذخيرة، كنا نجمع ثمار الكستناء، والأصداف، وغيرها. تدور المعركة بين فريقين، أحدهما في المساحة الفارغة أمام العمارة، والآخر داخل المبنى ذاته للدفاع عنه. لم تكن اللعبة خطيرة،

ومع ذلك كدتُ أفقد عيني اليُسرى مرة، حين قُذِف جزء من قالب طوب على السور الحجري العالي الذي أتحصن وراءه.

في شقة القبو، كان السيد "لينارت" يخرج فجأةً من وراء أولاده، وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه، ويقبض على أحدنا، ويفرك أذنه بين إصبعيه بمنتهى السعادة والاستمتاع. حين يغيب لبعض الوقت، يُدخِلنا أولاده في كشك الحراسة الخاص به، حيث نتصفح دفتره الكبير، ونقرأ ملاحظاته المُضحِكة عن سكان العمارة.

إذًا، في 26 مايو 1958، جاء ضابطا تحريات إلى شقتنا في 8 شارع "آتيلا"، الطابق الثاني، مبنى "د". أظن أن والدي شعر بالخوف حينها أيضًا؛ لا بد أنه أدرك ماهية الزائِرين اللذين يوشك على التعامل معهما. سألاه عن جارنا؛ ذلك الرجل الأعرج الذي كنتُ أخاف قدومه، كنت أرتعب منه، ومن وقع خطواته الثقيلة فوق السلم، كان الشرير الذي نسمع عنه في الحكايات الذي يأتي لمعاقبة الأولاد الصغار الذين لا ينامون سريعًا، أسودُ الشعر، أسودُ العينين، نادر الكلام، يعاني عرجًا واضحًا. اتضح أن لهذا الشخص أيضًا ملفا لديهم، ثم اتضح بعدها بسنواتٍ كثيرة أنه تم تجنيده قبل 1956. وفقًا لتقريرٍ كُتِب عنه، عُثِر عليه ضمن أوراق نائب رئيس القسم الفرعي "هيوجو نيميث":

"بشكلٍ عام، فإنه يغادر بيته صباحًا، ويعود شقته مساءً".

كان يفعل ذلك حقًّا؛ يعود في حوالي السادسة مساءً.

الكعب السميك للفردة اليمنى من حذائه الطبي، يضرب الدَرَج بصوتٍ واضح في صعوده لمسكنه. كان يحتاج وقتًا طويلًا للوصول إلى الطابق الثاني. كنت أخشى دومًا أن يلمحني. في ذلك التقرير أيضًا نقرأ:

"إنه لا يشارك جيرانه في المبنى السَكَني آراءه السياسية. خلال فترة الثورة المضادة، كان يمضي معظم وقته في البيت، أما إذا خرج، فإنه كان يسارع بالعودة".

أضاف "هيوجو نيميث" في تقريره:

"من خلال علاقاته، تمكن من الانضمام إلى الحزب عبر لجنة المنطقة في 1957، بعد رفض الحِزب الرئيس لضمه، بسبب خضوعه للمراقبة من قِبَل الشُرطة عقب أحداث الثورة المضادة، والشك في كونه أحد المنظمين".

كثيرًا ما كنتُ أراقبه من وراء الصندوق البريدي لشقتنا، وقد تسارعت نبضات قلبي في خوف. كنتُ أراه وهو يحاول إدخال مفتاحه في ثقب الباب بصعوبة، قبل انطفاء مصباح السُلَّم لممر طابقنا، تنبعث منه روائح الخمر والتبغ. على قدر خوفي منه، كانت تلك الروائح تفتنني، ربما بسبب امتناع والديَّ عن الشُرب والتدخين. ذات مرة، قالت إحدى الجارات لأبي:

- الرجل الحقيقي يشرب ويدخن.

لكنني لستُ متأكدًا إذا ما قالت ذلك في إطار رفضها لمحاولاته التقرب منها، أم كنوعٍ من التجاوب معه! لم يوضح أبي المسألة لي أبدًا.

في مبنى الأرشيف، حين تسحبُ ملفًا واحدًا، فإنك

عادةً تجد نفسك مدفوعًا لسحب غيره، وغيره، وينتهي بك الحال بأبراج من الأوراق والوثائق أمامك على طاولة المطالعة. قبل بضعة أيام (أكتبُ هذا في سبتمبر 2015) اكتشفتُ وثيقةً تثبت أن جارنا الأعرج كان قد جُنِّد من قِبَل المخابرات في أواخر الأربعينيات، حين كان يساريًا وعضوًا في حِزب الفلاحين الوطني. بالإضافة لذلك، انضم بشكلٍ سري لحِزب "الشعب الهنجاري العامل" الذي كان يُعرَف اختصارًا بـMDP :

"تم تجنيد العميل السري ، الذي يحمل الاسم الحركي "زُلتان بال" في 1949، بناءً على إيمانه الراسخ بأهدافنا. لم نلحظ لديه ما يدل على العمل السري المزدوج أو التآمري، وحتى بعد انتهاء الثورة المضادة، كان مستعدًا لمواصلة العمل من جديد. أفادنا عمله في إعادة هيكلة عناصر الجناح اليميني في محطة باكس للطاقة النووية NPP.

كان هذا جزءًا من تقرير كتبه ضابط شرطة يحمل اسم "يانوس إنجلهارت". لكن ملفات العميل فُقِدَت في فوضى 1956. وبعيدًا عن دوره المشؤوم في الحياة السياسية في ذلك الزمن، إلا إنه اتضح لي أن جارنا القديم لم يكن سيئًا أو شريرًا. كان والده حارسًا ليليًا بسيطًا:

"يسكن في شقة من حجرة واحدة، مؤثثة بشكلٍ جيد، وبها جميع الكماليات العصرية. لديه خادمة تتولى تنظيف المسكن. فيما عدا شخص أو اثنين، لا تربطه علاقة بأي من سكان العمارة، ويكتفي بتبادل التحية معهم. لدية دائرة واسعة من الأصدقاء الذين اعتادوا زيارته قبل

الأحداث، وتزايدت زياراتهم له أثناء الأحداث. خلال وبعد الثورة المضادة تردد عليه عدد كبير من المسؤولين المحليين والصحفيين القادمين من أقاليم أخرى. استمرت زياراتهم طوال ساعات اليوم، ومكث بعضهم حتى انتصاف الليل".

ورغم أنه انضم للحزب عقب "الأحداث"، فإن وزارة الداخلية أرادت التأكد من كونه يستحق إعادة تجنيده لخدمتها أم لا. ولأن مُدَبِّرة المنزل كانت امرأة عنيدة، وليست من النوع المطيع، فإنهم لم يستفيدوا منها شيئًا، ولجأوا إلى بابا - الذي هو بطبيعة الحال "الفرد المستعد لتقديم المعلومات المطلوبة" - ولم يبخل عليهم بأيِّ معلومةٍ يعرفها عنه:

"... وَفقًا له، فإن الزيارات لا تزال مستمرة، من نفس النوعية من الأشخاص، وفي الأوقات المعتادة نفسها، والتي كانت تتم بالنظام نفسه خلال الأحداث، ولكن بدرجةٍ أقل".

وُجِّهت لأبي أسئلة لمعرفة السبب في عودة هذا الرجل الصَموت، المتحفظ، الأعرج، ذي الحذاء الطبي، الذي اتضح أن لقب عائلته هو "بولاي"، إلى مسكنه في ليالي نهاية الأسبوع، بصحبة امرأة مختلفة كل مرة. في بقية الليالي، كان يرجع لبيته بخطواتٍ مترنحة تنم عن سُكره الواضح:

"يمضي أوقات فراغه بصحبة الأصدقاء والنساء. قليلًا ما يتواجد في شقته، إلا عند تردد الزوار المعتادين عليه.

تتسم حياته بالاستقرار المادي. يتواصل بانتظام مع أبويه وأقاربه في الأقاليم، ويقوم بزيارتهم أحيانًا. يزوره بعضهم أيضًا، ويبيتون لديه.

يمضي بعض أصدقائه الليل معه، وكثيرًا ما تبيت معه نساء شابات أيضًا في أجواءٍ احتفالية صاخبة. صحته ليست على ما يرام، وكثيرًا ما تم إبقاؤه في المستشفى لسوء حالة رئتيه".

آه! تلك "النساء الشابات"! كثيرًا ما تناقش بابا وماما في أمرهن بصوتٍ هامس بالعِبرية. حسنًا، كنا نفهم طبيعة الحوار بديهيًا، فـ"بولاي" بالعِبرية هو "بولاي" أيضًا بأية لغة أخرى! تزايد صمتُ رجل الحكايات هذا بمرور الوقت، وبات ينفر من صحبة العناصر المثيرة للشك، وهو ما أثار أسف السُلُطات، إذ جعلهم ذلك يفقدون مصدرًا مهمًّا من مصادرهم. أما أنا، فقد استمر خوفي العظيم منه، وكنتُ أركض صاعدًا الدَرَج كالقذيفة ما إن ألمحه قادمًا من بعيد. كنتُ أنتظره في بَسطة السلم المظلمة حابسًا أنفاسي، وأنا أتلصص على ذلك الشيطان الأعرج عبر النافذة المغبشة، وهو يعبر الساحة الداخلية للعمارة المغطاة بالحصى بين شجيرات الأزهار على الجانبين. كنت أقول لنفسي متفكرًا: "ليست صدفة أبدًا أن يكون لي جار مخيف لهذه الدرجة؛ إنه القَدَر".

قبل أن يقترب، كنت أسارع بدخول بيتنا وإقفال الباب بالمفتاح مرتين.

أما النهاية المُفاجِئة في ملفه فهي:

"في ضوء الإمكانيات المحدودة لاستغلاله، ولكونه عضوًا قياديًا في حزب العمال الاشتراكي الهنجاري، فإنه ليس بالإمكان ضمه إلى شبكتنا، ولذلك أقترح إبعاده من الشَبَكة، وعدم استغلاله اجتماعيًا".

امتلك رجل الحكايات الجرأة الكافية لرفع إصبعه الأوسط في وجوههم!

فكما يذكر التقرير:

"لم أستطع الحصول على إقرار موقع بالحفاظ على سرية العلاقة التي ربطتنا به عقب انتهاء خدماته لنا، إذ رفض المذكور كتابة الإقرار، متحججًا بأنه لم يُطلَب منه شيء مماثل عند بداية تعاونه معنا، لذلك فإنه لا يرى ضرورة لكتابته الآن".

أسمعُ أبي وهو يثرثر مع أمي بصوتٍ خافتٍ عن رجل الحكايات، أنا في الخامسة، حين يلاحظان أنني أراقبهما، يدخلان الغرفة الأخرى ويغلقان الباب خلفهما.

لكن هذا ليس عن بابا.

كان على "بروريا" أن تتولى ذلك الحِمل الثقيل من بعده نيابةً عنه.

وزارة الداخلية - سري للغاية

القسم الفرعي 1/3-4

طَلَب رسمي

بودابست - 20 نوفمبر 1975

أطالب بإظهار الجزء الثالث من ملفات "م"، الذي

يحمل رقم "ز-281"، للعميلة السرية "باباي".

كارولي ميرس - ضابط شُرطة

بتصريحٍ من:

يوزيف ستوكل

أوسكار كيس - ملازم شرطة

نائب رئيس قسم مساعد

إلى: مدير السجلات

إدارة مجموعة 3/1، وزارة الداخلية

تقرير مُشترَك

لماذا استخدموا "بروريا" كبديل لـ"مارسيل"؟

بدأ استغلال نشاطها عقب مرض زوجها كبديلٍ له.

هكذا تم الأمر بوضوح. إن كانوا حقًّا بحاجة ماسَّة لها، حينها، لِمَ لم يجندوها كفرد مستقل؟ لِمَ منحوها اسم أبي الحركي؟

حين أوكلوا إليها "بعض المهام الصغيرة"، كما جاء في تقرير ضابط الشرطة "ميرس" في تقريره المكتوب بتاريخ 4 فبراير 1976، كان "باباي" لا يزال متعاونًا معهم، رغم مروره بثالث وآخِر انهياراته العصبية في 1973. ربما كان هو من رشح زوجته للعمل معهم كمترجمة بدلًا منه. الواقع أنه كثيرًا ما تم تجنيد زوجات وأزواج أعضاء الشبكة العاملين في الخارج، لعدم قدرة شركاء الحياة على إبقاء هوياتهم وأنشطتهم سرية عن بعضهم بعضًا على كل حال؛ إنه أحد الأمور التي يتعامل

معها المسؤولون باعتبارها قاعدة لا تقبل الشك في عالم الجاسوسية! أظن إذًا أن "بروريا" كانت تعرف أن لزوجها، المراسل الصحفي لوكالة الأنباء الهنجارية، عملًا إضافيًا آخر. من جهة أخرى، ربما لم تكن تدرك بالفِعل الجهة الأصلية التي تعمل لها، حين قدمتْ أولى ترجماتها لمعهد تاريخ السياسي بـ"هنجاريا" في أوائل السبعينيات، أو كانت تعلم، فالأكيد أنها لم تعرف الاسم الذي أشاروا إليها به في تقاريرهم:

"سافرتْ السيدة "باباي" إلى "إسرائيل" مرتين في السنوات الخمس الأخيرة، أوكلنا إليها بعض المهام الصغيرة في كل مرة. عند استجوابها، أخبرتنا ببعض المعلومات المفيدة. لتغطية تكاليف تعاونها معنا، منحناها مئة دولار".

كانت مريحةً في التعامل معها بالنسبة للضباط المسؤولين عنها، دونًا عن بقية العملاء السريين، الذين اضطر الضباط لإخافتهم وتهديدهم وابتزازهم وضربهم في الأماكن العامة أو في الشقق المخصصة للقاءات والاجتماعات؛ حين يلين العميل السِرّي ويُبدي استعدادًا تدريجيًا للتعاون مع السُلْطات، يتم تدريبه كعضوٍ في الشَبَكة. كل هذا مذكور في كتاب "النُسخة المُعَدَّلة" لـ"بيتر إسترهازي"، الذي اعتمد فيه على نموذج أبيه. ورغم كونها عميلًا مُريحًا، إلا إن جانبًا من "بروريا"، بقي غامضًا. عادةً، يختبر المسؤول عن التجنيد كما لو كان سَبّاحًا، الماء بطرف إصبع قدمه الكبير، ليتأكد من درجة حرارة الماء، وبعدها يبدأ في إسناد المهام لعميلِهِ

السري، ويصل في نهاية الأمر لِدَسِّ ورقة بمئة دولار في كفه. الأمر أشبه بمنح ورقة مالية لعازف كمان غجري، كي يعزف لك موسيقاك المفضلة. حين قبلت "بروريا" المال - كانت بحاجةٍ للمبلغ دون شك - كانت تعلن عن موافقتها على الصفقة، بعدها سار كل شيء بمنتهى السلاسة.

سلاسة مرعبة.

في أول مهمة رسمية لها، وبعد تدريبها على مختلف الأمور المتعلقة بالخدمة السرية، سافرنا معًا أنا و"بروريا". ذهبنا بالقطار إلى "أثينا"، ومن هناك؛ من ميناء "بيريوس" عبر "قبرص" إلى "يافا". كنتُ في الثالثة والعشرين، لا أزال أتذكر كم بدا لي مشهد ثمار البرتقال وهي تتدلى من أشجارها في اليونان خياليًا، رأيتُ المشهد صباح أحد الأيام الباردة المليئة بالضباب، في حديقة مُضيفينا العابسين على الدوام. كانت المرة الأولى التي أرى فيها فاكهة على أشجارها، عدا التفاح والكمثرى.

قراءة التقرير الأول الذي كتبته ماما، أمرٌ مرعب. صحيحٌ أن عائلتنا هي التي تكفلت بدفع مصاريف الرحلة، لكن هذا لا ينفي بشاعة رؤية الإيصال المُرفَق به، والذي وقعت عليه باسم "السيدة مارسيل فورجاتش". لم أفهم حينها سبب توترها الدائم أثناء الرحلة، لم يكن بابا معنا؛ ما يعني أنه كان عليها الشعور بالارتياح والاسترخاء، لكنني أفهم الآن. تَحتَّم عليها الملاحظة والتسجيل طوال الوقت؛ تسجيل، تسجيل، تسجيل دون توقف. القائمة

التالية مثيرة للضجر، لكنها ستمنحكم فكرة عن التقارير التالية التي كانت شديدة التشابه ببعضها، والتي كتبتها "بروريا" وفقًا للتوجيهات الآتي ذِكرها:

"نظرًا لما سبق، وتحت الأمر رقم 0024/1966، أوصي بتزويد السيدة "باباي" بمعلوماتٍ مختَصَرة حول المجالات التالية:

- الوضع السياسي الداخلي الحالي في إسرائيل.

- أوضاع المهاجرين، وأسباب الهجرة مِن إسرائيل.

- الظروف الاقتصادية الداخلية، وتطوير المستوى المعيشي.

- الاستعدادات القائمة للمؤتمر العالمي التاسع والعشرين للصهيونية.

- رد الفعل الإسرائيلي تجاه مؤتمر "من أجل اليهود السوفيتيين" المنعقد في "بروكسل".

أما بخصوص موقف العميل الإسرائيل النشط:

- التفتيش عمليًا عند دخول الدولة والخروج منها (جوازات السفر، والتفتيش الجمركي، والتفتيش الذاتي، إلخ..)

- التسجيل عند الدخول، وتعبئة البيانات اللازمة، والأسئلة الموجهة، والإجراءات بشكلٍ عام.

- علامات تدل على المراقبة، سواء المراقبة المباشرة أو غير المباشرة، وربما أخذ الاحتياطات للحد من النشاط الهادفة مع وضع كل ما يثير استياء الهدف.

- السفر والتنقل داخل إسرائيل، والقيود المفروضة على السفر محليًّا وإقليميًا".

لم يكن أداء هذه المهام سهلًا على شخصية عاطفية متسرعة مثلها، إذ كان عليها الجمع بين التحليل السياسي الاحترافي، والموضوعية الاجتماعية، المُعتَمِدَيْن على معلوماتٍ دقيقة، بالإضافة إلى الحذر الشديد المتوَقَّع من أيِّ جاسوس. ثم يكشف التقرير عن معلومةٍ مُضحِكة لا قيمة لها في الواقع: استطاعت أمي إقناع رفاقها بضرورة سفري معها؛ لأنني سأتولى ترتيب النتاج الأدبي لجدي. حقيقة الأمر طبعًا، أن مستوى لغتي العِبرية حينها كان مُتَدَنِّيًا جدًّا ولم يتحسن كثيرًا منذ ذلك الوقت. علَّمتُ نفسي العِبرية بجهودي الذاتية، معتمِدًا على كتاب تافه من ألمانيا الشرقية، خلال فترة عملي في مصنعٍ للمسامير القلاووظ، في "هولون" - وهي مدينة صناعية على الأطراف الجنوبية لـ"تل أبيب" - جنبًا إلى جنب مع عمال عرب. أثناء فترة استراحة الغداء، كنتُ أجلس على سلم المصنع، وأفتح كتابي. لم يكن بإمكاني تبادل الحديث مع زملائي القادمين من الضفة الغربية، والذين لم يكونوا يجيدون سوى كلمات قليلة متفرقة من اللغة الإنجليزية. كانت دراستي اللغة العِبرية من ذلك الكتاب نكتة؛ تمامًا كما لو كنتَ تدرس الهنجارية اليوم من كتابٍ يعود إلى عام 1958. كنتُ قد اشتريت كتابي من "برلين" الشرقية في 1972، حين كنتُ أتعلم العزف على الطبول مع فرقةٍ موسيقيةٍ تُدعى "أورفيو".. لكن تلك حكاية أخرى؛ دارَ الكتاب العِبري حول رجال

ونساء الطبقة العاملة، وقدرتهم على الإنتاج، وعائلاتهم النموذجية، كما رسمها لهم "والتر أولبريخت" كأهم قائد شيوعي للبلد لعدة عقود. الخُلاصة إذًا، أن تلك العِبرية قد توقف استخدامها منذ زمن، وبخاصة لطبيعتها الاشتراكية التي كانت تثير ضحك الشُبّان الإسرائيليين لاحقًا.

لكن السبب الوحيد الذي جعلني أواصل دراسة اللغة، هو رغبتي الصادقة في اكتشاف أسرار لغة أمي الأصلية. لكن ما تعلمته، حتى من الشوارع في إسرائيل، لم يكن به أي غموضٍ أو أسرار؛ مجرد لغة عادية. حفظتُ المفردات بطريقةٍ روتينيةٍ معتمدةٍ على التكرار. بعد سنوات، كانت الكلمات تفاجئني بغتةً في لحظاتٍ غير متوقعة، وتجعلني أرى العالَم من منظورٍ جديد، كطفلٍ صغير؛ الماء "مايم"؟ كيف تتحول كلمة water إلى "مايم"؟ الأمر أشبه بتأمل بلورة سحرية، تتوالى على سطحها صُوَر الماضي والمستقبل، أو باختراق جسد أمي عبر الأشعة السينية. "موتِك" هي الشيء الحلو أو اللطيف، "مِلَح" هو الملح، "راتوُف" هو البلل أو الشيء المُبلل، و"يافِش" هو الجاف، و"خوريف" هو الشتاء، بينما الـ"ياكيتس" هو الصيف، الشخصُ الـ"آتسوف" هو الحزين، والـ"آليز" هو السعيد المبتهج. لاحظتُ من خلال هذه المفردات أمورًا متناقضة، منها مثلًا أن أحرف كلمة "راتوف" جافة للغاية ولا توحي بالبلل مطلقًا؛ وأن حرف الشين في "يافِش" رَطبٌ ومبلل وليس به شيء من صفات الجفاف. بتأمل هذه الكلمات الغريبة بالنسبة لي،

وجدتُ مدخلًا لفهم أمي من منظورٍ جديد هو حواسها: البصر والسمع والشَم؛ أعدتُ تركيب طفولتها، فهمتُ عالمها المعكوس والمختلف، صححتُ وقفتها المقلوبة؛ لم تعد تقف على رأسها بل على قدميها كالآخرين. كانت لغة أمي بمثابة لعبة "بازل"، حين أعدتُ تركيب قطعها المتناثرة، استطعتُ تشكيل أمي من جديد. أمي، امرأةٌ من قطع "موزاييك". لهذه المفردات إحساسٌ ملموس، شعرتُ به وهي تخرج من فم أمي، وأشعر به الآن بعد أن تعلمتها وعرفتُ معانيها. اللغة كجهاز تسجيل مُخَبَّأ أو كاميرا تمكنك من التلصص تجسست عبرها على أمي.

عادةً ما تبادل أبواي الحديث بالعِبرية في البيت، حتى لا نفهم ما يقولان. كان عقلي بمثابة مخزن لكل تلك الكلمات التي لا أفهمها، والتي - على الأرجح - ما كنتُ سأفهمها يومًا. حين أضيئت تلك المصطلحات العِبرية في عقلي، وفجأةً، كما لو بطريقةٍ سِحريةٍ، اكتشفتُ أنها هي ذاتها التي استخدمها أبواي لسنوات. كانا يتقاذفانها بينهما في حِدة، إذ إن العِبرية بالنسبة لهما كانت لغة الخلافات والشِجارات، وليس الحب والمودة، اللغة التي يجرحان بها بعضهما، وليست التي تربط بينهما في تناغمٍ وفهم. حين فهمتُ اللغة، فهمتُ شيئًا عن الكون، وعن جميع اللغات التي ظهرت على الأرض. واقع الأمر أن الشجارات المتكررة، أزالت شيئًا من غموض تلك الكلمات التي ظلت تتطاير في أجواء بيتنا مُحَمَّلةً بالسموم، كما لو كانت سِهامًا، أو حجارةً يقذفانها في وجه أحدهما الآخَر.. "زي لو بيسيدير! آين لي

كيسيف" (الأمر ليس على ما يرام! ليس لدي مال!).

عندما كنتُ صغيرًا، كانت أغاني الهدهدة التي أنام عليها بالعِبرية، تلك الكلمات التي تذوب في الفم كحلويات شرقية، مغمَّسة في عسلٍ من الألحان العذبة، ومغلَّفة بروائح شهية، كانت تمرًا وحلوى وشوكولاتة، بل ورائحة تبغ سجائر "مارلبورو"، التي كانت تأتي إلينا في علب كبيرة حين يزورنا ضيوف من إسرائيل، يشترونها لنا من المطارات كهدايا متميزة. حين سافرتُ في رحلتي الأولى معها، تجولتُ في "روثتشايلد" و"بِن جوريون" و"ديزنجوف" وفي "يافا"، وتمشيتُ على شاطئ البحر، واستنشقتُ الروائح المختلفة. مع كل يومٍ جديد، وكل مفردة جديدة، تنامى إحساسي بضرورة فهم أمي بشكلٍ أعمق. كانت تلك الكلمات الغريبة والعادية في آنٍ واحد، البدائيةِ النطق، والجُمَل التي تُنطَق بصوت مرتفع بتركيباتها اللغوية الغامضة، هي الحمض النووي الخاص بأمي.. (أطلق أخي الأكبر على هذه اللغة - التي لم نكن نفهم منها شيئًا - اسم "لغة الشوفان"! في إشارةٍ للشوفان الذي صارت "بروريا" تعده لنا كل صباح بانتظام، منذ رحلتنا إلى لندن). بعد فترة، أبدأ في تعلم قراءة الحروف العِبرية - التي تفتقر إلى أحرف متحركة واضحة - من لافتات الطُرُق، أقوم بتهجئتها ببطء كتلميذٍ صغير وأنا أستقل الباص عبر المدينة؛ لا يعني ذلك أنني أجدتُ اللغة بطبيعة الحال.

في تلك الرحلة، اختارتني أمي لأرافقها. كان من المتوقع أن تصطحب أخي الأكبر بعد أن أخذت معها في

الرحلة السابقة شقيقتي الكبرى، لكنها فضلت السفر معي أنا. أغلب الظن أنها كانت تشعر معي بالأمان (وانتهى الأمر بأنني أنا الذي اطَّلع على أسرارها).

"تمَّت دعوة ابنها لأنهم وجدوه مناسبًا؛ لديه شهادة في علوم الإنسانيات، سوف يقوم بإعادة تنظيم نتاج جده من المؤلفات الأدبية والسياسية".

هذه المرة، لن تحصل "بروريا" على أيِّ مال من رؤسائها، لكن هذا لا يشكل فرقًا، ربما يشكل فرقًا بعض الشيء، كلا، على الأغلب، ولكن ربما..! اعتاد قلبي على الصمت.

في رحلتها الخارجية الحالية، لن نقوم بتغطية تكاليف السفر، ولا أيَّة مصروفات أخرى. تعتمد المسألة بأكملها على توافر وثائق ضمن المؤلفات السابق ذِكرها يمكن استغلالها ضد المنظمات الصهيونية أو القيادات العُليا، أو عدمِه.

المسألة إذًا، باختصار، هي تفتيش أوراق جدي. تكشف وثيقة صادرة بتاريخ 30 يناير 1977، حماس أمي المتقد (ماما، مامي، أمي العزيزة) للمسألة، ما جعلهم يوصون بتعويضها ماديًا في الرحلة التالية التي ستتم بعدها بسنة.

<u>الأمور المالية:</u>

نظرًا لعدم إمداد السيدة "باباي" بأيِّ مال لتغطية تكاليف رحلاتها إلى إسرائيل حتى الآن، فإننا نوصي بالتالي:

- تذكرة طيران: 8000 فورينت

- تذكرة باخرة: 400 دولار أمريكي
- مصروفات مختلفة: 100 دولار أمريكي

نطالب بإذنٍ رسميٍّ لاستخراج عُملة أجنبية؛ سوف نعمل على توفير مبررات ملائمة لهذا الطلب تجعله قانونيًا.

آه! مبررات ومناورات لجعل تلك المبالغ رسمية وقانونية! الإغواء، خطوة خطوة! نرى ذلك بوضوح فيما كتبه الضابط "أوتو سيلبال"، في عمله الخالد "المبادئ والوسائل العامة للإدارة والتدريب والتعليم، والتحكم في أعضاء الشَبَكة"، والذي كتبه قبل هذه الأحداث التي أوردها هنا بوقتٍ قصير. الموضوع الذي حمل عنوان "درجات المديح" أقرب لقصيدةٍ دادية!

درجات المديح:

I. يقوم الضابط المسؤول بمدح عضو الشبكة والثناء عليه.

II. يقوم الضابط الأعلى منه درجةً بالتعبير عن إعجابه بعمل ونشاط عضو الشبكة والثناء عليه.

III. في حال تحقيق العضو لإنجاز بالغ التميز، يمكن ترشيحه لمكافأة أو تكريم.

يمكن منح المكافآت في أيِّ وقت بطبيعة الحال، لكن الطريقة التي يتم بها ذلك مهمة جدًّا، إذ "يتعامل بعض المتعاونين مع الشبكة بحساسية مفرطة مع المكافآت المالية" ويجدونها "جارحة للغاية ومزعجة".

أنواع المكافآت:

مكافآت مالية؛ هي النوع الأكثر بساطة، وتتم عند توافر الشروط الموضوعية والذاتية الملائمة. يجب مراعاة التالي عند منحها:

- يتعامل بعض المتعاونين مع الشبكة بحساسية مفرطة مع المكافآت المالية، ويجدونها جارحة للغاية ومزعجة.

- يفضل عدم استخدام هذه الطريقة في حالة العملاء المجنَّدين بسبب إدانتهم بأعمال شائنة.

بمعنى آخر، يجب إبقاء العملاء الذين تم تجنيدهم كنوعٍ من الابتزاز، تحت ضغطٍ وحاجةٍ دائمَين، حتى لا يشعروا بثقةٍ زائدةٍ في أنفسهم وقدراتهم.

- يجب ألا تكون المكافآت دورية ومنتظمة (أيْ غير شهرية أو ربع سنوية مثلًا).

- في حالة العملاء الذين تم تجنيدهم من وسط دوائر الأعداء، وصاروا يعملون ضدهم، فإن الأفضل هو منحهم مكافآت في المناسبات الاستثنائية فقط.

ولكن إن كانت المكافآت المالية تزعج بعض الأرواح الحساسة، فيمكن منحهم هدايا عوضًا عن ذلك، وحتى حينها، فمن الضروري ملاحظة ما إذا كان العميل سعيدًا بها أم لا؛ يجب فعل ذلك بسرية تامة، ومراعاة ضرورة أن:

تخدم الهدية أهدافنا في تعليم الشخص، وأن تكون ذات فائدة عملية وثقافية بالنسبة له، وأن يسعد بها. إن لم يكن اختيار الهدية موفَّقًا، فلن تخدم أهدافها على الإطلاق، فيجب أن تتناسب مع اهتمامات العميل وولعه

وهواياته. على سبيل المثال، فإنه يمكن منح المهندس أو الباحث كتابًا يتعلق بمجاله؛ أما هواة الفنون الجميلة وجمع الطوابع والأوسمة والتحف، فيمكن منحهم إضافةً جديدةً لمجموعاتهم.

ولكن ماذا سيقول العميل في بيته؟ كيف يبرر المال الذي ظهر فجأة؟ أو الساعة الأنتيكة؟ يمكن منح الهدايا في حال:

- تمكُّن عضو الشبكة من تبرير امتلاكه لها لمن حوله.

لكن الداهية "أوتو سيلبال" يمتلك وصفةً لـ"تبرير امتلاك المال الإضافي والهدايا:

الإجازة القانونية المكافآت:

.. على عضو الشبكة أن يمتلك مبررًا مقنعًا لمصدر المال الإضافي، أو الهدايا، أو غيرها من المكافآت؛ يجعل وجودها مقبولًا من جانب محيطه الاجتماعي الضيق والواسع، على حدٍّ سواء. يجب أن يتزوّد بقصة مُبهَمة وغامضة، يمكن إثباتها في الوقت ذاته، يقدمها لمن حوله (وبخاصة من ينتمون لدوائر الأعداء)؛ قصَّةٌ يمكنه مواصلة استخدامها طوال الوقت، على الضابط المسؤول عنه مساعدته في التوصل إليها وحَبْك تفاصيلها. إنَّ إهمال تفاصيل هذه المبررات، يؤدِّي في بعض الأحيان لنتائج كارثية، أقلها إيقاف التعاون مع العميل السري. من الضروري، في حالة المكافآت المالية تحديدًا، إيجاد سببٍ لها؛ على سبيل المثال: الجمعيات الشهرية، أو اليانصيب، أو الفوز بجائزة، أو عمل إضافي.

أما الهدايا العينية، فإن تبريرها أكثر صعوبة وتعقيدًا بعض الشيء، ولكن يمكن الاعتماد على التالي: وجود إيصال لمصدر مالي متوقع أو غير متوقع، تم الاعتماد عليه لشراء الغَرَض المذكور. يمكن أيضًا الادِّعاء بأن العميل اشترى الغَرَض لنفسه من مالٍ ادَّخره دون عِلم بقية أفراد الأسرة.

هناك قاعدةٌ أساسيةٌ ينبغي اتِّباعها في كل الظروف:

القاعدة العملية الجديرة بالاهتمام، هي الامتناع عن شراء الهدايا غير المألوفة واللافتة للأنظار من حيث الشكل والقيمة؛ يجب أن تتوافق الهدية مع محيط الشخص السَكَني والوظيفي، ينطبق هذا بشكلٍ خاصٍ على المُدُن الصغيرة والقرى.

ثم يأتي "سيلبال" على ذِكر ما يُسَمِّيه "خدمات ذات صفة نفعية" يمكن تقديمها في "إطار قانوني"، وكنوعٍ من "المساعدات ذات الطابع الإنساني"؛ والأكيد أن أمي العزيزة لم تتردد في استغلال "المساعدات ذات الطابع الإنساني"، وأعني بها استخراج جوازات سفر لنا:

إذا تمكن الأفراد العاديون من الحصول على الخدمات التي لا ينالها الناس عادةً إلا بصعوبة، أثار ذلك الشكوك ولفتَ الانتباه. ينطبق هذا بشكلٍ خاص على الإجراءات القانونية المتعلقة بوزارة الداخلية (على سبيل المثال: جوازات السفر وشهادات الفيش والتشبيه، والأذونات المختلفة). يمكن تقديم مكافأة من هذا النوع في نطاقٍ ضيق، وبعد موافقة جماعية من الضباط المسؤولين، إذ إن المسألة في مُجمَلها خطيرة وصعبة التبرير؛ إلى جانب

أنها قد تؤدي إلى الفساد والانحدار لهوة المحسوبية، ولهذا السبب تحديدًا فإن المكافأة بمثل هذه الخدمات يجب أن تكون نوعًا من المساعدات ذات الطابع الإنساني (على سبيل المثال: إتاحة مكان في مستشفى، أو العلاج عند طبيب معين، أو الحصول على دواء غير متوفر، أو أماكن للنقاهة).

لكن جميع هذه الأمور تُعَدُّ تافهة؛ ليست بالغة التفاهة في الحقيقة، لكنها تافهة على كل حال. ما بدأ في الرحلة الأولى، تحول إلى ما يشبه الانهيار الثلجي الذي يستحيل إيقافه. بِلُغَةِ المخابرات الرهيبة، يُسَمَّى ذلك المصطلح بـ... إن نطقه وحده كفيل بإصابتي بالغثيان. عليَّ أن أقوم من مكتبي، أقف، وأستنشق نَفَسًا عميقًا، وأقرر المشي قليلًا، أشعل سيجارة، وأعد لنفسي فنجانًا من القهوة، أواصل السير في المكان، محاولًا السيطرة على نبضات قلبي المتسارعة، الذي يدق بقوة كمطرقة. عبر سور البلكونة، أتأمل الممر والساحة الخاجية للمبنى، ثم أعاود الجلوس أمام الكمبيوتر. يداي فوق لوحة المفاتيح، وأصابعي تستعد للضغط على الحروف، لكنها بانتظار أن يصدر مخي أوامره، أن أكتب (كلا! لا تفعل!) عبارة "النشاط البحثي للفرد الجالب للمعلومات السرية"، كما تشير إليه المخابرات. ليتني أستطيع الآن إيقاف حركة قلم الحبر الجاف في يد أمي، حين كان أبي ينام بعمقٍ في حالةٍ أقرب للغيبوبة بسبب المنومات التي يأخذها، والتي كانت كفيلة بإصابة حيوان وحيد القرن بإغماءة قوية! ضوء القمر الصامت يتسلل عبر النافذة، تغادر أمي

فراشها، لعلها لم تستطع النوم من الأساس، تجلس إلى طاولة المكتب المنخفضة غير المريحة؛ إنها سعيدة لأنها غير مريحة، تنحني عليها، وتبدأ في الكتابة بقلمٍ من الحبر الجاف، لأنها لا تجيد الطباعة على الآلة الكاتبة. حسنًا، ربما لم تكن تنتظر نوم أبي لتبدأ عملها، فقد رأيتُ بعض التقارير المكتوبة بخط اليد، والتي تعكس بوضوحٍ تام الأسلوب المميز لطريقة أبي في الصياغة، أبي الذي يُفتَرَض أنه كان مختلًا ومشوشًا في تلك الفترة. يبدو إذًا أن عددًا من تلك التقارير كان نتيجة عمل مشترك بين السيدة "باباي" والسيد "باباي"، إن كانت صحة الأخير تسمح بذلك، أو إن ضغطت عليه أمي كنوعٍ من العلاج ربما، أو بسبب خوفها وتوترها من العبء الملقى عليها. واقع الأمر أنها لم تكن تستطع كتابة جملتين مرتبطتين ببعضهما على نحوٍ متماسكٍ ومفهوم، كانت الكلمات تعصيها كأطفال أشقياء غير مُطيعين. باختصار، اضطر أبي لتقديم المساعدة وعمل جنبًا إلى جنب معها؛ ولعل هذا ما يفسر اشتراكهما في الاسم الحركي ذاته.

حسنًا، هذه هي حقيقة الوضع، لنُسَمِّ الأشياء بأسمائها، هناك ما يُعرَف بـ"العميل الهدف" و"العميل صاحب المعلومات السرية"، إنها مصطلحات معروفة ومنتشرة، ولذلك فإنني لا أدري سبب نفوري من كتابتها، أو ربما أدري في الواقع! إنه شخصية أمي، وذلك المزيج من الحماس والرغبة في التواصل والمباشَرة، الذي يمكنها من بدء حوارات مع أيِّ شخص وفي أيِّ ظرف، إلى جانب اقتناعها التام والصادق بأن ما تقوم به هو مجرد مهمة

تؤديها لصالح الحزب؛ إنه عملها ووظيفتها.. لم تلحظ أبدًا المستنقع الذي كانت تغرق فيه شيئًا فشيئًا. خلال رحلتنا الأولى معًا إلى إسرائيل، لاحظتُ فورًا كيف ينخرط الغرباء في حواراتٍ مع بعضهم في الشارع. كنتُ قد رأيتُ ذلك في "هنجاريا" أيضًا عند اشتداد الأزمات؛ لكن الوضع في إسرائيل متأزم على الدوام؛ هناك ما يشبه الهستيريا الجماعية طوال الوقت، هناك دومًا سبب يدفعك للتحدث مع الآخرين في محطات الباص والمحلات التجارية وقاعات الموسيقى. في الشوارع، يتبادل الناس التحية وكأنهم يعرفون بعضهم منذ ألف سنة! بل ويفعلون ذلك دون حتى أن يهتم أحدهم بتقديم نفسه للآخر. في كثير من الأحيان، ألمح أحد الواقفين في محطة الباص وهو يقدم ثمرة برتقال، أو أيَّ نوع من الطعام يحمله معه للشخص الذي يجاوره. سرعان ما يُفسِد المشهد تزاحم الناس عند وصول الباص وتدافعهم للركوب، ولكن حتى ذلك التدافع كان يُعد تجربة حياتية واجتماعية جديدة بالنسبة لي في إسرائيل.

حين برز أمامي اسم أحد أفراد العائلة في ملف أمي للمرة الأولى، كاد قلبي يتوقف من المفاجأة؛ كان اسم ابنة خالتي التي تعيش في "ميلانو"، والتي تعشق أمي وتبادلها أمي العشق. منذ تلك اللحظة، لم أعد أصاب بالصدمة من أيِّ شيء:

"سوف تُطَلَّق "هـ. هـ." عمَّا قريب، إنها لا ترغب في العودة إلى "إسرائيل"؛ سوف تواصل العيش في "إيطاليا". تجد صعوبة في الحصول على عمل كمهندسة

معمارية، ولذلك قررت اتخاذ مهنة أخرى. غالبًا، ستفتتح لنفسها متجرًا، أو شيئًا من ذلك القبيل. أعلنتْ أيضًا أنها ستسعد لو تمكنت من الاستقرار في "هنجاريا"، لكنها لن تفعل ذلك قبل نحو 10 أو 15 سنة.

عرضتْ السيدة "باباي" زيارة قريبتها في "ميلانو"، إن رأينا حاجةً لذلك، على أن تقوم بدعوتها إلى "هنجاريا" في وقتٍ لاحق.

طلبتُ من السيدة "باباي" إعداد تقرير مُفصَّل عن المذكورة أعلاه".

رأيتُ شيئًا مغايرًا في خلفية الموضوع؛ كان شَكًّا، أو ربما رغبةً قويةً في تجميل الواقع القبيح. رغبتُ في تصديق أن "بروريا" كانت متيقنة أن موضوع ابنة أختها لا ينطوي على أيِّ قيمة حقيقية، وأنها أرادت فقط إثبات جهودها واستعدادها التام للتعاون مع المخابرات. الحقيقة أنه لا نهاية لطلباتهم وأوامرهم.. "أعطينا اسمًا؛ أنتِ تعرفين الكثير من الأشخاص، ما الضرر في إخبارنا باسم أحدهم؟" وكطفلة مُطيعة، نطقت باسم وقد تملكتها الحيرة، لعلها لم تشعر بالحيرة مطلقًا! ("لم يكن عليكِ فعل ذلك يا أمي!".. أعود فأقول لنفسي: "اسكت أيها الطفل! لا وقت للرثاء والحزن!".. "ولكن ما كان عليكِ فعل ذلك!") نعم، لا بد وأنها ذكرت الاسم لإسكاتهم فقط، وأنها كانت متأكدة من عدم وجود خطر يهدد ابنة أختها، وأنها قادرة على حمايتها وتوضيح أيِّ لبس قد تقع فيه؛ السذاجة التي تدفعنا دفعًا نحو الشر! تساوى الأمر، سواء أثْبَتَ إمدادُها إياهم بالاسم فائدةً أم لا، كلا،

غير صحيح؛ لقد ارتكبتْ هذا الفِعل بوعي كامل، وطالما استطاعت الإقدام عليه مرةً فإن تكراره سيكون سهلًا، وسيصبح أكثر سهولة في كل مرة.. ستبوح أولًا باسم شخص، ثم تفاصيل ومعلومات سرية وشخصية للغاية لتلك الآلة المجهولة غير المحددة، والتي هي على الأغلب الحزب؛ ذلك الكيان المقدس للغاية بالنسبة لـ"بروريا" كقداسة الكنيسة عند المتدينين، التقديس الذي جعلها تمنحهم بكل سهولة وبساطة أسماء أشخاص تبادلت معهم نظرات ودودة، أو زيارات، أو تعاملوا معها باحترام وإعجاب، دون أن يدركوا أنها قد سقطت في مستنقعٍ قذر. إن كان ذلك الشخص محظوظًا، فإن ملفه سيضيع أو سيتم التخلص منه كما حدث غالبًا لملفات أبي، ولن يعرف به أحد.

لكن ذلك لن ينفي أنه حدث؛ لا شيء سيغير هذه الحقيقة.

لم تكن ابنة خالتي اللطيفة هي السقوط الكبير لـ"بروريا"، ولكن شخص آخر لم أكن أحبّه كثيرًا، ورغم أن قراءة اسمه أصابتني بانزعاجٍ بالغ، إلا إنني لم أشعر بصدمةٍ كصدمتي الأولى. للصدفة، هو أيضًا مهندس معماري، لكن قرابته لنا ليست وطيدة مثل "هـ". كان شريك حياة إحدى قريبات "بروريا" في "إسرائيل"، ويماثل "بروريا" في العُمر. يبدو أن أمي اختارت التدرب على أقربائها أولًا! ويبدو أيضًا أنها واصلت السير في هذا الطريق بحرصٍ واجتهاد!

وما الذي يحدث عندما تكتشف فجأة، وسط الكثير من

الأوراق الرسمية البلهاء، اسمًا مألوفًا كنتَ قد نسيته تمامًا منذ زمن طويل؟ تكتشفه وتحديدًا داخل ملف تورطت فيه أمك؟

يحدث التالي: يقفز الشخص المقصود من بين الأوراق، كما فعل المهندس معي ذلك اليوم، يظهر أمام عينيَّ تحت شمس "تل أبيب" وهو يشرح لنا شيئًا قبل أن يصطحبنا إلى مكتبه، كبطل في رواية لـ"تولستوي". أكاد أرى مسام بشرته وهو يشيح ببصره عني. لهذه المفاجآت المتوالية في ملفات أمي طعم كعك الـ"مادلين" الذي كان "بروست" يغمسه في الشاي، في "البحث عن الزمن المفقود". طاف بنا ذلك العَمُّ أرجاء مكتبه في "تل أبيب"، وهو يشرح لنا أمورًا مختلفة بصوتٍ مرتفع ممتلئ بالحماس، كعادة أولئك الثرثارين الذين يتحدثون فحسب دون الاهتمام إن كان أحد يصغي إليهم. تَذَكَّر ما قاله "دوستويفسكي" عن بطله "راسكولنيكوف"، حين دخل ذاهلًا مكتب المحقق، بأن هذا النوع من الناس ليه ما يخفيه. كان لهذا العَمِّ طباع تاجر شرقي، ذلك النوع الذي يبادر بمساومة زبونه قبل حتى أن يعرف ما يريد الزبون شراءه. الحقيقة أن ذلك العم، بأنفه الكبير بعض الشيء، كان يذكرني بأبي؛ نفس الثرثرة والمزاح والجسد الممتلئ، خفة الظل الواضحة التي تخفي وراءها عُمقًا كبيرًا. أتذكَّر "جيولا كابُس"، أعظم كوميديان هنجاري على الإطلاق، والذي عانى طويلًا من اكتئابٍ حاد؛ إن الأشخاص الذين يتمتعون بحسٍّ فكاهيٍ عالٍ جدًّا، يعانون غالبًا من صراعاتٍ نفسية

حادة، يقاسون أمورًا مزعجة ومُربكة ومؤلمة. ماما العزيزة، ماما العزيزة.. سرعان ما أدركتْ أمي أن ذلك المهندس المسكين الذي ضاعت شهادته غير الموجودة من الأساس، هو الهدف المثالي لتنفيذ مهمتها، كما علمها الضابط المسؤول عنها؛ فإلى جانب سهولة ابتزازه، فإنه يتحدث اللغتين الهنجارية والعِبرية بطلاقة، ولذلك:

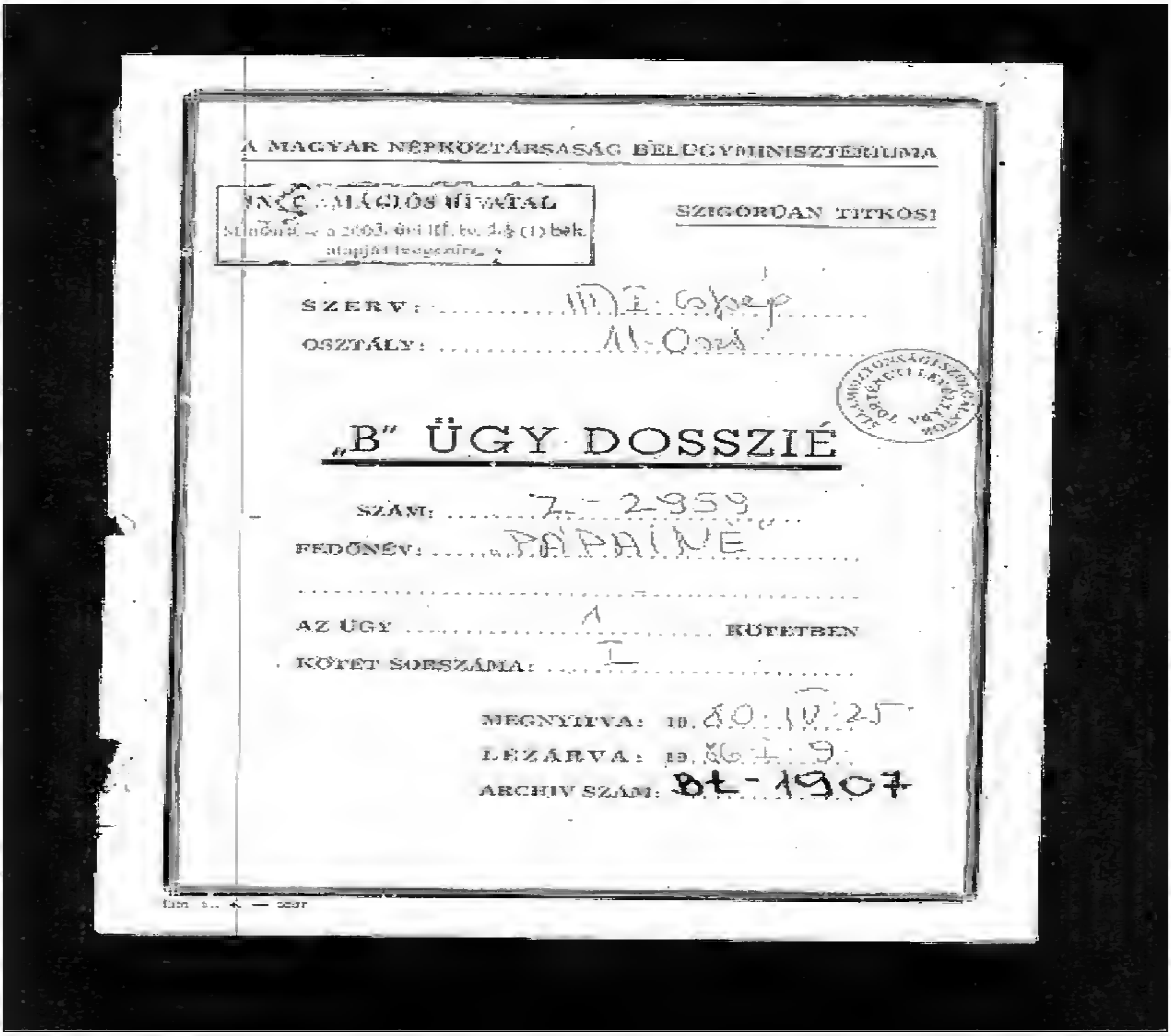

A MAGYAR NÉPKÖZTÁRSASÁG BELÜGYMINISZTERIUMA

SZIGORÚAN TITKOS!

SZERV: III/I. Csop.

OSZTÁLY: 1-Oszt.

„B" ÜGY DOSSZIÉ

SZÁM: 7-2959

FEDŐNÉV: „PÁPAINÉ"

AZ ÜGY 1 KÖTETBEN

KÖTET SORSZÁMA: I

MEGNYITVA: 19. 60. 10. 25.

LEZÁRVA: 19. 66. 1. 9.

ARCHIV SZÁM: Bt-1907

وزارة الداخلية - سري للغاية!

قسم 4-3/1

الرفيق "ميرس"

برجاء الاستمرار في المهمة مع مراعاة جوانبها المختلفة.

28 مارس 1977

تقرير

بودابست - 28 مارس 1977

حول تقرير السيدة "باباي":

في ديسمبر الماضي، سافرتْ إلى "إسرائيل" لحضور جنازة أمها، وعادت من هناك في 19 مارس. خلال تلك الفترة، التقت بضع مرات بأحد معارف قريبة لها اسمه ر.ب (مكان الميلاد: "ميسكولك"، تاريخ الميلاد: 17 إبريل 1927، عنوانه السابق في "ميسكولك": 80 شارع "جي")، المهنة: مهندس، مواطن إسرائيلي مقيم في "تل أبيب".

في حواره معها، قال عن نفسه التالي:

نال شهادة في الهندسة المعمارية في جامعة "بودابست" للتقنية والاقتصاد. كان من ضمن الدفعات الأولى التي أنهت "الأكاديمية الحمراء" أو Red Academy عاش في "ميسكولك" وعمل هناك. يدَّعي أنه عمل في وزارة الداخلية أيضًا، وأنه سافر إلى الصين خلال تلك الفترة. تزوجت اثنتان من شقيقاته من ضابطين سوفيتيين، كانا يعملان قريبًا من "ميسكولك". منذ 1956، انقطعت أخبارهم عنه تمامًا، ويُرجَّح أنهم لم يعودوا يقيمون في "هنجاريا".

غادر "ر.ب" البلد في 1956، وبرَّر ذلك بالقول بأن

عمله السابق في وزارة الداخلية كان سيسبّب له قدرًا من المتاعب أثناء تغيُّر النظام على الأغلب.

هو شريك في مكتب هندسي في "إسرائيل"، يعمل بوصفه مهندسًا معماريًا، لكنه يعيش في خوفٍ دائم بسبب عدم امتلاكه نسخة من شهادته الجامعية، يخشى أن يطلب واحدة من "هنجاريا"، حتى لا يضطر للتعامل مع "الأكاديمية الحمراء" التي لن تتعامل مع طلبه برحمة، كما أنه يشعر بالقلق من ماضيه في وزارة الداخلية، ومن أن يحمِّله الناس المسؤولية. كان قد أنكر سابقًا أيَّ علاقة تربطه بهذا الماضي. يعمل في مكتبه رسَّامان هندسيان وسكرتيرة، شريكه في المكتب غير مهتم بالعمل، و"ر.ب" يتحمل العبء الأكبر منه.

شريكة حياته، التي تقيم معه في بيته والتي تنحدر مثله من أصولٍ هنجارية، كشفت للسيدة "باباي" عن قلقها من سلوك شريك حياتها؛ إنه يرتاب في أن هناك من يتنصَّت على تليفونهما ويفتح رسائلهما البريدية، وأنهما يخضعان للمراقبة. أخبرتها بأنه يتلقى أحيانًا أموالًا من مصدرٍ مجهولٍ بالنسبة لها، ثم يختفي ليومٍ أو اثنين، ويعود بعدُ متوترًا دون أن يصارحها بالسبب. تُخمِّن أنه يعمل لصالح دولةٍ اشتراكيةٍ، ويعاني لذلك من خوف دائم من افتضاح أمره وإلقاء القبض عليه.

تقييم التقرير:

بمعاونة من السيدة "باباي"، يمكننا البدء في دراسة أحوال الشخص المذكور أعلاه. يجب بذل محاولة من أجل الحصول على نسخة من شهادة تخرجه في كلية الهندسة.

سوف تتولى السيدة "باباي" هذه المهمة، وتظل على اتصال به من خلال الرسائل البريدية. لاحقًا، وبعد امتلاكنا شهادته الجامعية، يمكن دعوته للقائنا في دولةٍ ثالثة.

بمساعدةٍ من القِسم الفرعي لـ 3/1 في مقاطعة "بورسود"، سوف نقوم بالتحريات اللازمة في "ميسكولك" لجَمع معلومات عنه والعثور على أقاربه.

أخيرًا، أوصي بالتواصل بأعضاء أمن الدولة في الدول الاشتراكية، وطلب مساعدتهم فيما يتعلق بهذه المهمة.

"كارولي ميرس" - ضابط شرطة

الرفيق "بيدر"

ما الذي تعرفه السيدة "باباي" حول طبيعة عمل المذكور في وزارة الداخلية؟

4/28 - "يانوس ساكاداتي"

في تقريرها الأول المكتوب بخط اليد، لم تنسَ أمي - بصفتها عميلة سرية جيدة - وعقب محاولاتها لنقل صورة كاملة لحياة المهاجرين الهنجاريين في "إسرائيل"، أن تضيف ملاحظاتها المتعلقة بخوف "ر.ب" الواضح والدائم. في ذلك التقرير، تتحدث أمي عن أنواعٍ شتى من الخوف، وكأنها اختصاصية حقيقية في المسألة! بل إنها لا تخشى حتى من أن يستغل أحد تلك المشاعر السلبية للرجل في الإضرار به. شعرتُ بصدمةٍ مماثلة حين أعطاني أحد معارفي قبلها بسنوات، نسخة من التقارير التي خَطَّها الكاتب "ساندور تار"، الذي هوجم علانيةً من قِبل مؤلف آخر في مؤتمر صحفي عام 1999، بسبب

وشايته بزملائه. قرأتُ التالي في أحد تقاريره: "ذات مرة، توقف أصدقاء له في بيته في "ديبريسين"، في طريقهم إلى "ترانسلفينيا" بـ"رومانيا"، وأمضوا ليلتهم لديه. بعد نوم ضيوفه، تسلل "تار" كيْ يدون أسماء الأدوية التي يتناولونها، والتي تركوها على الطاولة.. (لعله فكر: "ربما سأستفيد من هذه المعلومة بشكل أو بآخر").

ها هي عميلتنا في "تل أبيب" تكتب: "قد يكون هذا الرجل مثيرًا للاهتمام حقًا".

<u>لقاءات:</u>

"إن معظم المهاجرين الهنجاريين في "إسرائيل" صهيونيون؛ هم كذلك بالفِعل، رغم حنينهم الدائم لوطنهم؛ يمتنون استنشاق روائح شوارع "بودابست" ومقاهيها من جديد. تؤدي صحيفة "أُوِي كيليت" الصهيونية دورها. يحب الكثيرون منهم "هنجاريا"، ولكن عند المفاضلة بين الوطنيْن، فإنهم يختارون "إسرائيل". يجد المهاجرون الهنجاريون ذوو العقليات المتفتحة مكانًا لهم في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، أو لدى الداعمين للحزب. يكره عدد قليل من المهاجرين الأجواء السائدة في "إسرائيل"، ويشعرون بتشاؤمٍ كامل؛ إنهم خائفون، ولذلك يمتنعون عن المشاركة في الحياة السياسية.

أحد اولئك الأشخاص هو "ر.ب" المولود في "ميسكولك"، والذي - حسب أقواله - كان ضمن الدفعات الأولى التي تخرجت في "الأكاديمية الحمراء"، وقد درس الهندسة. إنه يكره "إسرائيل"، ويشعر بالندم على مغادرته لـ"هنجاريا" بسبب الثورة المُضادّة. يخشى

أن يكتشف الإسرائيليون أنه سبق له العمل كمهندس في وزارة الداخلية الهنجارية، ويشك أن تليفونه تحت المراقبة. يعمل حاليًا مهندسًا معماريًا، ويُقال إنه موهوب في عمله. يشعر بالندم لعدم امتلاكه نسخة من شهادته الجامعية، ربما كانت لديه واحدة بالفِعل، لكنه يخشى ذِكر "الأكاديمية الحمراء". لا تزال هذه المشكلة قائمة (رغم مرور 20 سنة عليها).

حين سألته عن السبب في عدم عودته إلى "هنجاريا" لحَلِّ مشكلة شهادته، أجابني:

- أنا خائف، لأنني عملتُ في وزارة الداخلية مهندسًا في ظروف حساسة للغاية.

إذا كان ما يدَّعيه صحيحًا، فقد سبق له السفر إلى الصين خلال فترة عمله في وزارة الداخلية. قد يكون هذا الرجل مثيرًا للاهتمام حقًّا؛ لديه العديد من المعارف هناك، لديه ثلاثة موظفون في مكتبه؛ رسامان هندسيان وسكرتيرة. أخته الكبرى متزوجة من ضابط سوفييتي يشغل منصبًا رفيعًا؛ هذا ما يقوله على الأقل. ليس لديه صلة بعائلته منذ قيام الثورة المُضادة".

لكن المخيف حقًّا هو ما حدث خلال رحلتي معها في 1976، حين التقتْ شابًّا صغيرًا في السفارة الإيطالية في "تل أبيب". هنا، تظهر أمي على المسرح كـ"ماتا هاري"؛ تتصرف بكرَمٍ وطيبة، تلك الطيبة الملائكية التي طالما وصفها بها الكثيرون. يا للمسكينة "ماتا هاري"! حاول المؤرخون إثبات أنها ليست جاسوسة، ومع ذلك اقترن اسمها بمفهوم المرأة اللعوب. لا يُعرِّف الشاب

بنفسه، لكن أمي تتلصص على اسمه حين يناولها أوراقه لجهله باللغات. سوف تُظهِره في تقريرها لاحقًا بصورة لا يمكن وصفها بأنها "رائعة" بأيِّ حالٍ من الأحوال. بسبب دقة ملاحظتها، انتبهت إلى أن الشاب الذي تتبادل معه الحديث يتعامل معها بشكٍّ وارتياب، لكنها نجحت في تحوير الموقف وقالت في وصفه: "..أو لعله فقط تعمَّد الظهور بهيئة الغبي". من الواضح إذًا أنه هو أيضًا جاسوس؛ نعم، المخابرات الإسرائيلية. تقول ماما ذلك باستخفاف وبطريقةٍ أقرب للنميمة، هكذا تبدأ لعبة اللف والدوران التي يحبها جميع الجواسيس، والتي تضفي على اجتماعاتهم بضباطهم المزيد من الحيوية. في تقريرها، تصف لقاءها بالشاب بكلماتٍ يسيل لها لعاب أي ضابط مسؤول عن عميلٍ سري:

"أصبح هذا الشخصُ مثيرًا للريبة، لأنني شعرتُ بأنه يرغب في التحقيق معي، أو كَسب ثقتي. أظن أنه كان غبيًا للغاية، أو لعله فقط تعمد الظهور بهيئة الغبي".

لقد أدركتْ بأنه كان ينوي التحقيق معها وتوجيه الأسئلة لها، لا لشيء إلا لوجود نيَّةٍ مماثلة لديها هي أيضًا. فلنقرأ معًا التقرير الذي يفيض بالشكوك والارتياب وانعدام الثقة:

"قابلتُ شابًا في مقتبل العُمر، يُدعى "ل. أ"، يعمل والده في صحيفة "أُوِي كيليت". أعلن بأنه سيزور "هنجاريا" هذا الصيف لرؤية جده، وأضاف بغرور بأنه حصل على تصريح الزيارة بسهولةٍ بالغة، ومقابل مبلغ مالي يكاد لا يُذكَر. يدَّعي بأنه "مدير

في مكانٍ ما. يبدو أن عُمره في حدود 20-22 سنة. التقيته داخل السفارة الإيطالية. يدَّعي أنه سيتوجه إلى الولايات المتحدة أولًا، ومنها إلى "إيطاليا"، وبعدها إلى "هنجاريا". إن جهاز المخابرات الإسرائيلي مُغرَمٌ بتجنيد أمثاله. قرأتُ اسمه في طلب التأشيرة الذي قدمه في السفارة الإيطالية، ولأنه لا يتكلم الإنجليزية فقد توليتُ مسألة الترجمة له. اعتذر لي لسوء مستوى تدريس اللغات في "إسرائيل". سرعان ما أصبح هذا الشخص مثيرًا للريبة، لأنني شعرتُ بأنه يرغب في التحقيق معي أو كَسْب ثقتي. أظن أنه كان غبيًا للغاية، أو لعله تعمد الظهور بهيئة الغبي. لم ألحظ شيئًا آخر يثير الشك".

وإليكم حالة أخرى تستحق ذِكرها، وهي حكاية المجندة الإسرائيلية على الحدود:

تقرير

بودابست - 24 مارس 1977

كتبتْ السيدة "باباي" عن التالي:

عادت هذا العام في 18 مارس من زيارة أقاربها في "إسرائيل". في مطار "تل أبيب"، قامت مُجنّدة تدعى "ج.ج" بفحص جوازها. حين تبيَّنَ لـ"ج. ج." أن السيدة "باباي" هنجارية، طلبتْ الانفراد بها جانبًا، ووجهت لها أسئلة مطولة عن "هنجاريا".. هل صحيح أن البلد يتمتع بالديمقراطية؟ هل الكنائس مفتوحة أمام الناس للعبادة؟ هل حقًا لا يعاني اليهود فيها من الاضطهاد؟ وغيرها من الأسئلة والاستفسارات. بعدها، شرحتْ للسيدة "باباي"

بأنها تنحدر من أصول هنجارية، وأنها وُلِدَت هناك، ثم هاجر أبواها إلى "إسرائيل" وهي في الثامنة عام 1948. هي متزوجة، ولديها طفل، وزوجها ضابط في حامية عسكرية. لا تعرف من أقاربها في "هنجاريا" سوى سيدة واحدة، لم تسمع أخبارها منذ زمنٍ طويل. كانت تلك المرأة مريضة جدًا، وكثيرًا ما أُدخِلَت إلى المستشفى، وربما لم تعد على قيد الحياة.

أعربت المجندة عن رغبتها الشديدة في زيارة "هنجاريا" ولقاء أقاربها، لكنها تخشى القيام بهذه الرحلة؛ السبب الأول، هو عدم تأكدها من السماح لها بدخول "هنجاريا"، والسبب الثاني هو خوفها من رد فعل السُلُطات الإسرائيلية على هذه الزيارة، تخشى أيضًا أن يتسبب ذلك في مشكلاتٍ لزوجها.

طلبت المجندة من السيدة "باباي" مساعدتها في الحصول على أخبارٍ من أهلها، وأن تتصل بها هاتفيًا أو تكتب لها خطابًا تخبرها فيه بأنها تريد التحدث إليها تليفونيًا، المهم هو عدم مناقشة المسألة في رسالة. كما سألت "ج.ج" السيدة "باباي" إن كان بإمكانها مساعدتها عند زيارتها لـ"بودابست"، لأنها لا تعرف العادات والتقاليد المتبعة في "هنجاريا"، وسيكون من الجيد أن يرشدها أحد لما ينبغي عليها فعله.

وافقت السيدة "باباي" على ذلك، كما وعدتها بالسفر إلى "ميسكولك" للبحث عن أفراد عائلتها.

في هامش جانبي على ورقة التقرير، كُتِبَت ملاحظة بخط يد - لا يُعرَف صاحبه - تطرح سؤالًا من القسم

الفرعي 3/1: "هل الحكاية بأكملها فخ تم نصبه بذكاء للإيقاع بالسيدة "باباي"؟ هل المجندة الإسرائيلية طُعم لاصطياد عميلتهم السرية؟".

"معلومات مثيرة للاهتمام. ظاهريًا، تبدو الحكاية طبيعية، لكن براءتها غير مؤكدة. ما يثير الشكوك هو أن الانتماء السياسي للسيدة "باباي" معروف ومُعلَن في "إسرائيل". علينا أن نتحرى المسألة من خلال القسم الفرعي في "ميسكولك" في الشارع في "ميسكولك. يجب أن نتوصل لهوية القريبة التي تبحث عنها "ج.ج"، وما إذا كان للأخيرة أقارب آخرون داخل "هنجاريا". ننصح بإعداد السيدة "باباي"للموقف، ثم إرسالها إلى "ميسكولك"، ولكن علينا أولًا وضع خطة مُحكمة لهذه المهمة بأكملها".

خطة مُحكمة؟ لِمَ لا؟ دعونا نرى خطتكم المُحكَمة!

وأمي، تلك المرأة المشغولة على الدوام بأعباء ومسؤولياتٍ شتى، باتت مستعدة فجأة لترك كل شيء، والسفر إلى "ميسكولك" في الجانب الآخر من البلد لاصطياد تلك المجندة الإسرائيلية!

هكذا تنتهي الحكاية.. في ملف "بروريا" على الأقل.

كان عليها حل خيوط علاقات عائلية معقدة خلال عملها، وملاحظة مواطن الضعف والخلل في علاقات أُسَر أخرى تعرفها. يجب جَمع معلومات طوال الوقت؛ عند لقاء الأهل والأصدقاء، وأصدقاء الأصدقاء. إنها تدون كل ما ترى وتسمع وتعرف في تقاريرها:

"عائلةٌ أخرى من المهاجرين الهنجاريين: "و"، شقيق (...)، "إ. ل." عقيد متقاعد يعيش في "بودابست"، لزوجة الأخير ثلاث شقيقات يعشن في "إسرائيل"، أكثرهن إثارةً للاهتمام، هي "م." وأسرتها. زوجها "و." رجل أعمال معروف في مجال استيراد وتصدير المواد الغذائية، وهم أثرياء جدًا. كان للرجل علاقات ومعارف في "هنجاريا" قديمًا. عرفتُ من "ل." بأن "و." رجل أعمال فاسد. للأسرة ولدان، يؤدي كل واحد منهما الخدمة العسكرية الإجبارية. أصغرهما "ج."، في سنته الأولى في الخدمة، ويؤديها في المخابرات. طلبت مني أمه "م." أن أبلغ شقيقتها "ل." في "هنجاريا" بضرورة الامتناع عن إرسال خطابات لها تحت أيِّ ظرف، وتنبيهها بأنها إن قررتْ زيارة "إسرائيل" قريبًا، فعليها عدم ذِكر اسم "و." وبقية أفراد أسرته ضمن معارفها في طلب التأشيرة؛ يمكنها فقط كتابة اسم الشقيقتين الأخريين. بررت المسألة بأن ابنها أخبرها بأن إحدى معارفه، وهي شابة من أصول هنجارية، وُلِدت في "هنجاريا" وتجيد عدة لغات بطلاقة، منها الهنجارية التي تعلمتها من أبويها، قد تم رفض طلبها للالتحاق بالعمل في المخابرات، رغم انطباق جميع الشروط عليها، لا لشيء إلا لأن لها أقارب لا يزالون يقيمون في "هنجاريا". قرر "ج." أن ينفي وجود أيِّ أهل له في أيِّ بلد اشتراكي. صارحتني أمه أيضًا بأنه يود استكمال عمله في المخابرات عقب انتهاء فترة تجنيده. حاليًا، لا يزال في سنته الأولى من خدمته الإجبارية التي تمتد هنا لثلاث سنوات. حين زرتُ أسرة "و."، تصادف دخول "ج."

قادمًا من عمله - إنه يقطن منزل عائلته - مرتديًا زيه العسكري، وكان مستاءً لوجودي عندهم.

لِمَ كان عليه أن يفرح لوجودها عندهم؟

بصفتها عميلة محترفة، اعتادت أمي ألا تهتم بتاتًا بمشاعر الناس تجاهها، حتى لو تعاملوا معها بشك وريبة ونفور واستياء.

الشخص الهنجاري الثالث الذي تحدثتُ إليه خلال أكثر من مناسبة، ولكن ليس بالعُمق المطلوب نظرًا لضيق الوقت، هو "س" سكرتير المنظمة المعنية بـ"أولئك الرافضين للخدمة العسكرية لأسباب تتعلق بالضمير" (تضم نحو 10-15 عضوًا). كان "س" متحفظًا معي، ورفض إخباري مَن يكون الشخص الذي أقام عنده في "كيسبيت" حين زار "هنجاريا" (في صيف 1975 كما أعلم). قال فقط بأنه لم يُقِم عند أقاربه، وإنما مع شخص "محب للسلام" مثله، شخص يرفض الخدمة العسكرية لأسباب تتعلق بالضمير، وأنه إنسان غير محبوب من قِبَل السُلُطات الهنجارية، حتى إنهم يرفضون منحه إذنًا بمغادرة البلاد.

لكن "بروريا" تحصل مني على نجمة، صغيرة في الواقع، إعجابًا بما فعلته حين طلب منها "س" النصيحة بخصوص العودة إلى "هنجاريا" والاستقرار فيها. تقنعه "بروريا" - بطريقةٍ غير مباشرة وبمنتهى الحكمة - بعدم التفكير في المسألة من الأساس:

"طلب رأيي في مسألة العودة إلى "هنجاريا"

والاستقرار فيها. تُلِحُّ عليه هذه القضية بسبب ابنتيه اللتين يود تنشئتهما على مبادئ تخالف ما تتعلمانه في مدارس "إسرائيل"، مثل رفض الحرب وضرورة أن تكونا نباتيتين، وعدم رغبته في تعلمهما الأمور الدينية. بدلًا من أن أجيبه بنعم أو لا، وجهتُ له عددًا من الأسئلة، كي يفهم من خلالها أن الشخص الذي يرفض الحرب لأسباب تتعلق بالضمير، سوف يواجه المشكلات ذاتها في "هنجاريا" أيضًا. لن تكون تربيته لابنتيه سهلةً هناك، وسوف يجد نفسه في صراعٍ دائم مع مبادئنا التعليمية والتربوية".

ليتني أستطيع سؤال أمي عما كانت تعنيه بـ"مبادئنا التعليمية والتربوية"! يتطرقان في الحوار إلى سؤالٍ في غاية الأهمية: "إلى أيِّ الوطنين سيكون ولاؤك؟"، يقول "س" بأن ضابط المخابرات الإسرائيلية الذي حقق معه، هو من وجه له هذا السؤال. كان بودي أن أسأل أمي السؤال ذاته. تختتم أمي تقريرها بملاحظة تنم عن تيقظها، وعن كونها قد بدأت في استيعاب جوانب العمليات الجاسوسية، إذ تقول إن ضابط التحقيق عرف نفسه إلى "س."، وتضيف بأنه "استخدم اسمًا حركيًا على الأغلب". دار هذا الحوار بينهما في ثالث لقاء جمع بينهما، حين بدأ "س." يشعر بشيء من الارتياح في وجودها، ويتخلص من بعض تحفظه الشديد. لم تهتم "بروريا" بكون "س." سكرتيرًا لـ"الاتحاد الإسرائيلي للحقوق الإنسانية والمدنية"، الذي كان رئيسه في ذلك الوقت هو والدها؛ جَدِّي. خلال الحوار، يقسِّم "س."

الشيوعيين الهنجاريين إلى فئتين، مشيرًا إلى أحد الأعمدة الرئيسة التي ساهمت في استقرار نظام "كادار":

"يعيش أقارب "س." في "بودابست". في نظره، فإن بعضهم "شيوعيون مخلصون"، والبعض الآخر "شيوعيون غير مخلصين"، ولأنه مناهض للصهيونية، فقد دخل في نقاش مع أصدقاء أقاربه حين وصل "بودابست" لثلاثة أيام، ليرتب أمور حصوله على الجنسية الهنجارية. المفاجأة الغريبة، هي انطباعه الجيد عن أفراد الشُرطة الهنجارية، الذين وصفهم بـ"الطيبة والتفاني" خلال تعاملهم معه. حين بدأ "س." في التخلص من تحفظه الشديد معي (في لقائنا الثالث ربما) أخبرني بأنه وبمجرد عودته إلى "إسرائيل"، تم اصطحابه إلى مكتب المخابرات في "تل أبيب" التابع لوزارة الداخلية. هناك قابله ضابط يُدعى "م. ز." (استخدم اسمًا حركيًا على الأغلب) وحقق معه طويلًا. سأله عن سبب طلبه لجنسية "هنجاريا"؛ البلد الاشتراكي، وما الذي كان سيفعله إن طلبوا منه في "بودابست" إفشاء أسرار عسكرية؟ لأي الوطنين سيكون ولاؤك؟ "إسرائيل" أم "هنجاريا"؟ أخبرها "س" بأن إجابته كانت واضحة، لا تحتمل اللَبس: إنه يعارض الخدمة العسكرية بجميع أشكالها، لكنه يتجنب الحديث في المسألة سواء داخل "إسرائيل" أو خارجها، وأنه فوق كل ذلك لا يعرف أيّة أسرار عسكرية من الأصل كيْ يفشيها أو يحتفظ بها لنفسه. توقع "س" ألا يكون هذا التحقيق معه هو الأخير، لكن أشهرًا عدة مرت دون أن يستدعوه

ثانيةً".

أمي، تلك البنت اللطيفة، والتلميذة المجتهدة، أطاعت رؤساءها في كل شيء طلبوه منها، حتى في إجراء هذه اللقاءات التافهة. لماذا فعلت ذلك؟ بِتُّ أمتلك أخيرًا إجابةً على هذا السؤال، بعد مرور عام ونصف على رؤيتي لملفاتها الصادمة. تطلب الوصول لإجابات على أسئلتي الحائرة، الكثيرَ من الجهد والتفكير المتواصل، ولكن الوقت غير ملائم الآن للكشف عنها للقارئ. ظنت أمي على الأرجح، أن أمرها لن يُكتشَف أبدًا، لكنني متيقن من أنها كانت ستتحمل المسؤولية بشجاعة لو حدث ذلك وهي على قيد الحياة. كمعارضة حقيقية للصهيونية، لا بد وأنها رأت جانبًا إيجابيًا في هذا النشاط السري. يمكن قول الشيء ذاته عن المُخرِج العبقري "جابور بودي"، الذي عرفته شخصيًا عن قُرب وجمعتنا الصداقة لبعض الوقت قبل انتحاره في 1985، السنة التي توفيت فيها أمي أيضًا. يربط البعض بين ظروف موته وانكشاف أمره كجاسوس واشٍ. ربما كانت هناك أسباب خاصة، أو مهنية، جعلت هذا العبقري اللامع يقبل أداء هذه المهمة، لكن الأكيد أن قناعاته اليسارية لعبت دورًا في المسألة كذلك؛ هكذا يبدو الأمر بالنسبة لي استنادًا إلى تقاريره وتعليقات المسؤولين عنه عليها. في اللقاء الثاني الذي جمعه بالضابط المسؤول عنه داخل الشقة السرية المخصصة لاجتماعاتهما، كان نادمًا وحزينًا كشخصية "فاوست" تمامًا. أراد "بودي" التراجع، وإزالة توقيعه بالموافقة على أوراق تجنيده كعميلٍ سري؛ لكن المسؤول

عنه أبدى تعاطفًا شديدًا وتفهمًا واضحًا، وطمأنه بأن أوراقه وتقاريره لن يتم تداولها مطلقًا وستظل سرية تمامًا. لدهشة "بودي" العظيمة، سرعان ما تم إزاحة "إيفيت بيرو" من منصبها كرئيس تحرير مجلة "فيلم كولتورا"، بعد أن اقترح هو ذلك خلال حديثٍ مع مسؤوله. اعتقد "جابور بودي" أن بإمكانه قول ما يريد دون أن يكون لذلك أيّة عواقب، لكنه اكتشف العكس. المفارقة أنهم أوكلوا إليه بعدها مهمة التقرب من "إيفيت"، سعى لتنفيذها بأقصى ما يستطيع من جهد.

في "إسرائيل"، أقنعت أمي شقيقتها الصغرى؛ خالتي، بأن ترافقها لزيارة حبيبها السابق ورفيقها "زفي إلبيليج"، الذي - كما توضح في تقريرها عنه - نجح في تسلق السلم العسكري والمدني في "إسرائيل"، حتى بلغ أعلى المناصب. كانت أمي وخالتي، أو "بنات آفي شاؤول" كما كان يُشار إليهما، صاحبتا جمال أسطوري أثناء الانتداب البريطاني لفلسطين، ولذلك لم يتردد الكولونيل "إلبيليج" في دعوتهما للعشاء في بيته ما إن تلقى منهما اتصالًا:

"بين لقاءاتي المختلفة، كان لقائي الأكثر أهمية هو بـ"زفي إلبيليج"، الذي تسلق السلم العسكري في "إسرائيل" حتى وصل أعلى المناصب. كان محافظًا عسكريًا لمنطقة المثلث في الخمسينيات، ثم محافظًا لـ"غزة" عقب حرب السويس في 1956، وبعدها محافظًا لـ"نابلس" بعد حرب الأيام الستة. قديمًا، كان اسمه "زفي آلفالوج"، وفي أوائل الأربعينيات كنّا عضوين

في منظمة "الشباب العامل" working youth . أصبح لاحقًا عضوًا قياديًا فيها، وكانت مهمته هي اكتشاف الشيوعيين المندسين على منظمة "الشباب العامل" (تجنَّبتُ هذا الموقف بسفري إلى "لبنان" عام 1942).

يعمل "إلبيليج" حاليًا في قوات الاحتياط. كان قد تخرج في جامعة "تل أبيب"، وهو رئيس "الجمعية الإسرائيلية الشرقية" المرتبطة بالجامعة.

تُنشَر له بعض المقالات أحيانًا في "نيو آوت لوك ميدل إيست"، وفي صحيفة "معاريف". دعاني "إلبيليج" (باقتراحٍ مني) للعشاء في منزله. دار الحديث بيننا حول الثورة المضادة في 1956، وسألني عن سبب عدم مغادرتي للبلاد حينها؟ كما سألني عن سبب إصراري على تسمية تلك الأحداث بـ"الثورة المضادّة"؟ اهتم على نحو خاص بمعرفة إجابتي على هذا السؤال الأخير. في تلك الليلة، عرض التليفزيون مناظرة بين "هيليل"؛ وزير الداخلية، وعدد من الأساتذة الجامعيين، حول الإعداد للانتخابات في الأراضي العربية المحتلة. أكثر من مرة، قام "إلبيليج" بوصف "هيليل" بالأبله، وانتقد حكومة "رابين" بأكملها. قال بأن سياساتهم في الأراضي المحتلة سيئة للغاية. استمر الحوار بيننا لساعة متأخرة من الليل، وفي نهايته طلب مضيفي معرفة رأيي في الأديب "سولجنيتسين". وعدته بأن نناقش الموضوع في لقائنا التالي. لسوء الحظ، لم أقابله ثانيةً بسبب ضيق الوقت. "إلبيليج" يتمتع بالثراء، إذ يمتلك وحدة لمعالجة

مياه الصرف الصحي".

واقع الأمر، ظل "إلبيليج" متحفظًا مع أمي وخالتي طوال الوقت، ولم يستجب لفتنتهما الأنثوية. كما في حالات كثيرة، يبدو أن المخابرات الهنجارية لم تهتم بهذا اللقاء من الأساس؛ لكن هناك لقاء آخر، أجرته "بروريا"، وأثبتَ فائدته وأهميته. تمّت عَنْوَنته كـ"ورقة معلومات".

ورقة معلومات

حول المعلومات التي تلقاها قِسم 6

26 إبريل 1977

المصدر: الضابط المسؤول:

السيدة "باباي" وِحدة 4 "ك. ميرس"

الاسم - الاسم الحركي - المؤهلات - اسم الوحدة - العضو

اللقب: "نشاط زيف زاريتسكي المناهض للسوفيتية"

التقييم المكتوب، الملاحظات، التوصيات، الإضافات المخابراتية التكميلية المطلوبة.

يُستخدَم لتوفير معلومات للمنظمات الصديقة.

أكاد أجزم بأن أمي كانت تتحول خلال حواراتها ولقاءاتها بأهدافها، وتصبح فجأة السيدة "باباي". في الواقع، ما كانت ستستطيع مواصلة الحديث مع "زاريتسكي" دون الاضطرار لإخفاء مشاعرها الحقيقية.

في فقرةٍ متميزةٍ للغاية، من كتابه السابق ذِكره، يفرق "أوتو سيلبال" - المُريد المتحمس للممثل العظيم

"ستانيسلافاكي" - بين معايشة (أو اختبار) الدور خارجيًا وداخليًا. الحقيقة أن هذه النقطة تحديدًا لم تكن يومًا من نقاط القوة لأمي؛ ليس دائمًا على الأقل. وِفقًا لـ"سيلبال"، الذي يخاطب هنا الضباط المسؤولين عن العملاء السريين، فإن معايشة الدور مهارة يمكن تعلمها واكتسابها:

تطوير مهارة معايشة الدور:

"خلال تنفيذ مهمته، ينبغي على العميل السري اتّباع السلوك المُخَطَّط له مسبقًا؛ يجب فعل ذلك عبر معايشة الدور خارجيًا وداخليًا، بطريقةٍ مقبولةٍ من جانب الأطراف المُعادِية المحيطة".

قوبلت السيدة "باباي" بدرجةٍ غير قليلةٍ من الانتقاد، بسبب القصور الذي عانت منه في هذا المجال. لقد التزمت بالسلوك المتوَقَّع منها كما تم تحديده لها مسبقًا، لكنها كانت تفقد السيطرة على نفسها ما إن يتم طرح موضوع الصهيونية، كأن مَن حولها يتعمدون إيلامها وإزعاجها. يستكمل "سيلبال" حديثه بالقول:

"تبعًا لذلك، فإن نجاح عضو الشبكة أو فشله في التعامل مع الموقف العدائي الذي يجد نفسه فيه، أمرٌ ليس تافهًا أو هيِّنًا. مهما كانت درجة تأهب عضو الشبكة، بالردود والتصرفات المُعَدِّ لها سلفًا، فإن كل ذلك لن تكون له قيمة ما لم يقدم دوره بطريقةٍ مُقنِعة وموحية، خارجيًا وداخليًا".

لم تفتقر أمي إلى الأساليب الموحية، يمكنني تأكيد

ذلك؛ لطالما كانت سماءً بالغة الزُرقة؛ لكن حتى أكثر السماوات صفاءً، يمكن أن تُغطيها السُحُب بين الحين والآخر.

معايشة الدور خارجيًا:

"يظهر ذلك على المظهر الخارجي والسلوك والتصرفات، التي تدل عادةً على المضمون. يضم ذلك أمورًا مثل: ملامح الوجه والجسد، والزي والملابس، واللفتات، والتصرفات. إن معايشة الدور خارجيًا، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمضمون الداخلي. على سبيل المثال، إن كان على عضو الشبكة لعب دور شخص يواجه مشكلات مادية صعبة، فمن غير المقبول أو المُقنِع أن يرتدي أحدث موضات الأزياء، أو أن يكون في مزاجٍ سعيدٍ ومَرِح".

حسنًا، هذه النقطة تحديدًا ما كانت ستشكل عقبة أمام أمي عند تنفيذ مهماتها، إذ لم تكن مهتمةً بمظهرها وهندامها، وكانت في مزاجٍ سيئ معظم الوقت. حين يركز "سيلبال" على "الواجهة التي تعكس السِمات الإنسانية"، فإنه يصل إلى قمة الدقة في وصف رأي الضباط المسؤولين عن أمي، وأعني بهم "بيدِر" و"دورا"، وربما "ميرس" كذلك.

معايشة الدور داخليًا:

"إنها مهارة عضو الشبكة في الربط بين واجهته الخارجية (أقصد بذلك رؤيته للعالَم وللأمور السياسية والمسائل الأخلاقية والطبائع البشرية) وسلوكه الشخصي وعواطفه وأفكاره، من أجل الحفاظ على صورته ثابتةً في

أذهان الآخرين".

يواصل "سيلبال" حديثه بالإشارة إلى أن عضو الشبكة "يقابل أشخاصًا متعددين، في ظروفٍ متعددة". كم هو لطيف صياغة العبارة على هذا النحو! يمكن كتابة رواية كاملة عن هذه المسألة وحدها! إنه يوضح النتائج مباشرةً:

"خلال مسيرته العملية، يقابل عضو الشبكة أشخاصًا متعددين، في ظروفٍ متعددة، ولذلك يجب مراعاة ألا يكون سلوكه واحدًا في جميع المواقف. من الضروري امتلاك مهارة معايشة الدور، وتعديل مواصفاته بما يتلاءم مع تغير الظروف المحيطة بسهولةٍ وتلقائية".

دعونا لا ننسى أن إحدى مميزات الضباط المسؤولين عن العملاء السريين هي قدرتهم الفَذَّة على تدريبهم على التمثيل:

"إن مهارة معايشة الدور تحتاج إلى صقلها وتطويرها بانتظام، من خلال المناقشات المستمرة والممارسة بين الحين والآخر، تحت إشراف الضابط المسؤول من جهة، ومن خلال تنفيذ المهمة فِعليًا من جهةٍ أخرى".

بين جميع الآراء التي سمعتها أمي، كانت تلك الصادرة عن "زاريتسكي" تثير حفيظتها، والمؤكَّد أنها ما كانت ستتردد في مجادلته بشأنها بحماسٍ وحرارة. المؤكَّد أيضًا - من جانبٍ آخر - أن "بروريا" كانت تدرك بضعة نقاط وتحرص عليها، وهي النقاط ذاتها التي ذكرها "ميهالي رابساك" في أفضل أعماله، والذي حمل اسم "الجوانب النفسية للأساليب بالغة السرية في نظام بناء الشبكات

وجمع المعلومات":

1. اختيار طبقة الصوت الملائمة لطبيعة الحوار. من المهم أيضًا إتاحة الفرصة للطرف الآخر؛ صاحب المعلومات، للحديث والسماح له بالاسترسال فيه.

2. التدرب مسبقًا على ممارسة أعلى درجات اللباقة والتهذيب، ودراسة الموضوع الذي سيتم تناوله.

3. امتلاك القدرة على الإصغاء بصبر، وإظهار درجة مقبولة من الاهتمام بما يُقال.

4. القدرة على تكوين علاقات جديدة، وإظهار مزيج من الثقة والتعاطف للطرف الآخر.

امتلكت أمي الصفة الأخيرة؛ كان بإمكانها بث الثقة في نفوس محدثيها، وإظهار قدر عالٍ من التعاطف مع الجميع. لكن الحقيقة أن هذه الصفة بمفردها ليست كافية، إذ يجب أن ينتبه العميل لـ"الضعف الإنساني"، ونقطة "الميل لإفشاء الأسرار" الموجودة لدى أشخاص معينين (أو بداخلنا جميعًا، ربما؟).. وِفقًا لـ"سيلبال"، فإن كل ما يتطلبه الأمر هو استفزاز أولئك الأشخاص على النحو الصحيح، فقط:

"الأهم هو ملاحظة واستغلال الضعف الإنساني. يشمل ذلك، على سبيل المثال: الميل لإفشاء الأسرار، وبخاصة عند التعرض للاستفزاز المناسب. يمكن للضابط المسؤول الحصول على الإجابات التي يسعى إليها من الهدف، عن طريق إذكاء غرور أولئك الأشخاص، أوتضخيم مفهوم الكرامة لديهم. يمكن أيضًا استغلال

حالة الاستعلاء التي يشعرون بها عند اعتقادهم بأن من يتحدثون إليه أقل فهمًا وثقافةً منهم.

يمكن ملاحظة هذه العيوب بوضوح في الأشخاص الذين يتكلمون أكثر مما يجب، وبخاصة في المواقف المشحونة عاطفيًا ونفسيًا، وعند الإكثار من شُرب الكحوليات. في مثل هذه الحالات، على العميل السِري المبادرة بتحريض الهدف وتشجيعه على الكلام، عبر التعليق بعبارات منتقاة تثير حفيظته، وتجعله يشارك آرائه دون حذر مانحًا العميل السري المعلومات المطلوبة".

لكن المسألة الأكثر شراسةً من الخطط السابقة، هي ما يسميه "رابساك" بـ"فَن الافتتاح"، الذي يتجاوز نقطة الضعف الإنساني:

"إن بدء حوار مع أحد فن قائم بذاته، يُدعى "فن الافتتاح"، ويتكون من عناصر عِدَّة: أهمها القدرة على إذابة الجليد أولًا، ثم قيادة الحوار في المسار المخَطَّط له، للوصول في النهاية إلى جَمع المعلومات بالغة التعقيد والسرية.

يلعب التقديم والتعريف دورًا رئيسا في "فن الافتتاح" (وبخاصة في اللقاء الأول)، وكذلك إلقاء الضوء على بعض تفاصيل "قصة الحياة" (أو ما يمكن الإشارة إليه بـ"قصة الغلاف")، إلى جانب الخبرات المشترَكة والاهتمامات المشتركة. يجب التخطيط لهذه الأمور مسبقًا، ثم تحويل دفة الحديث نحوها، وإظهار الاهتمام بالحياة الخاصة للمتحدث (أيْ ظروف المسكن والإقامة، والكتب، والأبناء، والصُوَر، والحيوانات،

والطوابع، وصيد السمك، والرياضة، والمعارف من السلك الدبلوماسي.

لكن كل هذا غير كافٍ لـ"رابساك"، الذي يحب وضع خطط متقنة ومُحكَمة، تخدم سعيه لكشف أكثر الأسرار غموضًا:

"لا يمكن بدء حوار حقيقي، إلا عقب التمهيد له بوضع الشخص في المزاج المناسب. يلعب الطرف الآخر دورًا هامًّا في ذلك، وبخاصة عند تيقنه من أن الحوار سيخدم أهدافه (المعنوية أو المادية). من النقاط والاعتبارات التي يمكن استغلالها: اعتبار المناسبة فرصة للمصارحة، إلى جانب إشباع الفضول، وإشعار الطرف الآخر بأن عدم اشتراكه في الحوار يُعَدّ خرقًا للتهذيب واللباقة.

إن الحوار الأكثر اكتمالًا ومثالية، هو ذلك الذي يتم عقب إظهار الضابط أو عضو الشبكة التعاطف اللازم مع مُحدِّثه.

يمكن لعضو الشبكة أن يبين جهله أو ضآلة معلوماته في الموضوع المطروح، ما يمنح الطرف الآخر الثقة للتحدث بصدقٍ وحماس.

يجب على الضابط المسؤول، أو عضو الشبكة، الحفاظ على درجة صوت توحي بالمودة والألفة والتشجيع. عليه استغلال طبقات صوته وحركاته لإشعار الطرف الآخر بأهميته لديه، وأهمية ما يقوله. إذا لم يشعر الطرف الآخر بالاهتمام الصادق، فإنه سيحجم عن الكلام، وسيتساءل عن السبب في طرح الأسئلة عليه من الأساس.

دوحة الكتب حراميه

كيْ نكتسب المزيد من ثقة الشخص، علينا معرفة الموضوعات التي تثير اهتمامه أولًا، ثم مناقشتها معه. يجب مراعاة ألا تتم المناقشة بطريقة السؤال والجواب، لأننا إن لم نكن مستعدين جيدًا، سنجد أنفسنا أمام سؤال تصعب الإجابة عليه، أو يصعب تحديد رد الفعل المناسب إزاءه؛ ومع ذلك، يمكن دومًا التسلح بإجابات من نوعية: "لم تُتَح لي الفرصة للتفكير في الأمر كما يجب"، أو "إن رأيك في هذا الأمر يفوق رأيي أهميةً"، أو "سوف نعود لهذه النقطة في نهاية النقاش"، وهو الرد الذي سيثير فضول الطرف الآخر وضمان انتباهه طوال المحادثة".

كانت المناقشات الساخنة، اللا نهائية، المعتمدة على استفزاز شخص لآخر، هي إحدى سِمات أُسرتنا. طبق حلوى نتشاركه معًا، عقب وجبة دسمة ظهيرة الأحد. تخيلوا تناول الغداء بصحبة عائلة "كافكا"! ولكن على عكس عائلة "كافكا"، التي كانت تناقش مسألةً محددةً، ترتبط بمكانٍ وزمانٍ معينين حول فعل أقدم عليه هذا الفرد أو ذاك؛ اندلعت النقاشات في بيتنا بطريقةٍ أقرب لشجارٍ شرسٍ مفاجئ، حول أيِّ موضوع: الصراع العربي الإسرائيلي، والأهداف الأمريكية والسوفييتية، والأوضاع العامة في الشرق الأوسط. توشك الأوردة على الانفجار، وتحمرُّ الوجوه، وتُبَحُّ الأصوات في إرهاق. كان الهدف الأصلي من هذه المناقشات هو تشبُّث كل طرف برأيه، ورفض كل كلمة ينطق بها الطرف الآخر. كان لهذا الخلاف قيمة في حد ذاته: ربما أثار الدراما الكامنة في

الصراع القائم بين طبقة العمال والبرجوازية. لا أدري كيف نجحت أمي في إقناع "زاريتسكي" بشرح وجهات نظره في حضرتها؟ هل خاطبت غروره؟ استطاعت استفزازه بطريقةٍ ما؟ هل حدث ذلك في وجود عدد كبير من الناس، اكتفت فيه "بروريا" بالإصغاء والملاحظة، وبذلت جهدًا خرافيًا كي تظل صامتة ولا تعبر عن رأيها الحقيقي؟

في 9 مارس 1977، التقيتُ "زيف زاريتسكي"، وهو موظف في معهد "فايتسمان"، من أصولٍ روسية. يقوم بالإشراف على قياس الطيف spectrometry في معامل المعهد. غادر "زاريتسكي"، البالغ من العمر 49 سنة، الاتحاد السوفييتي في 1971. عمل في قسم الكيمياء بأكاديمية العلوم في "موسكو". يتباهى بأهمية الدور الذي لعبه هناك، وهو الإبقاء على صِلات وطيدة بالنشاط الصهيوني للمنظمة في الاتحاد السوفييتي.

قام بمهاجمة وانتقاد فيلم "صيادو الروح"، الذي عُرِض في "موسكو". دار العمل حول الشباب الذين - وفقًا للفيلم - "يقبلون أموال المنظمات الصهيونية الأجنبية". يقول "زاريتسكي" بأن العمل كان الخطوة الأولى لمعادية السامية في الاتحاد السوفييتي، وأنه يصور الساعين نحو حقوق الإنسان كأعداء.

عبَّر "زاريتسكي" عن رفضه لتصرفات الولايات المتحدة الأمريكية (استقبال "بوكوفسكي" في البيت الأبيض، والرسالة الموجهة لـ"سخاروف")، لأنها بذلك تجبر السُلُطات السوفييتية على اتخاذ إجراءات متطرفة. من وجهة نظر "موسكو"، فإنها لا تستطيع الاستمرار

في تقديم التنازلات، لأنها في كل مرة تواجَه بالمزيد من المتطلبات الجديدة. إذا تطور الوضع، سيؤدي ذلك لتقليل الهجرة، وهي مشكلة حقيقية في ظل تضاؤل أعداد المهاجرين بالفِعل.

قال "زاريتسكي": إنه ومعارفه يحاولون تطوير وسائل تواصل لخدمة الناشطين في الحركة الصهيونية المُقيمين في الاتحاد السوفييتي؛ إحدى هذه الوسائل هي الاتصالات التليفونية التقليدية. رغم محاربة المخابرات السوفييتية لهذه الوسيلة، إلا إن الناشطين يعتمدون عليها بشكلٍ أساسي، لأنها تمنحهم شعورًا بالدعم والتشجيع. لهذا أهميةٌ كبرى الآن، فبعد 1972 صار جهاز مكافحة التجسس يقاوم البث باللغة الروسية في الإذاعات الموجهة، حتى حين يتم التقاط البث في المناطق الجنوبية فقط، فإن البرامج تكون مشوَّشة ولا يمكن الاستماع إليها إلا بصعوبة.

يشعر بالأسف لأن الميل للهجرة قد تراجع في الاتحاد السوفييتي. إنهم يعكفون حاليًا على تطوير وسائل لدفع الناس للهجرة، ويرغبون في استغلالها في الوقت الملائم.

وفقًا لـ"زاريتسكي"، فإن معرفة اليهود المقيمين في الاتحاد السوفييتي بالمصاعب التي تنتظرهم في "إسرائيل" غلطة كبيرة، فذلك يجعلهم يحجمون عن الهجرة، ولا يرغبون في الاستقرار في "إسرائيل".

حسنًا، يستحق هذا التقرير درجة "امتياز".

أُعجِب رؤساء السيدة بعملها هذا، لدرجة أنهم بعد وقتٍ

قصيرٍ للغاية، أوكلوا إليها مهمةً تفوق قدراتها. لم تعجبهم النتيجة لاحقًا:

"خلال رحلاتها، نجحت السيدة "باباي" في جَمع وثائق هامة عن المؤتمر الصهيوني العالمي الثلاثين، لكن عملها في جمع المعلومات السياسية المطلوبة، كان دون المستوى.

في تقاريرها، تجيب عن أسئلتنا بشكلٍ شديد العمومية، وبأسلوب صحفي دعائي، لا يتوافق مع فكرة جمع المعلومات.

توضح عباراتها والنتائج التي تتوصل إليها، بأن قناعاتها ومعتقداتها السياسية تمنعها من الحفاظ على موضوعيتها.

ومع ذلك، فإن السيدة "باباي" تتميز بأمر هام للغاية هو معرفتها الوطيدة بعددٍ كبير من الشخصيات الإسرائيلية؛ يمكن استغلال هذه النقطة في مهماتها المستقبلية.

دوحة الكتب حراية

"حاولت السيدة "باباي" إنجاز مهماتها على الوجه الأكمل، ولكن كثيرًا ما باءت محاولاتها بالفشل وانتهت بشكلٍ هزلي. فشلتْ تمامًا في دخول المؤتمر العالمي للصهيونية التاسع والعشرين وكذلك الثلاثين في "القُدس"، لم تستطع حتى الاقتراب من أيٍّ من المشاركين. شخصيًا، أعتقد أنها كانت سعيدة من داخلها لهذا الفشل. الواقع أنها طلبت من أحد معارفها أخذها هناك مرتين. فيما بعد، وتقديرًا منها لمحاولته

مساعدتها، وفي مقابل توصيله لها بسيارته أكثر من مرة خلال ذلك، حرصتْ على إهدائه لوحة من أعمال الفنان الفِطري الهنجاري "تيفادار سونتفاري كوستكا"، وبطبيعة الحال، طلبتْ من المخابرات الهنجارية شراءها بالنيابة عنها. في نهاية الأمر، لم تخرج المعلومات القليلة التي قدمتها لهم بخصوص المؤتمر، عن إطار الموجود في الكتيبات السياسية والمنشورات وما شابه. طُلِبَ منها أيضًا جمع أدوات وإصدارات خاصة بالبريد الإسرائيلي، بما في ذلك الطوابع والظروف والأدوات الكتابية. نجحت في تنفيذ هذه المهمة، لكن فشلها في الكثير من المهمات الأخرى كان واضحًا وملموسًا، حتى لو لم يُصَرِّح الضباط المسؤولون عنها بذلك. اتضح لهم أنها غير مؤهلة للقيام بالمهمات الصعبة، التي يتطلب تنفيذها الكثير من الدقة. لم يكن بوسعها لعب الدور بنجاح.

ظلت مشكلتها الكبرى هي: الصهيونية.

قُمنا بتقسيم مهماتها إلى عدة فئات:

- أهم قرارات المؤتمر العالمي للصهيونية التاسع والعشرين، المُعادية للاتحاد السوفييتي، والدول الاشتراكية الأخرى، فيما يخص مصالح اليهود المقيمين هناك.

- طبيعة وروح الإجراءات المعادية للسوفييتية، التي يسعى المؤتمر لتطبيقها.

- ما هو المذهب الذي يحاولون تطويره لزيادة تأثيرات

الفِكر الصهيوني؟

• ما هي الإجراءات والأفكار التي ينوون توظيفها لجذب المزيد من الشباب اليهودي للحركة الصهيونية؟

• الإجراءات والأفكار المتوقع توظيفها لدعم الهجرة، ودعم اليهود المُقيمين في الدول الاشتراكية.

• جوانب المشكلة الفلسطينية، كما يثيرها **المندوبون الأفراد.

• طبيعة الصراعات المحتملة بين المؤتمر العالمي للصهيونية، والمؤتمر العالمي لليهودية، بالإضافة إلى الوفود الإسرائيلية والأمريكية وغيرها.

• آراء قطاعات مختلفة من المجتمع ومن مختلف الأفراد، حول المباحثات الإسرائيلية - المصرية بشأن عملية السلام في الشرق الأوسط.

• قد نكون مهتمين بتسجيلها للمسائل المتعلقة بدخولها "إسرائيل"، من حيث الحدود والتفتيش الجمركي، وفترة إقامتها هناك: ما هي التغييرات التي حدثت؟ هل صارت أكثر تشددًا أم أكثر تساهلًا؟

• القوانين المتحكمة في الرحلات والانتقالات الداخلية، والإجراءات الأمنية المتخذة لحماية المؤتمر.

• بالإضافة لما سبق، نطلب منها توفير مواد تساعد على فهم الأوضاع الداخلية الإسرائيلية، الاقتصادية والسياسية، وبخاصة عقب صعود الليكود للسُلطة.

الشؤون المالية:

جودة الكتب حرامية

بعد الموافقة على خطة سفر العميلة، وفي مقابل وَصْل، منحناها 8000 فورينت بالإضافة إلى 500 دولار، لتغطية تكاليف السفر وغيرها من المصروفات. من أجل تقنين المسألة، قمتُ بإعطائها إذنًا بإخراج عملات أجنبية.

كانت السيدة "باباي" تدرك أنها تسعى للمستحيل، ومع ذلك حاولت الوصول إليه. أما عني أنا، فإنني لا أستطيع - ولا أريد - تحليل التطورات في الشرق الأوسط في القرن العشرين، والصراع الفلسطيني - اليهودي و/ أو الحرب الإسرائيلية – العربية، كما أنني لا أرغب في الحُكم على السياسة العالمية، كلا؛ لا أريد شيئًا من ذلك، كل ما أرغب به الآن هو فهم أمي. كانت قد أعلنت في مرحلةٍ متأخرة من حياتها (متأخرة جدًّا!) بأنها رغم آرائها السياسية القوية، وإيمانها، والظلم الذي شهدته بنفسها (مثل طرد الفلسطينيين، وهدم القُرى الفلسطينية، وتشريد سكانها في المخيمات والمعسكرات) فإن اهتمامها الأكبر انحصر في كشف عيوب وخطايا الإسرائيليين، مستعينةً أحيانًا بالمقالات الرئيسة في صحيفة "برافدا". في هذه النقطة تحديدًا، تشبه السيدة "باباي"عددًا من اليساريين البارزين من ذوي الأصول اليهودية مثل: "نعوم تشومسكي"، والمُخرج "كين لوتش"، والممثلة "فانيسّا ريدجريف". قدست أمي فكرة الوطنية، وأحبتها حبًّا أعمى، وكرهت الصهيونية - في المقابل - كراهيةً شديدة وتعاملت معها بنوعٍ آخر من العمى، وهو الإمبراطورية السوفييتية.

في العالَم العربي، واجه "جان جينيه" الثقافة الفرنسية

والكولونيالية، التي مُجدت بطريقة كريهة. بدعوةٍ من "ياسر عرفات"، أمضى بعض الوقت برفقة المقاتلين الفلسطينيين. شكلت التجربة له مغامرة أيروسية (وصفها بذلك في كتاباته). لاحقًا، أمضى ساعتين في مخيميْ "صبرا" و"شاتيلا" في "لبنان"، ووصف المذبحة التي تعرض لها الفلسطينيون هناك. لم يهتم حينها بالأيديولوجيا التي تقف وراء الحدث، وإنما انحصر اهتمامه بالحدث المأساوي نفسه؛ وقف في صف الطرف الأضعف. في فترةٍ من حياته، أيَّد "جينيه" حِزب "الفهود السُود". كان كل ذلك بالنسبة له، جزءًا من الميثولوجيا الخاصة به، وليس خضوعًا لأحد الأنظمة الحاكمة. لا يُعقَل أن "بروريا" لم تكن مدركة أنها تتجاوز حدودًا أكبر بمرور الوقت؛ حدودا جغرافية، وأخرى أخلاقية، تجافي السائد والمعروف. يبدو أنها كانت تجد سببًا لخرقها للأخلاقيات، بتذكير نفسها بأن الغاية تبرر الوسيلة. أمضت حياةً كاملةً في تسلق الحواجز، بإيمانٍ تامٍّ وشجاعة في البداية، ثم بطريقة غير مُبَرَّرة في النهاية، رغم محاولاتها المقارنة بين ماضيها كناشطة شابة شجاعة، ترتكب أفعالًا غير قانونية أحيانا، والعون الذي تقدمه لقِسم 3/1 والذي تتلقى مالًا في مقابلهِ. استمر عبورها للحدود طويلًا، وامتدَّ تأثيره على تفاصيل الحياة اليومية للآخرين، ليس فقط من الغرباء، بل وحتى الأصدقاء والأقارب. بشكلٍ غير مباشِر ربما في بعض الأحيان، لكنه في كل الأحوال ساهم في زيادة الفساد والدكتاتورية والبيروقراطية التي خدمت الإمبراطورية السوفييتية، وحرمت المواطنين من الحرية. تشير بعض

أوراقها إلى إدراكها بأن النظام الذي دعمته هنا في البلد، والستار الحديدي الذي فرضه على الناس، كان سخيفًا وراسخًا في آنٍ واحد. لماذا يشعر اليهود بأنهم "غرباء في أوطانهم"؟

الإدراك بأن كل خطة معادية للشيوعية، ومعادية للاشتراكية، يمكن جعلها أكثر حيادية وموضوعية، لو أن اليهود غير الصهيونيين في الدول الاشتراكية المختلفة لم يشعروا بأنهم غرباء في أوطانهم. تعرف الصهيونية هذا الشعور بالاغتراب جيدًا، وتستغله لصالحها. إنها تعرف الشقوق الموجودة في الأجهزة البيروقراطية داخل المعسكر الاشتراكي، وتجيد الانتفاع منها. المسألة ليست مجرد تقوية الأمن الداخلي وكل ما يتعلق به، وإنما يجب أيضًا الانتباه لكل خطوة تتخذها الصهيونية العالمية، بهدف استغلال جمود القوانين المنتشر في المعسكر الاشتراكي. تُعَدُّ السياسة الهنجارية الأكثر مثاليةً في هذا المجال، رغم بعض العيوب التي تشوبها. من الأفضل أن تتهم الصحف الإسرائيلية المثقفين ذوي الأصول اليهودية في الدول الاشتراكية بمعاداة السامية (على سبيل المثال، في 27 يناير 1983، قامت "معاريف" باتهام "ميهالي سوكوسد" و"أوندراش ميزي" بمعاداة السامية وامتلاك آراء مُخيفة) على انتقاد ومهاجمة الحكومة الهنجارية وأجهزتها البيروقراطية.

ثم تقوم بإرسال رسالة دون تعليق إلى المتنصتين:

"هذا الرجل أستاذ فيزياء فلكية في جامعة "تل أبيب"، وقد عاد للتو من الولايات المتحدة، بعد إجازةٍ لعام

كامل أمضاه هناك. قبل ذلك، حضر مؤتمرًا أكاديميًا في "بودابست". عقب عودته إلى "إسرائيل"، أعلن أن تجربته في "بودابست" كانت جيدة، وأن الأمر الوحيد الذي أزعجه هو الراديو الذي كان الفندق يقوم بتشغيله طوال ساعات اليوم، كما لو كان بنظامٍ مركزي. كلما حاول إغلاقه، ظهر أحد موظفي الفندق متسائلًا إن كانت هناك مشكلة في الراديو. يعتقد الأستاذ الجامعي بأن هناك علاقة وثيقة بين هذا الأمر والتجسس على المحادثات؛ يظن بأن هناك حالة تجسس قائمة على كل مَن يتكلم داخل غرف الفندق، وفي المكالمات التليفونية".

وأخيرًا، الجوهرة التي ترصِّع التاج، وأعني بها القُصاصات حول المسألة اليهودية، والتي تكشف عن إلمام أمي بالتلمود. إن التردد الفِكري الذي يسِم هذه الأوراق، مألوفٌ تمامًا لصاحبتها. كلا، سوف أقوم باقتباس كلماتها بأقرب وأدق ما يمكن، كما وردت بخط يدها وفي ملفاتها. لا يسعني إلا الانتباه للمفارقة التي تحملها عبارة "ذلك الشعور موجود"، والذي تشير به إلى إحساس البعض بيهوديتهم:

"دعونا نتوقف عن خداع أنفسنا بالتفكير في أن المشاعر المعادية لإسرائيل في نفوس اليهود المقيمين في الشتات، سببها هو العدوان الإسرائيلي. تثبت الخبرات التاريخية أن اليهود، عندما يشعرون بيهوديتهم (ذلك الشعور موجود، سواء كان حقيقيًا أم زائفًا) فإنهم يجدون أسبابًا لتبرئة "إسرائيل" وسياساتها، حتى

حين يرددون انتقادات لـ"إسرائيل"، أو ينزعجون من بعض تصرفاتها العدوانية، فإنهم لا يتخلون عنها وعن الصهيونية، بل يستمر تأييدهم الذي يتجسد في صورة دعم معنوي ومادي. يشعر الكثير ممن يعيشون داخل "إسرائيل" بالقلق من أن ينقلب اليهود المقيمين في الشتات على "إسرائيل". لذلك يحاولون تنظيم عمليات غسيل دماغ، بأقصى سُرعة ممكنة للمقيمين في الخارج، ويرسلون إليهم شخصيات بالغة التميز. يقومون أيضًا بتكوين جماعات للمناظرات (لا تقتصر على الدوائر اليهودية فقط)، تهدف إلى الدفاع عن مواقف وتصرفات "إسرائيل". أحضرتُ معي موادًّا توضح ذلك. المزاج العام السائد في "إسرائيل" يتصف بالكآبة. يستغل اليمين هذا الأمر لخدمة مصالحه التي لا تنتهي. هناك مَيل نحو الحلول الإيجابية العادلة، لكن السائد حاليًا هو انتشار القوة العدوانية".

في التقرير السابق تبدو "بروريا" كأخصائي علم أمراض، يقدم تحليلًا شاملًا. لطالما تورطت "بروريا" في جدل مع الضباط المسؤولين عنها. كثيرًا ما تراجعت عن مواقفها بطريقةٍ لا تخلو من المهانة، لكنها سرعان ما كانت تعود لأسلوبها المعتاد معهم. قدَّمتْ خدمات كثيرة للنظام، سواء في الترجمة أو في التمريض، ونالت مقابل ذلك مكافآت مادية بطبيعة الحال، قَبِلتها باعتبارها حقًّا من حقوقها. ومع ذلك، كانت في حالة صراع دائم مع المسؤولين عنها، في كل خطوةٍ تخطوها على دربهم. صارعتْ النظام بأكمله، ولم تنل منهم امتيازات خاصة

أبدًا؛ ولكن - للحقيقة والإنصاف - نهاية الستينيات، أي في منتصف مرحلة نظام "كادار"، نالت وأبي وسام الاستحقاق الوطني الاشتراكي Socialist Homeland Order of Merit الذي كان بديلًا لوسام "فيتيز" السابق له؛ نالا هذا الوسام لماضيهما الحِزبي. رافق هذا الوسام تكريم مالي ضئيل، لكن كل "فيللر" كان مفيدًا.

بذلت جهدًا هائلًا، وسعت كثيرًا من أجل الحصول على شقة في البرج السكني الكبير في شارع "كيريك"، من أجل أسرة "فورجاتش" التي تضاعف عدد أبنائها خلال سنوات قليلة من زواجها. كثيرًا ما وصفت مساعيها بالقول: "زحفتُ على بطني المُدماة من أجلكم". انتقلتْ بأبنائها إلى المسكن الجديد بدلًا من بيتهم القديم الشبيه بزريبة ضيقة. كانت محاولات أبي، باعتباره رب الأسرة المسؤول عنا، لنقلنا إلى منزلٍ أكبر قد باءت بفشلٍ متكرر. بذل جهودًا إضافية في مجال الترجمة وكتابة المقالات، إلى جانب عمله الأساسي كمحرر صحفي وإذاعي، لكنها كانت تكفي بالكاد لسد الثغرات التي تملأ احتياجاتنا المادية. الحقيقة أن والديَّ كانا فاشلين في التعامل مع المال؛ كانا لا يفهمان قيمته الحقيقية، ويتصرفان مع النقود كالأطفال، وهو ما يفسِّر العبارة التي كانا يكررانها منذ بداية كل شهر: "أنا مُفلس" و"أنا أيضًا مُفلِسة".

من أجل ضمان استمرار زياراتها لأقاربها في "إسرائيل" بشكلٍ منتظم، وهي الزيارات التي لم تستطع التخلي عنها أبدًا، طالبت المسؤولين بجواز سفر لنفسها ولأبنائها؛ أيْ

أنا وشقيقي الأكبر وأختي الصغرى، كما سعتْ لاستخراج تأشيرات دخول مقابل مبالغ مالية زهيدة لأصدقائها الإسرائيليين وأقاربها ورفاقها القدامى، حين انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين "هنجاريا" و"إسرائيل"، ولم يكن ذلك خطأ "إسرائيل". وأخيرًا وليس آخرًا، لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته "بروريا" في احتضان صغارها؛ جعلت من نفسها درعًا بشريًا لحمايتهم، وإقناع الجميع بأن اولئك الأبناء الذين ينتمون لحركاتٍ فنية مختلفة، تتخذ من المدارس الفنية الغربية نموذجًا، والذين تظهر أسماؤهم بين الحين والآخر في تقارير وزارة الداخلية، ليسو سوى مواطنين شديدي الإخلاص للنظام الحاكم.

عرف المسرح الإغريقي نوعًا من المسرحيات عُرِفَت بـ"المسرحيات الساتيرية" أو "التيسية". يمكن اعتبار حكاية "جيورجي بيتري" وشقَّتي المليئة بأجهزة التنصت واحدةً منها. استغلت السلطات "بروريا"، وتعاملت معها بخبثٍ ولؤم، خبثٍ ولؤم؛ نعم، بخبثٍ ولؤمٍ شديدين. اعتقد ضباط قِسم 3/1 بأنهم فرسان آخر الزمان، مصنوعون من أفخر أنواع بورسلين "هيريند" الهنجاري، وأن بإمكانهم خلق السلام في العالَم، وأن ذلك يسمح لهم بفعل كل ما يخطر ببالهم.. لا بأس.. ولكن لماذا كان عليهم خداعها وإفساد حياتها والكذب عليها، وهي التي قدمت لهم مساعداتها باقتناعٍ تام؟ إنَّ الجوانب الكوميدية في الحكاية التي سأوردها بعد قليل، لا تقلِّل من خبث نواياهم؛ الواقع أن الفشل لا يبرِّر الشر. سمحت لهم أمي باستغلالها دون شك، عبر اقتناعها بقدرتهم على فعل

أيِّ شيء، وهو ما جعلها تخضع لهم بذُلٍّ وخنوع. أضِف إلى ذلك تيقُّنها من أن هؤلاء الناس "يخوضون صراعًا من أجل الحق والخير"، رغم الدلائل التي تشير إلى أنها فقدت إيمانها بهذه النقطة في المرحلة الأخيرة من حياتها، إلا إنها لم تمتلك الكلمات المناسبة للتعبير عن ذلك.

المعلومات الواردة في التقرير التالي، مصدرها "بروريا" نفسها، ثم أخذها الضباط المسؤولون عنها، وبكل ما يتمتعون به من حِكمة - لا ينافسهم فيها إلا "بوذا" نفسه! - قاموا بملاعبة أمي، كما لو كانت المسألة كلها بالنسبة لهم مجرد لعبة بلياردو؛ يحركون الكور بعصيهم هنا وهناك، دون أدنى اهتمام بالتخريب الذي يتسببون به باقتحامهم حياة الناس الخاصة؛ وبلا مبالاة بأنهم يوكلون إلى أُمٍّ مهمة لا ينبغي على أيِّ أمٍّ القيام بها. ومع كل ذلك، فإن الموقف بأكمله كوميدي، رغم أن احتمالية انتهائه على نحوٍ مأساوي كانت قائمة. الحكايةُ صورة مصغَّرة للشر تستدعي البكاء والضحك في آن واحد.

وزارة الداخلية - سري للغاية!

قِسم فرعي 3/3-4-أ

"ساكاداتي"- س.ج، ب

إلى الرفيق "إستفان بيرنيي"، عقيد شرطة

وزارة الداخلية، قسم 3/1-2

بودابست

قمنا بوضع "هـ . س ." المدير السابق في الإذاعة

الهنجارية، تحت المراقبة بسبب كتابته لنصوصٍ ذات محتوى عدائي، وتوزيعها داخل "هنجاريا".

في إطار مراقبتنا له، تأكدت شكوكنا في مجموعة "س" التي تتولى عملية طباعة وتوزيع المنشورات الممنوعة، وعلمنا بأن "س" جاسوس لوزارة الداخلية.

في جدال مع (تم حجب الاسم) طالب جامعي، تأكدت هذه الشكوك، إذ قام (تم حجب الاسم) بسرد تجربته القاسية مع أفراد الشُرطة، لكن "س." حرص على التشكيك في الرواية.

حضرتْ (الاسم محجوب) الموقف، وانتابتها الشكوك حيال "س."، وأخبرت أمها عنها.

وفقًا للاتفاق الشفهي بيننا، قام الرفيق "ميكلوس بيدِر" - الضابط في قِسم 1/3-2 بوزارة الداخلية - بإعادة سرد المعلومات على الأم؛ السيدة "مارسيل فورجاتش".

بهدف تشويه سُمعة "هـ. س."، وتأكيد الشكوك المثارة حوله، فإننا نطلب من الرفيق "بيدِر" تبليغ التالي للسيدة "مارسيل فورجاتش"، مع التوضيح لها بأن المعلومات من مصدر موثوق منه:

• نمى إلى عِلمنا أن (الاسم محجوب) يعمل على تشويه سُمعة جهاز الشُرطة، وأنه يقوم في الوقت ذاته بنشر شائعات كاذبة عن "هـ. س.".

• على السيدة "فورجاتش" إقناع (الاسم محجوب) بتغيير سلوكها الحالي، بسبب ملاحظة وزارة الداخلية لأنشطتها المُخرِّبة.

بسبب ملاحظات الرفيق "بيدِر" الواردة أعلاه، فإننا نتوقع الحصول على المزيد من المعلومات حول "س."، و"علاقاته بأفراد وزارة الداخلية الذين يقومون بحمايته". نتوقع أيضًا أن يعاني من العُزلة بسبب ابتعاد الناس عنه. بالإضافة لذلك، يُتوقَّع أن يقل نشاط (الاسم محجوب).

بودابست - 12 ديسمبر 1978

"د. يوزيف هورفاث" - عقيد شُرطة - نائب رئيس الفريق

"ميكلوس إيسفيج" - ضابط شُرطة - رئيس قِسم فرعي

كيف استطاعت التعاون مع الـ"رفاق"، الذين تولوا الإشراف على مهماتها واحدًا تلو الآخَر؟ كيف سمحت لهم باقتحام الجوانب الخاصة من حياتها، ورؤية مُطَرَّزاتها؟ وكيف شاركتهم مخاوفها؟

بطبيعة الحال، يتم تلقينهم كيفية القيام بكل هذا:

"يمكن القول بشكلٍ عام، إن المرحلة الأولى من علاقة العمل هي الأكثر قدرة على تطويع تطور الرباط الإنساني الصادق بين الضابط المسؤول وعضو الشبكة.

من المستحب في هذه المرحلة تحويل دفة الحوار إلى خصوصيات عضو الشبكة، ليتمكن من طرح مشكلاته الوظيفية والعائلية أو غيرها، ومشاركة ضابط العملية أحزانه وأفراحه".

لكن الأمور لا تسير دومًا بهذه السلاسة. في الفقرة التالية، يدون "دورا" في تقريره لقاءً جمعه بالسيدة "باباي"، تعامل معها فيه كطبيب نفسي يلاحظ أدق

التفاصيل بعينيْ صقر:

"طلبت منا السيدة "باباي"، نيابةً عن ابنتها التي تدرس في "موسكو"، أن نسأل لها عن تكاليف الأنواع المختلفة من العلاج الضوئي للأمراض الجلدية، في مدينة "فيينا".

اتفقنا على تحديد موعد اللقاء القادم بعد اتصال تليفوني، في بداية شهر مارس 1983. أنهينا الاجتماع الذي تكلف 75 فورينت، في الساعة 12:35.

تقييم:

بدت السيدة "باباي" مرهقة للغاية في لقائي بها اليوم، لكنها استفاضت في الحديث بحماس لشرح تقاريرها المكتوبة.

يبدو أنها على استعداد للتوسع في جمع المعلومات السِرِّية في محيطها الاجتماعي.

تصرفت على نحوٍ غريب غير مألوف، حين طلبتْ معلومات تخص العلاج الضوئي".

تصرفت ماما بغرابةٍ على ما يبدو، وفقدت هدوءها المعتاد، لأنها في تلك اللحظات لم تكن العميلة السِرِّية ذات الشخصية المتماسكة، بل مجرد أمٍّ تشعر بالقلق على ابنتها. سوف يتولون المسألة، كما في كتاب "أوتو سيلبال" حين ينصح الضُبّاط بالتعامل مع عملائهم السِرِّيين بـ"صدقٍ وأمانة" (استخدام هاتين الكلمتين في هذا الموضع، مفارقة في حد ذاتها!):

إنَّ بدء الحوار بمودة من قِبَل ضابط العملية ليس

مجرد تصرف لطيف من جهته، وإنما عنصر أساسي ورئيس في تكوين علاقة إنسانية عميقة ومتينة مع عضو الشبكة. عليه إظهار اهتمام صادق بمشكلات العميل السِرِّي، وإبداء تعاطفه معه، وتقديم العون له في مختلف المجالات، لكي يحصد نتائج إيجابية منه. إن علاقة مثل هذه تخلق ثقة متبادلة، واحترامًا من الطرفين لبعضهما، كما أن تحويل دفة الحديث لهذا الاتجاه يزيل الإحساس بالتوتر، ويؤهل الجانبين لمناقشة التقارير.

لم يكتفِ الضُبّاط المسؤولون عنها بالنصائح السابقة لكسب ثقتها وودها، لكنهم عمدوا أيضًا لاستغلال ظروف حياتها الكارثية، وعدم الاستقرار الذي اتسمت به حياتها الأسرية، والأيديولوجيا الفِطرية التي نشأت عليها منذ طفولتها المبكرة، والتي استمرت معها بقية حياتها. تذكرني حياتها بالعبارة التي قالتها "بلانش دوبوا" للطبيب في "عربة اسمها الرغبة": "أيًّا مَن كنتَ أنت، لطالما اعتمدتُ على عطف الغرباء". كانت تقدم تفسيرات أقرب للسذاجة، حين تتحدث عن النظام الاجتماعي. إحساسها بالتوحد مع تلك الشخصيات الرمادية التي تمثل وزارة الداخلية، أولئك المحاربون البيروقراطيون من قسم 3/3 الذين التقت بهم داخل مكاتبهم، وفي مختلف أماكن الاجتماعات، أولئك الأشخاص الذين كانوا في نظرها فرسانًا في حملاتٍ مقدسة. ماذا عن "توماس مان" و"جوته" و"أوسكار وايلد" و"جوزيف كونراد"؟ ماذا عن "باخ" و"بيتهوفن" و"برامز" و"شوبرت" و"تشايكوفسكي"؟

إنهم جميعًا أقل أهمية من اولئك الضباط والمسؤولين الذين يبسِّطون قضايا العالَم بطريقةٍ مُخِلَّة وخطيرة، لكنها تأسر أصحاب القلوب الطيبة، المستعدين دومًا لتقديم خدماتهم ومساعداتهم للآخرين.

تلك الطريقة في التفكير، المعتمدة على التبسيط والتي تساوي بين الهولوكوست - وصمة العار التي ستلاحق العالَم للأبد - والظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون، تفتقر في الواقع للمنطق السليم، وتعكس صورة مشوهة للحقائق، لكنها بالنسبة لـ"بروريا" طريقة مُعتَمَدة في الحُكم على الأمور، تقترب من الهَوَس. لقد حبست نفسها داخل أيديولوجياتها، كما حبست نفسها داخل موسيقاها، رغم أنها واصلت عادة أسرتها المتوارثة في مد يد العون للكثير من المحتاجين. تولت مسؤولية عدد من الفتيات، وأكاد أجزم أنها أحبتهن أكثر من أبنائها، وتعاملت معهن بمنتهى الإيثار، حتى حين كان أطفالها يعانون من نقص بعض احتياجاتهم. كانت تمنح الجميع ما يحتاجونه طوال الوقت دون أدنى تردد، ودون أن تلاحظ حتى أنها كانت تحرم أبناءها أحيانًا من الاهتمام الذي يتوقون إليه. لطالما كانت مُضَحِّية، هذه الممرضة والقابِلة التي تخرجت في الجامعة الأمريكية في "بيروت" بتفوقٍ وامتياز، ولطالما فكرتْ في السفر إلى إفريقيا لتقديم خدماتها للناس هناك. لاحظ المسؤولون عنها الفوضى والتشويش اللذين تعاني منهما، واعتبروهما من صفاتها الشخصية الرئيسة، التي يمكن أن تصبح غير مُحتَمَلة في بعض الأحيان. لم تزعجهم هذه الصفات في شخصيتها،

بل قاموا باستغلالها لأقصى درجة، وراحوا يخدعونها المرة تلو الأخرى دون أيِّ شعور بالخجل. استخدموها كآلة، أو قطعة أثاث، مجرد جماد دون عقل، لكن فوضاها لم تخلُ من نوعٍ من النظام؛ كانت تحتفظ بكل ورقة، وقصاصة حرير، ووثيقة وبطاقة بريد، لم تكن تدري أين احتفظت بالغرض بالضبط، لكنها لم تكن ترمي شيئًا. أنا مثلها تمامًا على فكرة. الحقيقة أنها كانت بحاجة لهذا النوع من الفوضى المتجددة في حياتها، لتتجنب بها مواجهة مشكلتها الرئيسة، والتي تتلخص في كونها في "لا مكان"، لا مكان على الإطلاق؛ الكلمة باللغة الهنجارية تقارب في نطقها الكلمة العِبرية للجحيم أو الهاوية "سيهول" و"شيئول"، كانت في لا مكان، كانت في الجحيم.

في 1688، ابتكر الطبيب السويسري "يوهانِس هوفر" مصطلح "نوستالجيا"، أو هذا ما تقوله الحكاية. قام بتركيب مقطعين من كلماتٍ إغريقية، "نوستوس" (العودة للوطن) و"آلجوس" (ألم)، وهما كلمتان تَرِدان في "الإلياذة"، عقب ملاحظته لانتشار مرض غامض بين الجنود السويسريين، وبخاصة المرتزقة، الذين كانوا يخدمون في أراضٍ ليست بعيدة أساسًا عن وطنهم. يجب عدم الخلط بين "نوستالجيا" و"الاشتياق للوطن". شملت الأعراض السائدة اضطرابًا

عصبيًا ويأسا ونوبات من البكاء وضعف الشهية الشديد ومحاولات الانتحار. لاحظ "هوفر" تلك الأعراض لدى فتى انتقل من "بيرن" إلى "بازل"؛ أيْ لم يكن يفصله عن مدينته سوى أربعين كيلومترا فقط! في أطروحته، يصف "هوفر" الحالة بأنها: "مرض مُخّي ذو أسباب شيطانية، ينتج عن ذبذبات صادرة من أرواح حيوانات، تتخلل أنسجة وسط المخ، الذي انطبعت عليه أفكار الوطن الأصلي للشخص". في 1732، خرج الباحث السويسري "يوهان جيكوب شوشزر" بسببٍ جديدٍ للنوستالجيا: "الفرق الحاد في الضغط الجوي، الذي يؤثر على ضغط الجسم فيسحب الدم من القلب ويضخه للمخ، ما يتسبب في محنةٍ من العواطف". في تلك الفترات، اعتقد الناس أن النوستالجيا مرض سويسري نادر. أكد الأطباء حينها أن سبب المرض المنتشر بين قوات المرتزقة الموزعة في مختلف أنحاء أوروبا، هو الضرر الذي يصيب آذانهم وأنسجة أمخاخهم، بسبب الرنين المستمر للأجراس المعلقة في رقاب الأبقار في جبال الألب. يقال أيضًا أن جنرالًا كبيرًا في القوات الروسية نجح في التوصل لطريقةٍ ناجحةٍ لعلاج النوستالجيا المنتشرة في صفوف جنوده، وذلك عن طريق دفنهم أحياء.

في حالة "بروريا"، فإن علاجها الوحيد هو في عودتها للاستقرار في وطنها، لكن ذلك كان مستحيلًا، ولذلك ظل شعورها بالنوستالجيا يتعاظم كلما عادت من "إسرائيل" إلى "هنجاريا". ربما لم يكن ذلك حلًّا لمشكلتها في الواقع، فشيء من حزنها الغامض مرتبط

بوطنٍ مفقود؛ عالم سِرّي يُدعى "فلسطين"، تَجاوَرَ فيه شعبان وعاشا معًا تحت سيطرة قوة أجنبية. تتراجع الأعراض لبعض الوقت، ثم تعود فتضربها بقوةٍ أكبر. لا شك أن النوستالجيا التي عانت منها، لعبت دورًا رئيسًا في إصابتها المتكررة بحمى القش في الفترة الممتدة بين فصليْ الربيع والخريف. كانت تخضع لتلك النوبات باستسلام تام، علها تزيل شيئًا من آلام روحها التي تكاد تدفعها للجنون.

في لحظةٍ معينةٍ من حياتها، اكتشفتْ بغتةً بأنها سجينة بلدٍ لا ترغب في العَيش به، رغم اعتقادها السابق بأنها تريد ذلك؛ بلدٌ له روائح أجنبية، وألوان أجنبية، ولغة أجنبية، بلدٌ قيل لها عنه بأنه يمتلك أفضل نظام سياسي في العالَم، واتضح لاحقًا بأنه الأسوأ على الإطلاق، لكنها حاولت التأقلم معه قدر استطاعتها. ادعت لسنوات طويلة بأن هذا هو ما تريده حقًا؛ الحياة في بلد ستبقى فيه أجنبية مهما فعلت، إذا تحدثت بالإنجليزية أو العِبرية في الترام، قام الناس بإبلاغ السلطات عنها؛ حدث ذلك للمرة الأولى في الخمسينيات، وكانت تلك الواقعة بمثابة إشارة تحذيرية. ليس بالإمكان حصر المرات التي تكررت فيها مثل هذه المواقف، لأنها تضاعفت بمرور الوقت، ولكن لم يكن التراجع خيارًا.

في 1983، أعطيتها بطاقةً بريديةً، كنتُ قد اشتريتها من متحف "جيمالدي جاليري" في منطقة "داليم" بـ"برلين". كانت المنطقة، قبل توحيد الألمانيتين، هي أفضل مكان لعرض المجموعات الفنية المتميزة. تصوّر

البطاقة لوحةً للفنان الهولندي "بيتر بروجِل"، تحمل اسم "قردان". في واجهة العمل، قردان يجلسان في إطار نافذة كبيرة، تطل على ميناء "آنتويرب" الذي يمثل خلفية اللوحة، كِلا القردين مربوط بسلسلة معدنية تلتقيان في حَلَقةٍ واحدة، أحدهما ينظر للمُشاهِد والآخر يدير ظهره له ويبدو مغاضِبًا، وتتناثر حولهما قشور ما يبدو أنه فول سوداني أو جوز. حين ناولتُ "بروريا" البطاقة، تأملتها باستغراقٍ تام، وكأنها في حالة تنويم مغناطيسي؛ كأن الرسام نجح في 1562 في تلخيص حياتها بأكملها. قامت بتطريز القردين مرتين على الأقل بدقةٍ شديدة دون أن ترى اللوحة الأصلية. الغريب في الأمر أنها قامت بتكبير صورة البطاقة عند نقلها كعمل مُطَرَّز، لتماثل الحجم الفِعلي للرسم الأصلي. لم يكن هناك حدود لموهبتها الفائقة في التطريز. عندما كان الضيوف يسألونها عنهما، كانت تجيب ببساطة بأن القردين هما: هي وأبي.

كلاهما ينتمي إلى اللامكان؛ ليسا هنجاريين، ولا يهوديين، ولا أجنبيين، وليسا من الرفاق الشيوعيين، ولا مواطنين فِعليين؛ بين الشيوعيين كانا يهوديين، بين اليهود كانا شيوعيين، بين الشيوعيين كانا هنجاريين، بين الهنجاريين كانا أجنبيين، مواطنَيْن دون وطن، كانا ينتميان إلى "شيئول" الهاوية المُظلمة التي يذهب إليها الأموات، كانت جحيمهما الخاص. بطبيعة الحال، ليس إجباريًا لأيٍّ يهودي في الشتات أن يقبل تجنيده كعميلٍ للدولة، كلا؛ يكفيه ما يعانيه طوال حياته من الاضطرار للتَيه حتى نهاية العالَم.

ثم تلك الحكاية عن "رابساني"..

الملاحَظ أن "بروريا" والضابط المسؤول عنها كانا دومًا يخطئان في تهجئة اسم الكاتب المقصود، "لازلو رابسانيي"، وكانا يكتبانه دون الياء الأخيرة؛ وهو ما يؤكد لي أن الكتاب لم يجد طريقه أبدًا إلى يديْ المقدم "دورا"، الذي لم يكن يعرف ما يتحدث عنه أصلًا عند تناوله لهذا الموضوع؛ كان كل ما يهمه هو عدم نشر رسالة أمي. بالنسبة لأمي، كان كتاب "القُدس" لـ"رابسانيي" هو القشة التي قصمت ظهر البعير. مما نراه في التقرير الذي كتبه المقدم في 13 إبريل 1984، يظهر لنا اتباعه لأسلوبهم المعتاد في الأخذ والعطاء

والمساومة. لن يقوموا بنشر رسالتها، لكنهم - في المقابل - سيمنحون ابن شقيقتها الإسرائيلي المقيم في "كندا"، تأشيرة دخول "هنجاريا" بسهولة.

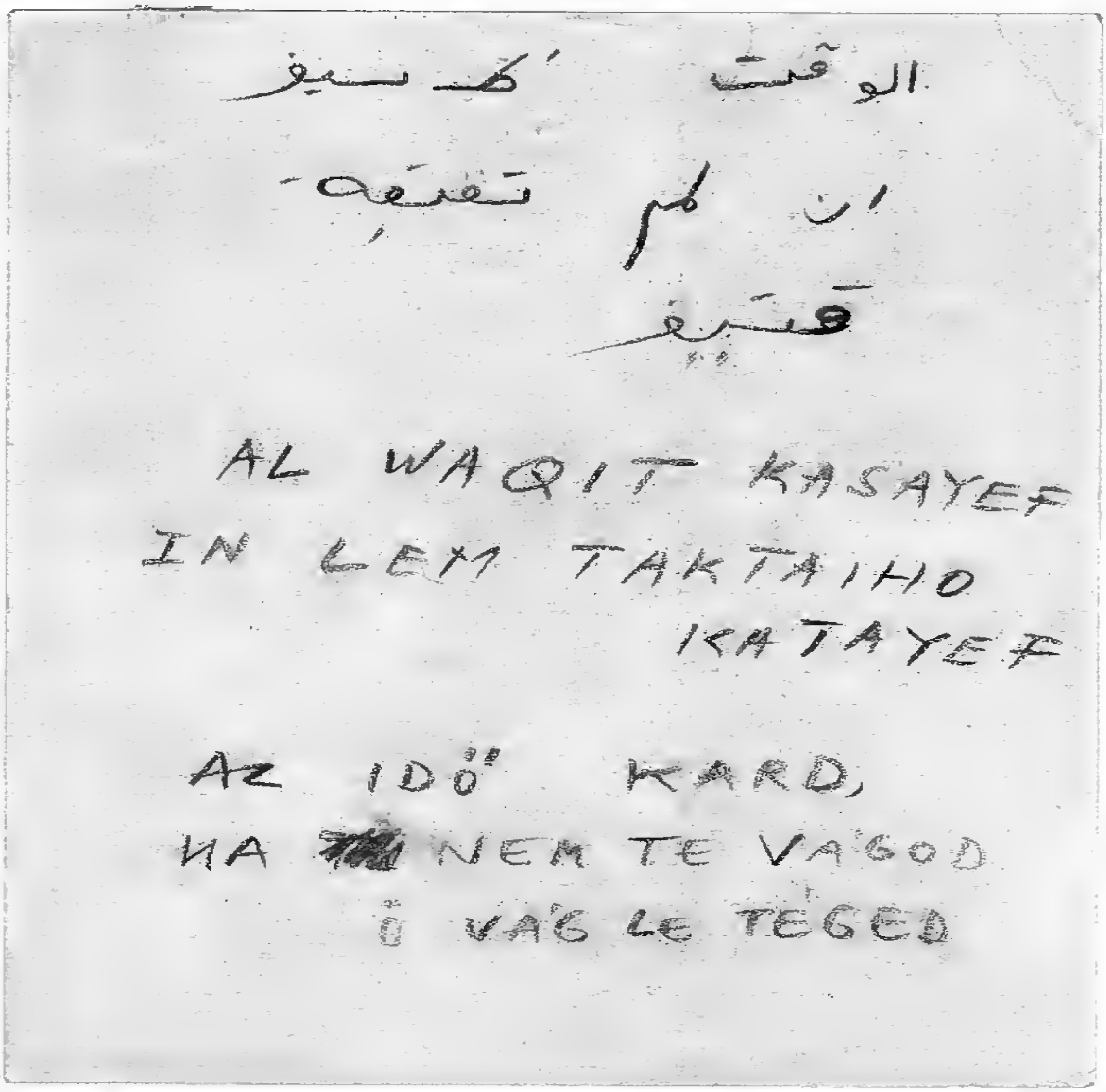

تقرير

<u>بودابست - 13 إبريل 1984</u>

في الساعة الثالثة مساءً من 9 إبريل 1984، التقيتُ في دار "فيرينس روجا" للمُسِنِّين، بالعميلة السِرِّية التي تحمل الاسم الحركي "السيدة باباي".

خلال الاجتماع، ناقشنا الموضوعين التاليين:

- "لازلو رابساني"، وكتابه "القُدس".
- مسألة "جريجور تزفي هافكين".

عبَّرت السيدة "باباي" عن سخطها وغضبها من كتاب "رابساني"، الذي تنزُّ الصهيونية من كل صفحةٍ فيه. أظهرت استيائها من السماح بنشر هذا الكتاب في الجمهورية الهنجارية. سلمتني السيدة "باباي" مسودة الرسالة المُرفقة بالتقرير، والتي تريد إرسالها للرفيق "بيريس" (مُلحَق رقم 1).

في نقاشي معها حول الرسالة والحاجة لكتابتها، حاولتُ إقناع السيدة "باباي" بأنني أتفهم دوافعها، لكنني لا أرى نشر الرسالة ملائمًا أو مفيدًا بأيِّ حال، لأن في نشرها مجازفة لشخصها ولتعاوننا المشترك.

قالت السيدة "باباي" بأنها تفهم أسباب قلقي، وأنها ستتخلى عن إمضاء الرسالة باسمها، لكنها ترغب في نشر قراءة للكتاب بأيِّ وسيلة، ليعرف الناس القيمة الحقيقية لهذا العمل والأخطاء التي يمتلئ بها.

اتفقنا على بحث الفُرَص المتاحة لنشر قراءة نقدية مناسبة لهذا الكتاب.

طلبتْ منا السيدة "باباي" تسهيل دخول أحد أقربائها، ويُدعى "جريجور تزفي هافكين" لزيارة "هنغاريا". "هافكين" مواطن إسرائيلي، عاش لعدة سنوات في الولايات المتحدة، ويعمل باحثًا في مجال علم نفس الحيوان، وقد زودتنا بالمعلومات اللازمة عنه (مُلحَق رقم 2).

في نهاية اللقاء، ناقشنا مسألة أبناء السيدة "باباي".

تقييم:

أوصي بالاتصال بقسم 3/3-1 بوزارة الداخلية، فيما يتعلق بكتاب "رابساني".

قام الضابط بإرفاق الرسالة الملعونة حول كتاب "رابسانيي" بالتقرير، وهي توضح الشيزوفرينيا المحيطة بالمسألة. إنها متاهة دون مَخرج، تخبط فيها السيد "باباي" والسيدة "باباي"؛ أبي وأمي طوال حياتهما في هذا العالَم الواسع. فُقِدَت ملفات "باباي" الثلاثة، لكن عددًا من تقاريره موجود في ملفات أخرى، مثل ذلك المخصص لتقييم العمل الإعلامي للعام 1972، والذي ظهر منذ أيام قلائل؛ من الواضح أنه أحد تقاريره الأخيرة. ركز فيه على المجلة الشهرية التي تصدر في "إيطاليا" باسم "ها-تيكوا" (من الكلمة العِبرية "هاتيكفا" والتي تعني "أمل"، و"هاتيكفا" هو اسم النشيد الوطني الإسرائيلي). في هذا التقرير، يقدم "باباي" عرضًا متميزًا يوضح فيه ازدواجية هذه المطبوعة: فالمجلة تدعي أنها غير صهيونية، لكنها كذلك في الواقع. يكشف "باباي" حقيقتها بسهولة. يعتمدُ على منطقٍ قاسٍ وحديدي (حسنًا.. استخدامي للكلمة الأخيرة يضيف مفارقةً ساخرةً لعبارتي.. أنا آسف يا بابا.. كان عليَّ قول ذلك!) تستندُ على ولائه التام والعميق للاتحاد السوفييتي الخالد. يكشف التلخيص الذي يقدمه "باباي" لمحتويات المجلة عن أنها ليست سوى آلة دعاية، تعمل بشكلٍ مستتر لخدمة الصهيونية. يعكس التقرير نفسه المتاهة

التي ضل فيها السيد والسيدة "باباي" طريقهما في شبابهما المبكر، وعجزا عن الخروج منها بقية حياتهما.

تقرير

بودابست - 26 يناير 1972

"ها-تيكوا" هي المجلة الصادرة عن اتحاد الشباب اليهودي الإيطالي. يتناول عدد نوفمبر المؤتمر 24 للاتحاد.

من القرارات الصادرة عنه، يمكننا بوضوح معرفة أن الاتحاد الذي يؤكد على الـ"استقلال" عن المنظمات الصهيونية، يفعل العكس في الواقع، ويسعى لخدمة السياسات الصهيونية وخدمة "إسرائيل" بطرقٍ مباشرة وغير مباشرة.

ولأن المجلة تدرك الميول اليسارية للشباب الإيطالي، فإنها تحرص على نشر البرامج اليسارية (...). بطريقة خبيثة، تعمد المجلة إلى تأكيد سعيها للبحث عن حقوق الفلسطينيين العرب، وتعلن رفضها لقيام قواعد عسكرية في الأراضي المحتلة، لكنها في الوقت ذاته تهمل توضيح كيف يمكن للفلسطينيين أخذ حقوقهم، وتركز فقط على ضمان الحقوق الإسرائيلية.

تشن المجلة هجومًا حادًا على "سوريا" و"العراق" والاتحاد السوفييتي، وتتهمهم بما يُسمى بـ"معاداة السامية". ورغم ادعائها المتكرر بأنها ليست صهيونية، إلا إن المجلة تقدم صورة دعائية لـ"إسرائيل" بوسائل متعددة، وتنشر إعلانات مدفوعة الثمن لمؤسسات

إسرائيلية، كما تنظم دورات للغة العِبرية وحلقات دراسية حول "إسرائيل"، بالإضافة إلى رحلات تعليمية إلى "إسرائيل".

تحت عنوان "نقاش مفتوح"، تعرض المجلة مواقف عدد من الشخصيات الصهيونية المعروفة. قامت بإجراء لقاء مع (...) أحد قادة المؤتمر العالمي للشباب اليهودي، الذي (...) ينادي بضرورة التعاون بين الصهيونيين وغير الصهيونيين. (سرعان ما يوضح ضيف المجلة أن غير الصهيوني يختلف عن المناهض للصهيونية).

"باباي"

ملاحظة:

سوف نقوم بدراسة مجلة "ها-تيكوا" في إطار تحديد المنظمات الصهيونية داخل "إيطاليا".

"يانوس ساكاداتي" - ضابط شُرطة.

بالنسبة للمقدم، فإن الخط الرسمي الذي ينبغي عدم تجاوزه، هو في نهاية الأمر مجرد خط، إن تم تحديده في مكانٍ آخر، فإنه لا يدخل ضمن مسؤولياته أصلًا. لكن بالنسبة لأمي، كان الخط نفسه مسألة حياة أو موت؛ سِلكا شائكا في سُور. كنتُ أفضل عدم تضمين الكتاب الرسالة التالية، لكن - للأسف - ذلك غير ممكن. "بروريا"، بإبَر التطريز والخيوط الملونة، والليالي التي تقضيها ساهرةً في إعادة تشكيل لوحة "بروجيل" بدقةٍ وحساسيةٍ مُفرِطتين؛ "بروريا"، التي لا تفهم منطق

"القُدس" لـ"رابسانيي"، والتي لا ترى فيه سوى كتاب دعائي يقدم بروباجاندا فجة - وهي مُحقّة في ذلك، في رأيي - ترتكب الخطأ ذاته في رسالتها. يتجلى ذلك واضحًا في العبارة التي تقوم بشطبها عقب كتابتها، والتي تقارن فيها بين "جولدا مائير" و"رودولف هيس"؛ إنها تكرر الفعل الذي تنتقده لدى الآخرين. يمكن تلخيص المسألة في تشبيهها بالصورة التي تنقلها المرآة بطريقةٍ معكوسة. تضم الرسالة أيضًا عبارة أخرى ملفتة للانتباه، يكشف أسلوب صياغتها عن أنها مُركَّبة من دمج التعبيرات السائدة في الصحف ومقالات البروباجاندا، وهو ما يعكس أيضًا الاضطراب الداخلي في شخصية كاتبة الرسالة:

"إنَّ تجنب الحقيقة لا يوضِّح الواقع، لكنه يثير البلبلة والاضطراب في عقول الناس".

واقع الأمر أن كاتبة الرسالة مُحِقَّة، فكتاب "رابسانيي" يعرض وجهة نظر أحادية ومنحازة، لكن الرسالة بدورها، تفعل الشيء ذاته. نظرية الصورة المعكوسة على سطح المرآة مرة أخرى، والتي يمكن استخدامها بشكلٍ مضاد؛ يمكننا مثلًا القول بأن جميع العرب نازيون. حين وصل والد كاتبة الرسالة، جدي الذي كان شديد التديُّن إلى "القُدس" في 1922، فوجئ بأن البلد غير خاوٍ، كما قيل له؛ إن العرب يقطنون تلك الأرض. الأهم من ذلك، أن أولئك العرب أو البدو، يعيشون حياة اليهود القدامى كما وردت في الكتب المقدسة. لذلك السبب، قرر جدي اتباع عاداتهم وتقاليدهم، واختار أن يُكنَّى بـ"أبي ساؤول"؛ أكبر

أبنائه، وتحول الاسم بمرور الوقت إلى "آفي شاؤول". في ذلك الوقت، كان الاتحاد السوفييتي وليدًا لا يزال، ومثله أيضًا النازية! ومع ذلك، نرى صاحبة الرسالة تعبر عن سخطها بطريقة الصورة المعكوسة في المرآة، حين تأخذ فكرة "المعاناة" التي احتكرها اليهود لأنفسهم لآلاف السنين وتمنحها للفلسطينيين؛ تقول بأن الأخيرين هم أصحاب المعاناة الحقيقيين، وأن الإرهابيين الفِعليين - لا اعتراض على هذه التسمية - هم الإسرائيليون. ليس المخيف في الأمر هو هذه النتيجة الحاسمة، وطريقة التفكير الميكانيكية، بل إن المخيف هو فشل "بروريا" في إدراك ضعف الأسس التي تبني عليها أحكامها المسبقة (حتى وإن كانت المعاناة التي تصفها حقيقية، وكانت على دراية واسعة وعميقة بالمدينة التي وُلِدَت فيها وبسكانها). لقد أغمضت "بروريا" عينيها متعمدة، واستسلمت لطلبات وأوامر الرجال الذي يكتبون عنها في تقاريرهم:

"إنها تتولى تنفيذ مهام لنا؛ جمع معلومات عن أمورٍ وأشخاص بناءً على ما نحتاج إلى معرفته".

هذه إذًا هي ماما.. "تجمع معلومات عن أشخاص". هل هي نفسها ماما التي تزيل عني الصداع بلمساتٍ حانية من أصابعها على رأسي؟ هي ماما التي ارتاعت وانزعجت ما إن قرأت كتاب "رابسانيي"، فراحت تكتب - بهنجارية غير سليمة تمامًا - رسالةً إلى "الرفيق رئيس التحرير"، حاولت فيها أن تتحكم بأعصابها باعتبارها عضوًا حِزبيًا:

"الرفيق رئيس التحرير المحترم:

سوف أتجرأ وأكتب ملاحظات نقدية قليلة حول كتاب تافه، نال شهرة لا يستحقها، وأعني به "القُدس" للازلو رابساني".

يهدي المؤلف كتابه إلى "إخوته في الدين، أو الرب" لكن عند الاطلاع على المحتوى، يبدو واضحًا أن الفلسطينيين الذين يعانون أشد المعاناة، ليسو ضمن إخوة الكاتب. لن أناقش الدفاع التاريخي الذي يقدمه المؤلف لـ 1948، رغم أن ما يذكره عن وعد "بلفور" كريه للغاية، فالواقع أن الوعد لم يخدم مصالح الشعب اليهودي، بل مصلحة الإمبريالية الإنجليزية، وسياسات الاستعمار لبريطانيا العظمى. على الرغم من ذلك، فإن تجنب الحقيقة لا يوضح الواقع، لكنه يثير البلبلة والاضطراب في عقول الناس.

يكرر المؤلف في أكثر من موضع بأنه "لن يُسيِّس المسألة"، ولكن أليس عدم تسييس المسألة نوعا من السياسة في حد ذاته؟ هل هناك أساسًا وجهة نظر تاريخية موضوعية؟ ألا ينبغي على المؤرِّخ أو الصحفي أن يكون مُخلِصًا لسياسات وأنظمة الجمهورية الهنجارية ويقبلها بالتالي؟

في الوقت ذاته، الكتاب مُريب ومُغرِض، ويقوم بتسريب فكرة مفادها أن استمرار اليهودية لقرونٍ طويلة يعود لتوحيد "فكرة القُدس". بوسعي نقض هذه النقطة، لكنني لا أرغب في ذلك. على كل حال، لو كان ما كتبه المؤلف صحيحًا - والكتب التي تتناول الصهيونية من

الشِقَّين السياسي والأيديولوجي كثيرة، وتمت مناقشتها في العديد من المؤتمرات الصهيونية التي تناولت "القُدس" الساحرة - فإنه يسعى (الفقرة الأولى، الصفحة 20) لتأكيد أن الدولة الإسرائيلية مُحِقة في احتلالها المدينة القديمة للقدس وكامل الضفة الغربية، لأن الرب وعد بها "إبراهيم" في الإنجيل.

يتعامل "رابساني" مع هذا الاحتلال باعتباره أمرًا مُسَلَّمًا به (يفعل ذلك بطريقةٍ غير مباشرة، وهو ما يزيد من خطورة المسألة) بل إنه يصف مدينة "نابلس"، التي تم احتلالها في 1967، بـ"الإسرائيلية". يكتب عنها: "أحد أكثر المستوطنات الإسرائيلية إثارةً للاهتمام" (ص147)، بينما يعرف حتى الإنسان الهنجاري متوسط الثقافة بأن "نابلس" هي مركز المقاومة الفلسطينية حتى يومنا هذا. قبل وقتٍ قصير، قامت جماعة إرهابية يهودية بمحاولة اغتيال عُمدة المدينة، نتج عنها فقده لساقيه. قوبل هذا الاعتداء باستنكار شديد، ليس من العرب والشيوعيين فقط، بل ومن الأمم المتحدة أيضًا، لكن "رابساني" لن "يُسَيِّس المسألة" (...)

إن جامعة "بار إيلان" التي وجهت دعوة للكاتب، هي في حقيقتها معهد ديني شديد التعصب، وما يبقيه مفتوحًا هو التمويل الأمريكي.

أما "يهودا لاهاف" الذي استقبله ورافقه هناك، فإنه خائن. في عام 1956، ترك الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وتحول بعدها إلى مناهض شَرِس للشيوعية، ويعمل على التحريض ضد الدول الاشتراكية، لكن الحزب الشيوعي

الإسرائيلي يستطيع تناول قصة "لاهاف" أكثر مني.

في الصفحتين 300 – 301 من الكتاب، لا يُخفي المؤلف إعجابه بفكرة "قُدس إسرائيلية موحّدة"، ويصف الحماس الزائد للقادة الإسرائيليين للفكرة ذاتها. أما بخصوص ما حدث في قضية هدم البيوت والمنشآت، فإنه يكتفي بالقول بأن ما حدث أثار رد فعل غاضب بين العرب ووسائل الإعلام الدولية، ولكن هل ذكر لقرائه كم بيتًا عربيًا تهدم؟ وكم كانت أعمار تلك المنازل العتيقة؟ وهل قال لهم إن سُكان تلك البيوت موجودون في "القُدس" منذ قرون؟ وهل أخبرهم بأن الناشطين اليهود من الشيوعيين والمهتمين بالقضايا الإنسانية حرصوا على التعبير عن اعتراضهم على ما حدث؟ كلا؛ لا مكان لكل ذلك في كتابٍ لا "يسيِّس المسألة".

يصف المؤلف عُمدة "القُدس" المحتلة بأنه مثقف استثنائي. نعم، السيد "كوليك" كذلك بالطبع، وهو بالإضافة لذلك يحب "القُدس"، ولكن أليس من الطبيعي أن يكون عُمدة مدينة مُحتلة استثنائيًا وخارقًا للعادة؟ لم يهتم "رابساني" بلقاء سكان "القدس" المحتلة، لأن ذلك يعني "تسييس المسألة". العربي الوحيد الذي تحدث إليه (ص 74) هو مالك المقهى العربي الذي قص عليه بعض الحكايات (...)

كلا، لم يقم بزيارة العمدة السابق للقدس العربية "أمين المجاج"، الذي ينحدر من عائلة مقدسية عريقة، ويعمل طبيبًا ومديرًا لمستشفى "المقاصد". يقع بيته في "باب الساهرة" بـ"القدس القديمة". كان بوسع هذا الرجل

تزويد الكاتب بمعلومات كثيرة عن المدينة، لكن ذلك بطبيعة الحال يُعَدُّ "تسييسًا للمسألة"، كما أن السيد "كوليك" مصدر أكثر أهمية، وبخاصة أنه من مواليد "هنجاريا"! (...)

ولكن ألا يُعتَبَر سفر المؤلف إلى "القدس" ولقائه بالأثريين نوعا من "التسييس"؟ لقد قابل أثريين ومؤرخين يعملون لصالح الاحتلال في رقعةٍ من الأرض المحتلة، ألا تُعَدُّ أعمالهم وأبحاثهم غير قانونية أصلًا؟ بطبيعة الحال، لو كان ذكر ذلك، لاضطر أيضًا لذكر احتلال 1967، الذي - كما يبدو - قضية لا وجود لها في نظر الكاتب الذي يذكر في عمله: "لم تعد فكرة إعادة إحياء الأحجار والأفكار غريبةً بالنسبة لي".

هذا إذن ما يحاول تمريره طوال الكتاب، الإحساس الزائف بأن القُدس في أيدي الإسرائيليين واحدة وغير قابلة للانقسام.

في صفحة 156، يذكر بأن السلطات الإسرائيلية قامت بفتح "باب الخليل"، وهو ما "خفف من الازدحام" كما يقول، وسؤالي هو: ما شعوره لو قامت " الجمهورية الفدرالية الألمانية" بمهاجمة عاصمة "الجمهورية الديمقراطية الألمانية"، ثم قامت بفتح الجدار للـ"تخفيف من الازدحام"؟ (...)

إن الأسلوب الذي يتبعه المؤلف في كتابه هو تجاهل ذِكر العديد من الأشياء، واعتبار أن ما لم يكتب عنه غير موجود، أو لم يحدث أصلًا؛ أفعال "مردخاي جور"

وجنوده لم تحدث، الأعمال الإرهابية لقوات الاحتلال لم تحدث، تشريد الفلسطينيين وإجبارهم على العَيش في المخيمات لم يحدث، انتظار تدخل الأمم المتحدة لحل المشكلات القائمة غير موجود، كل ذلك مجرد سياسة. في هذا الكتاب، يحرص المؤلف على تصوير "جولدا مائير" كنموذج لـ"الجَدَّة الطيبة"، متناسيًا أنها هي ذاتها "جولدا مائير" التي جرَّت "إسرائيل" إلى عدة حروبٍ شَرِسة. يعرف التاريخ عددًا من السياسيين ممَّن أحبوا الموسيقى وزوجاتهم وأحفادهم، لكنه لا يخلِّد تصرفاتهم كأجداد، بل يسجِّل أفعالهم السياسية. حتى "رودولف هيس"، المسؤول عن "آوشفيتز"، كان يحب أسرته.

ليس هدفي، ولا مسؤوليتي، وضع كل مقطع في الكتاب يشبه ما ذكرته أعلاه؛ ينبغي أن تكون هذه مهمة غيري. على كل حال، أعتقد بأن الكتاب يجب أن يُقرأ من قِبَل أشخاص مؤهلين وأن تُنشَر عنه قراءات نقدية من وجهة نظر سياسية، لكي توضح أن الكتاب لا يمثل السياسات الهنجارية، أو هذا ما أتمناه على الأقل.

خالص احترامي

السيدة "مارسيل فورجاتش"

"بروريا آفي شاؤول"

بودابست - 6 إبريل 1984

كانت هذه رؤية أمي الكاملة للعالَم؛ لا تقودها الحسابات ولا تحركها المؤامرات السرية، كل ما ترغب فيه هو إعلان الحقيقة بوضوح والاستسلام بعدها.

بعد ثلاثة أسابيع؛ أيْ في 2 مايو، يكتب المقدم "دورا" تقريره:

"فيما يتعلق بكتاب "رابساني"، ذكرت السيدة "باباي" أنها التقت موظفًا في "معهد الشؤون الخارجية" يُدعى الرفيق "إندريفي"، وأن رأيه يماثل رأينا في ضرورة عدم إرسالها لذلك الخطاب الذي تنتقد فيه الكتاب لأيٍّ أحد.

لترسيخ هذه الفكرة، قمتُ بإقناع السيدة "باباي" بأن الخطاب سيتسبب في إثارة رد فعل سلبي، أيًّا كانت الجهة التي ستنشره.

إن النتيجة التي تسعى إليها لن تتحقق سوى من خلال عمل بطيء وشامل ومتواصل، وهي المهمة التي تقع على عاتقنا نحن.

شكرتُ السيدة "باباي" على لفت أنظارنا لهذا الكتاب الخطير، وطمأنتها بأننا سنفعل كل ما في وسعنا للتأكد من أن شيئًا مثل هذا لن يحدث في المستقبل. نبهتها إلى أن مثل هذه المسائل تتطلب وقتًا، ولذلك لا يمكن توقع نتائج فورية سريعة.

في نهاية لقائنا، تحدثنا عن صحة "باباي"، ثم ناقشنا مسألة الاحتفالات بيوم الأول من مايو.

انتهى لقاؤنا في 3:30 مساءً، واتفقنا على أن أعيد لها رسالة "بي. جيم" بأسرع ما يمكن.

تقييم:

التحدث بعقلٍ ومنطق بالإضافة إلى مرور بعض الوقت، لعبا دورًا في تهدئة السيدة "باباي" التي صرفت النظر عن نشر نقدها للكتاب علنًا".

هزيمةٌ تلو أخرى، لا بأس؛ لقد تناقش المقدم والسيدة "باباي" في احتفالات الأول من مايو، على الأقل!

هل عرف جدِّي المتعلم والمثقف، أنه بمنحه الاسم الجميل والنادر "بروريا" لوليدته (الاسم الذي يقابله في اللاتينية "كلارا"، وكلاهما يحمل المعنى ذاته: الوضوح واللمعان)، فإنه يورثها مَيلٌ للمآسي والكوارث؟ تمامًا مثل "بروريا" الأصلية، ابنة الحاخام "حانينا بن تيراديون" (الذي تعرض للحرق على يد الرومان)، والتي

أصبحت لاحقًا زوجة الرابي العظيم "مئير".

وفقًا للأساطير، التي ظهرتْ عقب قرونٍ طويلة من وقوع الأحداث، فإن تلك الـ"بروريا" امتلكت إلى جانب الجمال الفائق، عقلًا راجحًا. أتيحت لها فرصة التحاور مع رجال الدين ذوي العِلم والثقافة، ووردت على لسانها أكثر من عبارة حكيمة في التلمود البابلي. أما حكاية وفاتها، فتتلخص في إرسال زوجها الرابي "مئير" (حسب الأسطورة، اضطر للفرار من "بابل"، عقب إنقاذه لشقيقة "بروريا" الصغرى من ماخورٍ أنشأه المحتلون الرومان. تركز الحكاية على أنها كانت لا تزال تحتفظ بعذريتها).. أحد تلاميذه لكي يقوم بإغواء "بروريا". أراد الزوج بذلك إثبات صحة ما وَرَدَ في التلمود من سهولة انحراف النساء، فالمرأة التي تقضي معظم وقتها في قراءة ودراسة التلمود، والتي تتمتع بذكاءٍ خارق، هي في الواقع أكثر فسقًا من غيرها، وأشد عرضة لارتكاب الخطيئة. كانت "بروريا" قد أبدت اعتراضها على هذه المسألة في أكثر من مناسبة، وسخرت من الفكرة. قاومت محاولات التلميذ الشاب لبعض الوقت، لكنها استسلمت له في نهاية الأمر. تستكمل الأسطورة ما حدث، وتخبرنا بأن "بروريا" تملكها حزن شديد وإحساس عاصف بالندم، فقامت بشنق نفسها. حاول بعض الدارسين التخفيف من حدة الحكاية ونهايتها المؤسفة، فكان من ضمن ما خرجوا به أن التلميذ الشاب لم يكن سوى الزوج نفسه متنكرًا. قال غيرهم بأنه كان ينبغي على "بروريا" أن تقول إن التلمود محق في رؤيته للمرأة بهذه الصورة، وأنها مجرد

استثناء، ولا ترغب في ارتكاب الخطيئة، وأن معارضتها هذه لرؤية التلمود هي السبب في إحساسها بالعار. كانت "بروريا" من رائدات الحركة النسوية! سألها أحد رجال الدين مرة:

- أيُّ طريق ينبغي أن نسلك كي نصل إلى "اللد"؟

وبختته "بروريا" بشدة، وقالت له بأنه هو نفسه الذي وجه الرجال قبل فترة قصيرة، لعدم الحديث مع السيدات إلا للضرورة القصوى، فما الداعي إذن لسؤالها عن الطريق إلى "اللد"؟

هذا الموقف الأخير، يبين أن هناك ضغينةً حملها رجال الدين في العصور التالية، تجاه هذه المرأة التي تجرأت على مقاومتهم والرد عليهم. يقال إن "بروريا" تلك استطاعت حفظ ثلاثمائة قانون ديني من ثلاثمائة مُعلِّم في يومٍ واحد. لا تزال أقوالها الحكيمة، المنتقدة، الذكية، تتوزع على صفحات التلمود البابلي؛ باختصار، كانت "بروريا" أحد نجوم التلمود. حين شعر زوجها بغضب عارم من جيرانه الذين أفسدوا تأملاته بفوضاهم وإزعاجهم، ذكرته "بروريا" بأن الآيات تقول بأنه ليس على الخاطئين الرحيل عن الأرض، بل الخطيئة نفسها هي التي يجب أن ترحل. بحسب ما وردَ في المدراش، نلاحظ أن أهم تصرف اشتهرت به هو في حقيقته مأساوي للغاية: غابَ زوجها لحضور احتفالاتٍ دينية. خلال سفره، مات ابناهما بسبب مرضٍ مفاجئ. عند عودته، لم تخبره بما حدث، لكنها قالت له:

- منذ فترة، ترك أحدهم معي وديعة لأحافظ له عليها،

وقد جاء يطلبها الآن، هل عليَّ إعادتها له؟

أجابها الزوج:

- هل لديكِ شك في ضرورة إعادة الأمانة لصاحبها؟

قالت "بروريا":

- لم أرغب في إعادتها دون إخبارك أولًا.

أمسكت بيده، وقادته إلى الحجرة التي يتجاور فيها جثمانا الولديْن على سرير، أزاحت الغطاء عنهما، فانهمرت دموع رابي "مئير". ذكرته "بروريا":

- ألستَ أنتَ من قلت لي بضرورة إعادة الأمانة لصاحبها؟

نقذف قطع النقود المعدنية في الساحة الخارجية لعمارتنا، تحت شجرة الكستناء، يحل الليل بسرعة، نسمي اللعبة "شنور" والتي تعني بالألمانية "خيط" أو "خَطٌّ"، نرسم خطًّا في التراب، ونرمي في الهواء قطعًا معدنية من عشرة وعشرين وخمسين فيللر، يجب أن تسقط على الخط المرسوم على الأرض، نقذف بها تجاه الحائط أحيانًا. حسب القوانين، مَن ينجح في رمي القطع المعدنية أقرب إلى الخط، يجمعها كلها ويقذفها في الهواء. يجب أن تسقط جميعًا وجِهةُ الصورة للأعلى. كلنا نرغب في أن نكون آخر من يقذف نقوده. بعد تقسيم قطع

الفيللر، وفقًا للقوانين المتعددة للعبة، نبدأ في الصراخ وتختلط أصواتنا:

- أنا الأخير!

- ومن بعده، أنا الأخير!

- أنا بعد بعد الأخير!

- أنا بعد بعد بعد الأخير!

- أنا بعد بعد بعد بعد الأخير!

في الظلام، يميل جسد أنثوي خارج إطار نافذة شقة في الطابق الثاني، وتقول بصوتٍ عذبٍ مُنَغَّم:

- لتكن هذه آخر بعد بعد الأخير!

أرفع رأسي نحوها، هناك ضوءٌ وراءها، يزيد ابتسامتها لمعانًا.

"في هذا اليوم أغلق الملف، الذي يضم 79 صفحة و48 سطرًا.

بودابست - 30 سبتمبر 1985".

المقدم "دورا"

A találkozo vegen a palesztin belviszályról beszélgettünk, majd megállapodtunk abban, hogy PÁPAINÉ jelentkezik telefonon, ha a lakás üres lesz.
A találkozót, melynek költsége 122 Ft volt 11.45-kor fejeztük be.

<u>Értékelés</u>

A beszélgetés elején kiderült, hogy PÁPAINÉ gyermekeit nagyon szereti és értük mindenre képes. Ideológiai tévedéseikről tud, próbálja azokat semlegesiteni, azonban törekvése ezidáig kudarccal járt.
A fenti tények miatt PÁPAINÉ bevonására csak ugy kerülhetett sor, hogy valamilyen számára elfogadható legendát használtunk fel a lakásba való bejutáshoz. Ebben az esetben a szemközti lakás - mely már PÁPAINÉ-nak is szemet szurt - technikai eszközökkel történő figyelése jelentheti azt a legendát melynek felhasználásával technikusaink a beépülést megoldhatják.

<u>Javaslat</u>

Javaslom tájékoztassuk a III/III-5. osztályt a technikai beépülés lehetőségéről.

Dóra József

Dr. Dóra József r. fhdgy.

Készült: 1 pld. 3 lap
Készitette: DJ/BE
Nytsz.:

ÁBTL 3.2.3. Mt-1273/1 34.